

حزب الطليعة.. الانفراج  
الحقوقى مدخل  
العملية الانتخابية

2

الطريق

٥٤٤٠٤٤

جريدة أسبوعية شاملة  
www.attari-net

الملحق الثقافى..  
سعد الله ونوس  
يحاكى ابن خلدون

94-93

المدير المسؤول : عبد الواحد المهتاني - رئيس التحرير : يزيد البركة - السبت 20 فبراير 2020 م / 8 رجب 1442 هـ - العدد : 336 - الثمن : 20 درهم

## الردة الحقوقية وأفاق الانفراج

من ص 17 إلى ص 34

## التدبير المفوض.. اختلالات بالجملة

من ص 35 إلى ص 68

## حركة 20 فبراير.. بين التحول والاستنهاض

من ص 69 إلى ص 84

 @attarik\_journal

 fb.com/Attarik.Journal

 /attarik.journal

**الطريق**

#صوت\_من\_لا\_صوت\_له



**عدد  
مزدوج**

**الطبعة الأولى**

منشورات جريدة الطريق



عدد  
مزدوج

الطبعة الأولى

منشورات جريدة الطريق

# الفهرس

الصفحات

من

17

إلى

34

الملف الحقوقي

الردة الحقوقية

وأفانق الانفراج



حركة 20 فبراير  
بين التحول  
والاستنهاض

69

35



التدبير المفوض..  
اختلالات بالجملة

الملحق الثقافي



85

|                                                                |                                |                          |                        |
|----------------------------------------------------------------|--------------------------------|--------------------------|------------------------|
| سابريس                                                         | التوزيع                        | عبد الواحد المهتاني      | مدير النشر             |
| رقم 1 زنقة أحمد الكرنواوي الطابق الأول ساحة مارينشال، البيضاء. | العنوان                        | يزيد البركة              | رئيس التحرير           |
| شارع المقاومة رقم 58 حي المحيط الرباط.                         | مكتب الطريق بالرباط            | عبد الغني عارف           | سكرتير التحرير         |
| attarik.journal@gmail.com                                      | البريد الالكتروني              | إسماعيل المتقي           | المدير الفني           |
| 07 08 80 90 87                                                 | الهاتف                         | لحسن خطار                | المدير الإداري والمالي |
| BMCE: 011794000045210000323097                                 | رقم الحساب البنكي              | 16/2018 ص.ح.             | الإيداع القانوني       |
| www.attarik.net                                                | النسخة الالكترونية             | Les imprimeries du matin | المطبوعة               |
| أسبوعية / شهرية (مؤقتا)                                        | دورية الجريدة                  | 3000 نسخة                | عدد السحب              |
| ISSN 2658 -8161                                                | الرقم الدولي المعياري للدوريات | 2019PE0068               | رقم الايداع            |



# الفهرس

## الافتتاحية

- **الافتتاحية:** إطلاق سراح معتقلي الحراك والرأي ضرورة مجتمعية / علي

- 1 ..... بوطواله.
- 2 ..... اللجنة المركزية لحزب الطليعة تثمن خارطة طريق اندماج مكونات فيدرالية
- 3 ..... اليسار الديمقراطي
- 4 ..... ركن بصوت مرتفع: مجتمع المخاطرة والراكبون خلسة / محمد امباركي
- 5 ..... ركن بيتي حجر متصدع / عبد الحكيم برنوص
- 6 ..... أحمد حي بيننا.. الثوريون لا يموتون / مبارك المتوكل
- 7 ..... أحمد بنجلون.. عندما يصبح التابوت عربية للنصر / محمد غريب
- 8 ..... أحمد بنجلون.. الرحيل القاسي / رشيد الإدريسي

## فكر وآراء

9 ..... التطبيع ومخاطر تفكيك الهوية الوطنية / محمد العربي

## الدولية

- 10 ..... عودة المؤامرات إلى الجزائر بهمجية أكبر / يزيد البركة
- 11 ..... العمل الوطني الفلسطيني بين الانقسام وآمال الوحدة / رامز مصطفى
- 12 ..... تونس عشر سنوات من الأزمة.. ما الأسباب وما العمل؟ / محمد زهير حمدي
- 13 ..... الترامبية والماكرونية نموذجي التغول اليميني / المصطفى زويدي
- 14 ..... 15

## الملف الحقوقي

- **الردة الحقوقية وأفاق الانفراج / رشيد الإدريسي - محمد**

- 17 ..... **الباركي.**
- 18 ..... - الردة الحقوقية انتهاكات بطعم الماضي / رشيد الإدريسي
- 19 ..... - حراك الريف.. وإطلاق سراح نشطائه.. من أجل مصالحة تاريخية لطفي الملف
- 20 ..... / سارة سوجار
- 21 ..... - مجهر على 4 حالات اعتقال.. الصحافي الاستقصائي عمر الراضي لازال وراء
- 22 ..... القضبان
- 23 ..... - مجهر على 4 حالات اعتقال.. الاعتداء على الحياة الخاصة للاقتصادي
- 24 ..... والحقوقي فؤاد عبد المومني
- 25 ..... - مجهر على 4 حالات اعتقال.. تقديم الصحفي سليمان الريسوني للمحاكمة
- 26 ..... بعد تسعة أشهر من التحقيق والعزلة
- 27 ..... - مجهر على 4 حالات اعتقال.. السجن النافذ في حق المؤرخ والحقوقي المعطي
- 28 ..... منجب
- 29 ..... - حوار مع رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف / حسان كمون
- 30 ..... - حوار مع رئيس الجمعية المغربية لحقوق الإنسان / عزيز غالي
- 31 ..... - حوار مع رئيس المنظمة المغربية لحقوق الإنسان / بوبكر لاركو
- 32 ..... 33

## ملف التدبير المفوض

- **التدبير المفوض اختلالات بالجملة / صلاح الدين لمعيزي -**

- 34 ..... **جواد مستقبلي - ساجي عبد الرحمان.**
- 35 ..... - واقع التدبير المفوض بين الشكل والمضمون / عبد المجيد مصدق
- 36 ..... 37

- 45 ..... - من أجل تدبير ديمقراطي للمرفق العمومي / محمد سعيد السعدي
- 46 ..... 6 حجج لتفكيك أسطورة "التدبير المفوض" / صلاح الدين لمعيزي
- 47 ..... - خروقات ليديك: من يوقف النزيف؟ وهل من بدائل؟ / جواد مستقبلي
- 48 ..... - المنتخبون والتدبير المفوض تواطؤ أم عبث / صلاح الحسني
- 49 ..... - التدبير المفوض وضعية احتكارية وخروقات تعاقدية / البكاي محمد
- 50 ..... - مدينة الدار البيضاء من الشموخ إلى الفرق / البدالي صافي الدين
- 51 ..... - التدبير المفوض يقتل من طنجة إلى الفينيدف / ساجي عبد الرحمان
- 52 ..... - جذور امتيازات التدبير المفوض الأجنبي.. الحماية القنصلية بالمغرب / يوسف
- 53 ..... 54
- 55 ..... 56
- 57 ..... 58
- 59 ..... 60
- 61 ..... 62

## ملف حركة 20 فبراير

- **حركة 20 فبراير بين التحول والاستنهاض / منعم وحتى -**

- 63 ..... **ساجي عبد الرحمان.**
- 64 ..... - حركة 20 فبراير.. دراسة حول منطق الفعل الاحتجاجي في المغرب / محمد
- 65 ..... سموني
- 66 ..... - حركة 20 فبراير وسيناريوهات المخزن / عبد الرحيم ازبيدة
- 67 ..... - نحو سوسيولوجيا تاريخانية.. الميراث السوسيولوجي لحركة 20 فبراير /
- 68 ..... عثمان لكعشمي
- 69 ..... - فبراير 20 حركة احتجاجية بمطالب اجتماعية / رشيد المشهور
- 70 ..... - الظاهرة الاحتجاجية بالمغرب - رصد تاريخي / سعد فجي
- 71 ..... 72
- 73 ..... 74
- 75 ..... 76
- 77 ..... 78
- 79 ..... 80
- 81 ..... 82
- 83 ..... 84
- 85 ..... 86
- 87 ..... 88
- 89 ..... 90
- 91 ..... 92
- 93 ..... 94
- 95 ..... 96
- 97 ..... 98
- 99 ..... 100
- 101 ..... 102
- 103 ..... 104
- 105 ..... 106
- 107 ..... 108
- 109 ..... 110
- 111 ..... 112
- 113 ..... 114
- 115 ..... 116
- 117 ..... 118
- 119 ..... 120
- 121 ..... 122
- 123 ..... 124
- 125 ..... 126
- 127 ..... 128
- 129 ..... 130
- 131 ..... 132
- 133 ..... 134
- 135 ..... 136
- 137 ..... 138
- 139 ..... 140
- 141 ..... 142
- 143 ..... 144
- 145 ..... 146
- 147 ..... 148
- 149 ..... 150
- 151 ..... 152
- 153 ..... 154
- 155 ..... 156
- 157 ..... 158
- 159 ..... 160
- 161 ..... 162
- 163 ..... 164
- 165 ..... 166
- 167 ..... 168
- 169 ..... 170
- 171 ..... 172
- 173 ..... 174
- 175 ..... 176
- 177 ..... 178
- 179 ..... 180
- 181 ..... 182
- 183 ..... 184
- 185 ..... 186
- 187 ..... 188
- 189 ..... 190
- 191 ..... 192
- 193 ..... 194
- 195 ..... 196
- 197 ..... 198
- 199 ..... 200
- 201 ..... 202
- 203 ..... 204
- 205 ..... 206
- 207 ..... 208
- 209 ..... 210
- 211 ..... 212
- 213 ..... 214
- 215 ..... 216
- 217 ..... 218
- 219 ..... 220
- 221 ..... 222
- 223 ..... 224
- 225 ..... 226
- 227 ..... 228
- 229 ..... 230
- 231 ..... 232
- 233 ..... 234
- 235 ..... 236
- 237 ..... 238
- 239 ..... 240
- 241 ..... 242
- 243 ..... 244
- 245 ..... 246
- 247 ..... 248
- 249 ..... 250
- 251 ..... 252
- 253 ..... 254
- 255 ..... 256
- 257 ..... 258
- 259 ..... 260
- 261 ..... 262
- 263 ..... 264
- 265 ..... 266
- 267 ..... 268
- 269 ..... 270
- 271 ..... 272
- 273 ..... 274
- 275 ..... 276
- 277 ..... 278
- 279 ..... 280
- 281 ..... 282
- 283 ..... 284
- 285 ..... 286
- 287 ..... 288
- 289 ..... 290
- 291 ..... 292
- 293 ..... 294
- 295 ..... 296
- 297 ..... 298
- 299 ..... 300
- 301 ..... 302
- 303 ..... 304
- 305 ..... 306
- 307 ..... 308
- 309 ..... 310
- 311 ..... 312
- 313 ..... 314
- 315 ..... 316
- 317 ..... 318
- 319 ..... 320
- 321 ..... 322
- 323 ..... 324
- 325 ..... 326
- 327 ..... 328
- 329 ..... 330
- 331 ..... 332
- 333 ..... 334
- 335 ..... 336
- 337 ..... 338
- 339 ..... 340
- 341 ..... 342
- 343 ..... 344
- 345 ..... 346
- 347 ..... 348
- 349 ..... 350
- 351 ..... 352
- 353 ..... 354
- 355 ..... 356
- 357 ..... 358
- 359 ..... 360
- 361 ..... 362
- 363 ..... 364
- 365 ..... 366
- 367 ..... 368
- 369 ..... 370
- 371 ..... 372
- 373 ..... 374
- 375 ..... 376
- 377 ..... 378
- 379 ..... 380
- 381 ..... 382
- 383 ..... 384
- 385 ..... 386
- 387 ..... 388
- 389 ..... 390
- 391 ..... 392
- 393 ..... 394
- 395 ..... 396
- 397 ..... 398
- 399 ..... 400
- 401 ..... 402
- 403 ..... 404
- 405 ..... 406
- 407 ..... 408
- 409 ..... 410
- 411 ..... 412
- 413 ..... 414
- 415 ..... 416
- 417 ..... 418
- 419 ..... 420
- 421 ..... 422
- 423 ..... 424
- 425 ..... 426
- 427 ..... 428
- 429 ..... 430
- 431 ..... 432
- 433 ..... 434
- 435 ..... 436
- 437 ..... 438
- 439 ..... 440
- 441 ..... 442
- 443 ..... 444
- 445 ..... 446
- 447 ..... 448
- 449 ..... 450
- 451 ..... 452
- 453 ..... 454
- 455 ..... 456
- 457 ..... 458
- 459 ..... 460
- 461 ..... 462
- 463 ..... 464
- 465 ..... 466
- 467 ..... 468
- 469 ..... 470
- 471 ..... 472
- 473 ..... 474
- 475 ..... 476
- 477 ..... 478
- 479 ..... 480
- 481 ..... 482
- 483 ..... 484
- 485 ..... 486
- 487 ..... 488
- 489 ..... 490
- 491 ..... 492
- 493 ..... 494
- 495 ..... 496
- 497 ..... 498
- 499 ..... 500
- 501 ..... 502
- 503 ..... 504
- 505 ..... 506
- 507 ..... 508
- 509 ..... 510
- 511 ..... 512
- 513 ..... 514
- 515 ..... 516
- 517 ..... 518
- 519 ..... 520
- 521 ..... 522
- 523 ..... 524
- 525 ..... 526
- 527 ..... 528
- 529 ..... 530
- 531 ..... 532
- 533 ..... 534
- 535 ..... 536
- 537 ..... 538
- 539 ..... 540
- 541 ..... 542
- 543 ..... 544
- 545 ..... 546
- 547 ..... 548
- 549 ..... 550
- 551 ..... 552
- 553 ..... 554
- 555 ..... 556
- 557 ..... 558
- 559 ..... 560
- 561 ..... 562
- 563 ..... 564
- 565 ..... 566
- 567 ..... 568
- 569 ..... 570
- 571 ..... 572
- 573 ..... 574
- 575 ..... 576
- 577 ..... 578
- 579 ..... 580
- 581 ..... 582
- 583 ..... 584
- 585 ..... 586
- 587 ..... 588
- 589 ..... 590
- 591 ..... 592
- 593 ..... 594
- 595 ..... 596
- 597 ..... 598
- 599 ..... 600
- 601 ..... 602
- 603 ..... 604
- 605 ..... 606
- 607 ..... 608
- 609 ..... 610
- 611 ..... 612
- 613 ..... 614
- 615 ..... 616
- 617 ..... 618
- 619 ..... 620
- 621 ..... 622
- 623 ..... 624
- 625 ..... 626
- 627 ..... 628
- 629 ..... 630
- 631 ..... 632
- 633 ..... 634
- 635 ..... 636
- 637 ..... 638
- 639 ..... 640
- 641 ..... 642
- 643 ..... 644
- 645 ..... 646
- 647 ..... 648
- 649 ..... 650
- 651 ..... 652
- 653 ..... 654
- 655 ..... 656
- 657 ..... 658
- 659 ..... 660
- 661 ..... 662
- 663 ..... 664
- 665 ..... 666
- 667 ..... 668
- 669 ..... 670
- 671 ..... 672
- 673 ..... 674
- 675 ..... 676
- 677 ..... 678
- 679 ..... 680
- 681 ..... 682
- 683 ..... 684
- 685 ..... 686
- 687 ..... 688
- 689 ..... 690
- 691 ..... 692
- 693 ..... 694
- 695 ..... 696
- 697 ..... 698
- 699 ..... 699

## الأخيرة

- 104 ..... - تحف فنية: لوحة مشى السجناء / فان غوغ 1890
- 105 ..... - ركن عيطة: 20 و 22 فبراير / منعم وحتى
- 106 ..... 107
- 108 ..... 109
- 110 ..... 111
- 112 ..... 113
- 114 ..... 115
- 116 ..... 117
- 118 ..... 119
- 120 ..... 121
- 122 ..... 123
- 124 ..... 125
- 126 ..... 127
- 128 ..... 129
- 130 ..... 131
- 132 ..... 133
- 134 ..... 135
- 136 ..... 137
- 138 ..... 139
- 140 ..... 141
- 142 ..... 143
- 144 ..... 145
- 146 ..... 147
- 148 ..... 149
- 150 ..... 151
- 152 ..... 153
- 154 ..... 155
- 156 ..... 157
- 158 ..... 159
- 160 ..... 161
- 162 ..... 163
- 164 ..... 165
- 166 ..... 167
- 168 ..... 169
- 170 ..... 171
- 172 ..... 173
- 174 ..... 175
- 176 ..... 177
- 178 ..... 179
- 180 ..... 181
- 182 ..... 183
- 184 ..... 185
- 186 ..... 187
- 188 ..... 189
- 190 ..... 191
- 192 ..... 193
- 194 ..... 195
- 196 ..... 197
- 198 ..... 199
- 200 ..... 201
- 202 ..... 203
- 204 ..... 205
- 206 ..... 207
- 208 ..... 209
- 210 ..... 211
- 212 ..... 213
- 214 ..... 215
- 216 ..... 217
- 218 ..... 219
- 220 ..... 221
- 222 ..... 223
- 224 ..... 225
- 226 ..... 227
- 228 ..... 229
- 230 ..... 231
- 232 ..... 233
- 234 ..... 235
- 236 ..... 237
- 238 ..... 239
- 240 ..... 241
- 242 ..... 243
- 244 ..... 245
- 246 ..... 247
- 248 ..... 249
- 250 ..... 251
- 252 ..... 253
- 254 ..... 255
- 256 ..... 257
- 258 ..... 259
- 260 ..... 261
- 262 ..... 263
- 264 ..... 265
- 266 ..... 267
- 268 ..... 269
- 270 ..... 271
- 272 ..... 273
- 274 ..... 275
- 276 ..... 277
- 278 ..... 279
- 280 ..... 281
- 282 ..... 283
- 284 ..... 285
- 286 ..... 287
- 288 ..... 289
- 290 ..... 291
- 292 ..... 293
- 294 ..... 295
- 296 ..... 297
- 298 ..... 299
- 300 ..... 301
- 302 ..... 303
- 304 ..... 305
- 306 ..... 307
- 308 ..... 309
- 310 ..... 311
- 312 ..... 313
- 314 ..... 315
- 316 ..... 317
- 318 ..... 319
- 320 ..... 321
- 322 ..... 323
- 324 ..... 325
- 326 ..... 327
- 328 ..... 329
- 330 ..... 331
- 332 ..... 333
- 334 ..... 335
- 336 ..... 337
- 338 ..... 339
- 340 ..... 341
- 342 ..... 343
- 344 ..... 345
- 346 ..... 347
- 348 ..... 349
- 350 ..... 351
- 352 ..... 353
- 354 ..... 355
- 356 ..... 357
- 358 ..... 359
- 360 ..... 361
- 362 ..... 363
- 364 ..... 365
- 366 ..... 367
- 368 ..... 369
- 370 ..... 371
- 372 ..... 373
- 374 ..... 375
- 376 ..... 377
- 378 ..... 379
- 380 ..... 381
- 382 ..... 383
- 384 ..... 385
- 386 ..... 387
- 388 ..... 389
- 390 ..... 391
- 392 ..... 393
- 394 ..... 395
- 396 ..... 397
- 398 ..... 399
- 400 ..... 401
- 402 ..... 403
- 404 ..... 405
- 406 ..... 407
- 408 ..... 409
- 410 ..... 411
- 412 ..... 413
- 414 ..... 415
- 416 ..... 417
- 418 ..... 419
- 420 ..... 421
- 422 ..... 423
- 424 ..... 425
- 426 ..... 427
- 428 ..... 429
- 430 ..... 431
- 432 ..... 433
- 434 ..... 435
- 436 ..... 437
- 438 ..... 439
- 440 ..... 441
- 442 ..... 443
- 444 ..... 445
- 446 ..... 447
- 448 ..... 449
- 450 ..... 451
- 452 ..... 453
- 454 ..... 455
- 456 ..... 457
- 458 ..... 459
- 460 ..... 461
- 462 ..... 463
- 464 ..... 465
- 466 ..... 467
- 468 ..... 469
- 470 ..... 471
- 472 ..... 473
- 474 ..... 475
- 476 ..... 477
- 478 ..... 479
- 480 ..... 481
- 482 ..... 483
- 484 ..... 485
- 486 ..... 487
- 488 ..... 489
- 490 ..... 491
- 492 ..... 493
- 494 ..... 495
- 496 ..... 497
- 498 ..... 499
- 500 ..... 501
- 502 ..... 503
- 504 ..... 505
- 506 ..... 507
- 508 ..... 509
- 510 ..... 511
- 512 ..... 513
- 514 ..... 515
- 516 ..... 517
- 518 ..... 519
- 520 ..... 521
- 522 ..... 523
- 524 ..... 525
- 526 ..... 527
- 528 ..... 529
- 530 ..... 531
- 532 ..... 533
- 534 ..... 535
- 536 ..... 537
- 538 ..... 539
- 540 ..... 541
- 542 ..... 543
- 544 ..... 545
- 546 ..... 547
- 548 ..... 549
- 550 ..... 551
- 552 ..... 553
- 554 ..... 555
- 556 ..... 557
- 558 ..... 559
- 560 ..... 561
- 562 ..... 563
- 564 ..... 565
- 566 ..... 567
- 568 ..... 569
- 570 ..... 571
- 572 ..... 573
- 574 ..... 575
- 576 ..... 577
- 578 ..... 579
- 580 ..... 581
- 582 ..... 583
- 584 ..... 585
- 586 ..... 587
- 588 ..... 589
- 590 ..... 591
- 592 ..... 593
- 594 ..... 595
- 596 ..... 597
- 598 ..... 599
- 600 ..... 601
- 602 ..... 603
- 604 ..... 605
- 606 ..... 607
- 608 ..... 609
- 610 ..... 611
- 612 ..... 613
- 614 ..... 615
- 616 ..... 617
- 618 ..... 619
- 620 ..... 621
- 622 ..... 623
- 624 ..... 625
- 626 ..... 627
- 628 ..... 629
- 630 ..... 631
- 632 ..... 633
- 634 ..... 635
- 636 ..... 637
- 638 ..... 639
- 640 ..... 641
- 642 ..... 643
- 644 ..... 645
- 646 ..... 647
- 648 ..... 649
- 650 ..... 651
- 652 ..... 653
- 654 ..... 655
- 656 ..... 657
- 658 ..... 659
- 660 ..... 661
- 662 ..... 663
- 664 ..... 665
- 666 ..... 667
- 668 ..... 669
- 670 ..... 671
- 672 ..... 673
- 674 ..... 675
- 676 ..... 677
- 678 ..... 679
- 680 ..... 681
- 682 ..... 683
- 684 ..... 685
- 686 ..... 687
- 688 ..... 689
- 690 ..... 691
- 692 ..... 693
- 694 ..... 695
- 696 ..... 697
- 698 ..... 699
- 699 ..... 700

# الافتتاحية : إطلاق سراح معتقلي الحراك والدأى ضرورة مجتمعية

الثقة الجماهيرية في مؤسسات الدولة والمجتمع بما في ذلك الأحزاب والنقابات إلى أدنى مستوى، كما كشف عن ذلك آخر استطلاع للرأي. وبقدر ما تتعمق أزمة الثقة، يتصاعد منسوب الاحتقان الاجتماعي، والاحتجاجات المتوالية من الريف إلى جراداة وزاكورة إلى الفنيدق، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات الوظيفة العمومية، وهي مؤشرات لتصاعد القلق والتوتر. ومما زاد الأوضاع تأزماً، تعطيل الحوار الاجتماعي واللجوء المتكرر للمقاربة القمعية، مما أجهز على الهامش الحقوقي الضيق، وجعل القوى الديمقراطية تعاني من مأزق غير مسبق.

لقد أصبحت قوى اليسار الديمقراطي في مواجهة محنة حقيقية أمام الردة الحقوقية وللدفاع عن المكتسبات الجزئية التي تحققت بفضل عقود من النضال والتضحيات، وهي مجردة ومحرومة من ممارسة أشكال النضال الديمقراطي المعروفة بسبب حالة الطوارئ الصحية المفروضة. الغريب أنه يجري التحضير لإجراء الانتخابات التشريعية والجماعية والجهوية قبل نهاية هذه السنة في ظل مناخ سياسي واجتماعي محتقن، مما سيؤدي لا محالة إلى عزوف جماهيري غير مسبوق، سيفرغ الانتخابات المقبلة من أية جدوى ومصداقية. إذن فتصفية الأجواء بإطلاق جميع المعتقلين السياسيين والصحفيين، ليس فقط مطلباً شعبياً، بل ضرورة ملحة، وحاجة مجتمعية.

المغربي". هكذا بقي المغرب يراوح مكانه في مستنقع "الديمقراطية الهجينة" بالتعبير الدولي، أو على الأصح الاستبداد المقنع بمؤسسات شكلية. صحيح أن طبيعة المجتمع المغربي المحافظة، تمثل معيقاً بنيوياً للتغيير الديمقراطي وفق المقاربة الأكاديمية، حيث يلاحظ ضعف اهتمام جزء مهم من الشعب المغربي بالعمل السياسي، بدليل تدني نسب الانتماء للأحزاب والنقابات ومنظمات المجتمع المدني، لكن هذا المعطى السوسيولوجي نفسه، نتيجة منطقية لاستراتيجية الدولة المخزنية التي ظلت حريصة على إعادة إنتاج شروط استمرارية النظام السياسي وتحكمه في الحقل السياسي توجيهها وضبطاً وتأطيراً.

إن أعطاب الديمقراطية والتمنية والتقدم تعود إذن إلى الاختيارات التي فرضها النظام السياسي خلال العقد الأول من الاستقلال بقوة الحديد والنار، ولم تعمل جائحة كورونا إلا على تعرية الطبيعة الطبقيّة واللامدنيقراطية لنظام يستعمل الحكومة والمؤسسات المنتخبة كأجهزة لإدارة وتدبير التوازنات الاقتصادية والاجتماعية لمصلحة الطبقة السائدة ولوبياتها الريعية. بل حتى الأزمة نفسها مهما كانت حدتها، يتم توظيف تداعياتها لترسيخ علاقات الخضوع والاستغلال، بما يرافق ذلك من استنزاف متواصل للمالية العمومية، والفرق في مستنقع الديون الخارجية. في ظل هذا الوضع، من الطبيعي أن تنتشر المخاوف، ويتدنى منسوب

حلت الذكرى العشرة لحراك 20 فبراير في سياق مطبوع بأزمة كبرى، شاملة وغير مسبقة، بسبب تداعيات الانتشار السريع والمتصاعد لوباء كورونا في جميع أنحاء العالم، واشتداد سطوة الامبريالية واستبداد الدولة، مما جعل من سنة 2020 أسوأ السنوات منذ الحرب العالمية الثانية، وعلى جميع المستويات الصحية والاقتصادية والاجتماعية والحقوقية. وفي سياق كهذا يستحيل إحياء الذكرى بالشكل المعتاد، مما يقتضي إحياءها بأساليب جديدة، فالمناسبة تستدعي أيضاً التقييم الموضوعي لحصيلة عقد من الصراع بين القوى التي ساهمت في الحراك، وقوى المحافظة والجمود التي تواطأت على إجهاضه، والتراجع عن مكاسبه الجزئية.

أول ملاحظة يجب الوقوف عندها، هي هدر الدولة للزمن السياسي، في الإصرار على تطبيق اختيارات وخطط وبرامج أعلن رسمياً عن فشلها غير ما مرة، اختيارات جعلت بلادنا تتموقع في مراتب مخجلة في قطاعات استراتيجية كالصحة والتعليم والتنمية البشرية. لقد أتيحت الفرصة للقطع مع تلك الاختيارات والخروج من الأزمة البنيوية في بداية هذا القرن مع حكومة "التناوب التوافقي" على علاقاتها، ومع ذلك تم الانقلاب عليها، والعودة إلى خلق حزب مخزني جديد، والنتائج لم تتأخر في الظهور.

وقد تمثلت الفرصة الثانية والأخيرة في حراك 20 فبراير، فأهدرت هي الأخرى تحت الشعار الخادع والمضلل "الاستثناء

# اللجنة المركزية لحزب الطليعة : تثمن خارطة طريق اندماج مكونات فيدرالية اليسار الديمقراطي

للشباب الصحراوي، وفتح آفاق المستقبل أمامه لتخليصه سواء من تأثير دعاة الانفصال أو من شبكات الريع والفساد المحلية.

• تعلن اللجنة المركزية التزامها بخارطة الطريق التي خلصت إليها الهيئة التقريرية لفيدرالية اليسار الديمقراطي في اجتماعها الأخير ليوم 27 دجنبر 2020.

• من شروط تنظيم انتخابات نزيهة وذات مصداقية، وضع حد لكافة أشكال الاحتقان ووقف الردة الحقوقية وتصفية الأجواء بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والصحفيين.

• الترسيع الحقيقي للسيادة الوطنية على أقاليمنا الصحراوية، يقتضي الربط الدائم بين تحرير الأرض وتحرير الإنسان، بما يعني ذلك من انفتاح وتطير

بالمناسبة جهود الإطارات الرافضة للتغلغل الصهيوني بتأسيس "جبهة لمساندة فلسطين وضد التطبيع".

1- تحليل على القرارات المبدئية للحزب بأن الترسيع الحقيقي للسيادة الوطنية على أقاليمنا الصحراوية، يقتضي الربط الدائم بين تحرير الأرض وتحرير الإنسان، بما يعني ذلك من انفتاح وتطير للشباب الصحراوي، وفتح آفاق المستقبل أمامه لتخليصه سواء من تأثير دعاة الانفصال أو من شبكات الريع والفساد المحلية.

2- تعبر اللجنة المركزية عن استنكارها وشجبها لاستغلال الدولة للجائحة لإجهاد على الحقوق والحريات في إطار سعيها الملحوظ لإعادة عقارب الزمن إلى مرحلة الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان والممارسات التسلطية التي لم يتم تجاوزها مرحليا إلا بفضل الكفاح المرير للقوى التقدمية وضغوط المنظمات الديمقراطية والحقوقية، وتخوف الدولة من خطر "السكتة القلبية" للنظام.

3- تؤكد اللجنة المركزية مساندة حزب الطليعة لنضالات الشغيلة المغربية عموما، دفاعا عن قوتها اليومي وتطالب بتلبية مطالب المركيزات النقابية ونقاباتها القطاعية ووضع حد للاحتقان الاجتماعي، ودعمه لاحتجاجات الجماهير الشعبية الكادحة نتيجة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزرية والمأساوية، نتيجة الاختيارات الرسمية الفاشلة في تدبير تداعيات الأزمة التي استفحلت بسبب الجائحة وقرارات الارتجالية للدولة، كما حدث في احتجاجات مدينة الفنيدق، التي كانت تقتضي مخططات تنمية محلية بديلة عن التهريب المعيشي بدل إشهار سيف الاعتقالات مرة أخرى أمام الساكنة. وتندد بالوضع المأساوية التي تعيشها الطبقة العاملة والتي بينت فاجعة غرق العشرات من عمال طنجة عن فظاعتها، وإذ يعزى حزب الطليعة عائلاتهم يطالب بفتح تحقيق نزيه وشفاف في كل ملابسات المأساة، بتحديد المسؤوليات وتفعيل المحاسبة.

4- تدعو إلى تصفية الأجواء بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والصحفيين، وتؤكد مجددا أن من شروط تنظيم انتخابات نزيهة وذات مصداقية، وضع حد لكافة أشكال الاحتقان ووقف الردة الحقوقية، ومحاربة حقيقية للفساد، والتحفيز على المشاركة السياسية بانفتاح الإعلام العمومي على كافة فعاليات المجتمع الديمقراطي والسياسية والحقوقية والنقابية والثقافية والشبابية والنسائية.

5- تعلن اللجنة المركزية التزامها بخارطة الطريق التي خلصت إليها الهيئة التقريرية لفيدرالية اليسار الديمقراطي في اجتماعها الأخير ليوم 27 دجنبر 2020، وتوصي في نفس الوقت بمتابعة الإعداد للمؤتمر الوطني التاسع للحزب الذي كان قد انطلق منذ مارس 2020.

اللجنة المركزية، في 8 فبراير 2021

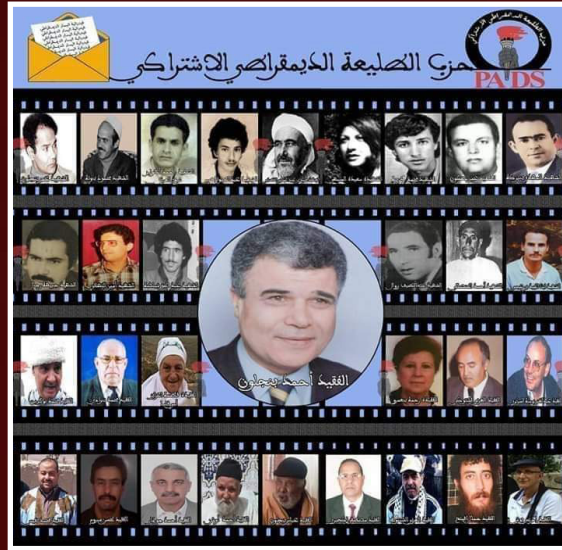
عقدت اللجنة المركزية لحزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي دورتها الرابعة عشرة، دورة الفقيد أحمد بن جلون، الذي حلت الذكرى السادسة لوفاته يوم 2 فبراير الجاري، وبهذه المناسبة، استحضرت تقرير الكتابة الوطنية المقدم للدورة مناقب الفقيد الكبير لحزبنا وليسار المغربي عموما، وخاصة الدور القيادي الذي لعبه في تأسيس تجمع اليسار الديمقراطي، ثم تحالف اليسار الديمقراطي، بل وشارك في مهرجان تحوله إلى فيدرالية اليسار الديمقراطي يوم 23 مارس 2014، رغم مرضه العضال قبل سنة فقط من وفاته.

واسترشادا بالعطاء التضالي للفقيد أحمد وتوجهاته، ناقشت اللجنة المركزية بعمق وعلى مدى يومين، تقرير الكتابة الوطنية الذي قدم تحليلا دقيقا لطبيعة اللحظة الراهنة وتحدياتها على جميع المستويات الدولية والإقليمية والوطنية، ورصد المهام المطروحة على الحزب، وعلى فيدرالية اليسار الديمقراطي، وعلى اليسار عموما الاضطلاع بها، لتحقيق الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية، ومقاومة التطبيع مع الكيان الصهيوني، الذي أصبح تغلغله في شرايين بلادنا علنيا على المستويات الاقتصادية والثقافية... بتجيش تيارات شوفينية للركوب على الكون اليهودي المغربي الأصيل لتكريس النزعة العنصرية الصهيونية الاستعمارية. في نطاق آخر نسجل أن تحصين الوحدة الترابية والسيادة الوطنية للمغرب على صحرائه مرتبط أساسا بجديلة تحرير الأرض والإنسان وتحقيق الديمقراطية استنادا لتنمية عادلة بدل لوبيات الأوليغارشية الربعية، وبالتصدي للتراجعات الخطيرة التي تجهز على المكتسبات الحقوقية والحريات العامة، وتلحق أبلغ الأضرار بالأوضاع المعيشية للجماهير الشعبية.

في هذا السياق قررت اللجنة المركزية تعميم وإعلان المواقف التالية :

■ تسجل أن تأثير التغير الفوقي لإدارة الولايات المتحدة الأمريكية محدود على العلاقات الدولية بحكم ثوابت سياستها الخارجية الكولونيالية، وتؤكد اللجنة المركزية أن انطلاق حملات التلقيح ضد فيروس كورونا في العديد من بلدان العالم، زادت من تعرية التفاوت العميق بين البلدان التي تعاني من التخلف والخصاص والهشاشة بكل مظاهرها مثل المغرب، وبين الدول المتقدمة المصنعة للقاحات.

■ تذكر أنه مهما حصل من تداول على السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن توجهاتها الاستراتيجية، تصب في اتجاه الغطرس الغربية بدعمها الدائم للصهيونية وللأنظمة الرجعية، وبالتالي فإن المواجهة مع التحالف الصهيوني الإمبريالي الرجعي ستستمر، بل ويجب أن تتصاعد حتى استرجاع الشعب الفلسطيني لكافة حقوقه التاريخية في التحرير وعودة اللاجئين وبناء دولته الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس والقضاء على الاستغلال الإمبريالي للشعوب. وتجدد اللجنة المركزية لحزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي إدانتها الشديدة لاتفاقيات تطبيع بعض الأنظمة العربية لعلاقاتها بالكيان الصهيوني، ومن ضمنها النظام المغربي، وتحثي





## مجتمع المخاطرة والراكبون خلسة

♦ محمد امباركي



"مجتمع المخاطر العالمي بحثاً عن العالم المفقود"، عنوان كتاب السوسولوجي الألماني أولريش بيك (1944 - 2015)، ويعالج فيه التهديدات الكونية بدأ بالإرهاب وصولاً إلى التغير المناخي والحاجة إلى اتخاذ قرارات جريئة لحماية الإنسانية من المخاطر، وتحدث أيضاً السوسولوجي البريطاني "أنطونيو كيدنز" عن مشكلة الخوف من المخاطر بقوله إننا نعيش في عالم فيه مخاطر جديدة لا نملك اتجاهها خبرة تاريخية، ويعطي "كيدنز" أمثلة بالأوبئة كجنون البقر، وذلك قبل زمن كورونا الذي تسبب في حالة من توازن الرعب وتزوع الهيمنة بين القوى الكبرى تعود إلى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية.. خلاصة أطروحة "المخاطر" هي كيفية الاستعداد الجيد والشجاع لمواجهة المخاطر والتجربة والخبرة في هذا الشأن عمودياً وأفقياً (الدولة والمجتمع). فهل يمكن مواجهة المخاطر بالخوف منها؟.. أ طرح هذا السؤال لتفكيك حالتنا المغربية التي توجد في حالة كمون "ديمقراطي" !

تكلفة سياسية وحقوقية وإنسانية باهظة لزمن من القمع، تتم العودة إلى منطق المصالحة وضرورة التجاوز الجماعي، ثم ما تلبث أن تعود حليلة وإلى عاداتها القديمة.. ! كثير من خبراء السياسة يفسرون الأمر بتناقضات أطراف النظام السياسي بين "الصفور والحمام" وضعف الحقل السياسي المضاد أو السلطة المضادة.. لكن السؤال الآخر المحير هو كيف يمكن بناء سلطة مضادة في ظل شروط سياسية ومؤسسية لا تسمح بغير انبثاق تلك السلطة المضادة والتعبير عن نفسها بشكل محدود وكما يرد لها أن تكون.. ؟ والمشكلة في بنية سياسية مغلقة لا تسمح بحراك سياسي لا يعيد إنتاج بنائها السوسي تاريخية المقاومة للديمقراطية

وربما التغيير في الجوهر، وهو حراك في كل الأحوال ساكن وبراوح مكانه، لا هو بنازل ولا هو بصاعد، كأننا أمام مشهد يتلذذ المتحكمون فيه بمظاهر وممارسات توبيخ الضحايا.. الحديث عن الاستقرار في ظل مجتمع المخاطرة وأخطار السلطة أو تهديداتها المريحة وغير العلنية ينم إما عن تناقض في الفهم أو سوء الفهم بشكل مقصود..

لكنه أمام هذه التجاذبات، يظل الخطر الآخر المؤثر هو ما سماه السوسولوجي الأمريكي "مانكور أولسن" (1932-1998) "الراكبون خلسة"، والراكب خلسة هو الشخص الذي لا يشارك في فعل مشترك ولكنه يستفيد من ثماره، على سبيل المثال عامل في مصنع لا يشارك في إضراب جماعي للعمال لأنه يعني أن للمشاركة فمن وأن عدم مشاركته لن تحول دون استفادته من مكاسب قد تتحقق وراء الإضراب. قد تكون حالة العامل

مفهومة ومعذورة ويصرح بها، لكن أن يظل المثقف الجمعي صامتاً أمام جبروت السلطة ولما تمارس السلطة النقد الذاتي على ذاتها "تكتيكياً" يلجأ إلى تفكيك أبعاد ذلك النقد وتسجيل شجاعة السلطة واستهلاك مقولة "الاستثناء المغربي" فهو العيب بعينه، للأسف هذا هو حال العديد من النخب السياسية والثقافية والإعلامية في بلادنا والتي تخلت عن سلطة النقد إزاء انتهاك الحقوق والحريات بما فيها الحريات الأكاديمية وأصبحت تدافع بطريقة غير مقنعة عن منطق "التغيير من داخل الاستمرارية" وتتهم كل من ينتقد الردة الحقوقية الملحوظة بالعدمية والعداء للوطن..!، ولما يحدث "انفراج" ما "تتقاطر إطلالات" الخلسة..

نحن أمام ثالث مركب من سلطة الخوف والخوف من السلطة والراكبين خلسة، هذا الثلاثي الخطير لن يمنع المجتمع غير المرئي من المخاطرة على جميع المستويات وفي كل الاتجاهات، وتبالي لن يكتب النجاح للتدبير السلمي والعقلاني لنتائج هذه المخاطرة إلا بمخاطرة "ديمقراطية" شجاعة تحكمها إرادة سياسية واضحة لتجاوز واقع الاحتقان الاجتماعي والحقوق والقطع مع استراتيجية الضبط "الأمني" لفضاءات التعبير والاحتجاج والنقد والمشاركة.



إن مظاهر الخطر تتعدد بتعدد مجالات تدخل السلطة عبر السياسات العمومية في الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، ولما نتحدث عن الخطر في بعده الجماعي والاجتماعي فنحن نعني غياب الأمن بمفهومه الحقوقي الواسع كما حددته الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، والذي تتقاطع فيه عدة حقوق كالحق في التعليم والصحة والكرامة والحرية.. والحق في الأمن والأمان وارد في الدستور المغربي، لكن الشعور الاجتماعي العام بهما يزداد هشاشة أمام عمق الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وقدد مجالات المراقبة للأصوات المعارضة.. لا يمكن الحديث عن عنف المجتمع معزول عن عنف السلطة.. والعنف له تجليات الإقصاء الاجتماعي والاقتصادي والقمع السياسي وتضييق مساحات التعبير السلمي عن الحاجة إلى الكرامة والحرية والعدالة الاجتماعية.. وفي هذه الحالة تتحول السلطة إلى خطر حقيقي على المجتمع لما تستمد مشروعيتها فقط من ممارسة العنف غير الشرعي بلغة ماكس فيبر لكسب رضى المجتمع، ومن ثمّة من الطبيعي أن يصبح المجتمع شيئاً فشيئاً مجتمع مخاطرة من حيث تواتر الجريمة والاعتصاب وارتقاء الشباب في أحضان مافيا الهجرة السرية وشبكات التطرف بمختلف مستوياته، بحثاً عن الخلاص من أخطار الأفق المسدود في وطن تزداد فيه الفوارق الطبقة ومصادر الغنى غير المشروع وزواج السلطة والثروة.. ولما يحتاج المجتمع سلمياً سواء واقفياً أو افتراضياً تتعامل السلطة مع الحق في الاحتجاج كخطر يجب كبح جماحه

مثلاً تعاملت مع التعبيرات السلمية للطلبة والتلاميذ بين نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، كخطر سياسي على الأمن "العمومي" فلجأت إلى القمع وإغلاق معهد السوسولوجيا ومنع المنابر الثقافية التقدمية وحظر اوطم وتشجيع الفكر الديني المتطرف والتضييق على الممارسة الجموعية الجادة لا مندوحة لنا عن القول إنه لا يمكن بناء نموذج تنموي في ظل مجتمع يركب المخاطر بحثاً عن كرامة مفقودة وحرية مهدورة في سياق تتصور فيه السلطة نفسها فوق المجتمع وغير خاضعة لمنطق المراقبة ومبادئ المحاسبة.. وهذا الخطر جزء من منطق الدولة "الأمنية" التي لا تفهم الأمن إلا في معناه الضيق المرتبط بالمنع واستثمار جميع الظروف لإعادة رسم الحدود بين المشروع وغير المشروع، وإن اقتضى الأمر مراقبة الحياة الشخصية للمفترض في مخابراتها أنهم خصومها في مقابل التستر بل وحماية لصوص المال العام وأرباب المعامل "السرية" التي تتحول في أحيان كثيرة إلى مآثم جماعية يكون ضحيتها عمال وعاملات هم أصلاً ضحايا جشع الباطرون وعدم احترام مدونة الشغل على علاقتها.

السؤال المؤرق مرتبط بالهدر السياسي لرأس المال التراكم الإيجابي، حيث بعد



الاجتماعي" إخبارا ومباهاة. فمهما كونوا من لجن، ومهما تفرّع عنها من لجينات تراقب اللجان الأخرى، فلن نجد أحسن من الموسم المطير كشافا ومعزيا للكذب والرقع والمنشآت المزورة. المطر المنهمر والفيض الجاري مقياسان حقيقيان للوقوف على صلابة الأساس أو اهترائه. فمهما تُدوري من غش ومهما تُغفل الناس ومُكر بهم إلى حين، فإن عودة الماء إلى مجاريه الأولى لا تلبث أن تكشف



المستور، وتطيح بالدور و"الرؤوس" التي أُنعت وحن وقت سقوطها. وفي الأخير يموت صاحب الردم شهيدا كما في الحديث الشريف، ويبقى المُخلف شريدا طريدا. لاجئا أو مضيئا في خيمة أو عند الأقارب، في انتظار أن يحصل على حائط سرعان ما ينقض بفعل المطر أو أشياء أخرى.



الأماكن السياحية التي لا يعلم بها إلا قليل. فكلما حلّ البياض (على قلة زيارته) تذكر الناس صنفا من الناس يطلّ من على الشاشات يشكو الزمهرير وقلة ذات اليد ويطلب المساعدة العجلى. وكلما نزل الصقيع تتأبط عينة من "المستكشفين" عرباتها الضخمة وتنطلق في اتجاه "النيزك" الثلجي النازل الساقط. موسم للاحتفال البارد، ومهرجان طقسى (جاءت به تحولات الطقس) تُستعرض فيها الألبسة

القطنية والزلاجات والقفازات وأحدث أشكال النظارات السوداء (طبعا)، وتبسط فيه الموائد الساخنة قرب صفحة الماء الباردة. يحدث كل ذلك غير بعيد عن مساكن أشبه بالمغارات والكهوف، يُصورون أنفسهم وملؤون ذاكرة الهاتف المثخمة بمئات الصور، استعدادا لنشرها مساء في مواقع "الانفصال

ربما لا يعلم كثير من الناس أنّ من بينهم من يستبطئ حلول المطر، إمّا تصريحاً أو مداراة، خفية أو إعلانا. ينظرون بعيون متوجسة إلى نشرات الأخبار، وهي تبشّر أو تنذر بالعارض القادم.

هؤلاء الناس ليسوا تجارا من تجار "الحرب" والمصائب، أولئك الذين يجدون في كل "مصيبة" منفذا إلى تحصيل مزيد من المال، والانتفاع مما يحلّ فوق رؤوس الناس (الكمامات واللقاحات والمعقمات وغيرها كثير...)، وليسوا من ذوات الدم البارد، أو عشاقا للمحلّ والبيس. بل هم ببساطة أناس يعيشون داخل الشقوق وتحت السرايب، ويطعمون "حياة" كاملة هم وذرايرهم تحت الأنقاض والطلول. فإذا جاء الماء المنهمر تهاوت فوق رؤوسهم تلك الجدران والألواح المُسندة والأسقف والجدران التي تريد أن تنفض. الدور الآيلة للسقوط أو المتداعية أو المشقوقّة... كلها تسميات متعددة لنوع من الدور الرادمة، التي تأتي عند انهيارها إلا تأخذ معها ساكنيها القدامى، تردمهم وتطمهرهم وتدفعهم تحتها وتأخذهم في جوفها أخذ القبور.

عندما توجد السماء، يفرح الناس، ليس كل الناس.

فبينما تنفرج بعض الأفواه فرحا، تصطك الأخرى من شدة البرد والزمهرير. وبينما يجلب كثير من "عشاق" الثلج والبياض، أولئك الذي يبنون من الثلج رجل الثلج البارد ويتقاذفون كرات الثلج كما يُفعل في البلاد الباردة، عندما يجلب هؤلاء معاطفهم المنسية في الأصونة المغبرة، ويحملون مطرياتهم وهم يرهفون السمع ويصيخونه، ينتشون بقطرات المطر تنقر مطرياتهم وزجاج مركباتهم نقرا لذيذا يجلب النعاس. بينما يهجم هذا الهاجس اللذيذ عند قوم، يحضر الكابوس والخوف والترقب عند أقوام آخرين.

ليس اللوم على الصقيع ولا على لوازمه من برد وبرد وثلج وزمهرير، وليس العتب على من تدفأ حواسه في جو المطر والقر، ولا على نوع من الناس لم يَر قط ندف الثلج وهي تتمايل ساقطة فوق الأسقف الخشبية المهترئة، ولا يكون على الصبية الصغار يرون الماء المتجمد لأول مرة خارج التلاجات المبردات. إمّا تكون التهمة وسباباتها المشيرة على البنية التحتية (ولا بنية فوقية معها طبعا) المعدومة أو تكاد، في أماكن منسية متناسية، معاقل انتخابية موسمية، وممرات إلى



♦ عبد الحكيم برنود

## ركن بيتي حجر متصدّع





# أحمد حي بسنا

## الثوريون لا يموتون



• مبارك المتوكل

الممارسة النضالية وإصدار التوجهات والاستعداد للممارسة المهنية، وقد أثبت جدارته في العديد من المجالات، لقد استبدل البندقية بالقلم، وامتنع المحاماة كما امتنع الصحافة، اشتغل في المحرر ثم أصدر جريدتي المسار والطريق وعانى من مهنة المتاعب، كما عانى من الاستبداد والإرهاب وقمع الحريات، فقد عشنا معه المعركة السياسية داخل اليسار وفي مواجهة مسخرة المسلسل الديمقراطي، وحتى عندما فتح المخزن باب التعويض عن سنوات الرصاص بواسطة ما سمي بالإنصاف والمصالحة كنا معه من القلائل الذين رفضوا أن يتقدموا بطلبات التعويض انطلاقاً من رفضنا إغلاق ملف القمع والإرهاب وهضم حقوق الملايين أشخاصاً وجهات، وإيماننا منا بأنه لا مصالحة دون كشف الحقيقة وكان يحلو له أن يستشهد ببول إوار: "إن لم يكن إلا واحد فسيكون ذاك هو أنا."

استطاع أحمد بعد نظره وحسه النضالي المرفه وبواسطة إسهاماته النضالية والتنظيمية والنظرية أن يحول الحلم الذي راود العديد من المناضلين إلى حقيقة، بتأسيس حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي كمكون من مكونات اليسار المغربي، وكاستمرار للحركة الاتحادية الأصلية. ورغم أنه لم يكن من اليساريين فإنه كان لا يتأخر عن دعم الرفاق وأذكر أنه خلال سنة 1997 كان يجول المغرب طولا وعرضا للدفاع عن المناضلين الذين اعتقلوا بسبب الدعوة إلى مقاطعة الانتخابات.

لأحمد بن جلون وجه آخر، فهو ابن لعامل وشقيق لقائدين نقابيين هما عمر وعباس، لكن ليس هذا وحده ما يفسر ارتباط أحمد بالطبقة العاملة. إن اقتناعه بالفكر العلمي وبالدور الطلائعي للطبقة العاملة، جعله رفقة عدد من المناضلين ينخرط بحماس في اللجنة العمالية المتفرعة عن اللجنة الإدارية للاتحاد الاشتراكي، ليكون أحد المنظرين ومن أهم المؤطرين والمحضرين لميلاد الكونفدرالية الديمقراطية للشغل، والتي ظل مرتبطاً بها مدافعاً عن معتقلاتها ومصححاً لهفواتها. لكن رغم قساوته في النقد أحياناً فإنه ظل مرتبطاً بها كإطار نضالي يوحد الطبقة العاملة لمواجهة الاستبداد والفساد، ولعل خير شاهد على هذا الارتباط، أنه كان ضمن معتقلي إضراب 20 يونيو 1981، لقد غاب أحمد ولكنه لم يمت لأن الثوريين لا يموتون أبداً كما قال المناضل جورج حبش القائد المؤسس للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

أين كان هذا الشاب الذي ودع الوطن لاستكمال الدراسة، بعد أن عاش محنة العائلة نتيجة الحكم على أخيه عمر بالإعدام في مؤامرة 16 يوليوز 1963. لقد كان أحمد متشعباً بالفكر الثوري والقيم الإنسانية الرفيعة. لذلك ترك الدرس وحمل السلاح لينخرط مقاتلاً في الثورة الفلسطينية. وبدل أن يعود إلى الوطن مكللاً بالورود استقبله الجلاد في دار المقرري، حيث ذاق شتى أنواع التعذيب ليحال على السجن العسكري ثم على محكمة الجنايات بمراكش، ليصدر في حقه حكم بالسجن عشر سنوات. صادفت المحاكمة المحاولة الانقلابية الفاشلة لسنة 1971، لذلك جاءت الأحكام مخففة. وبعد إحالة المحكومين على السجن المركزي بالقنيطرة بدأت علاقتي تتوطد مع أحمد، بنجلون الذي كان بخلاف بقية المعتقلين لا يطلب إلا كتاباً أو مجلة، وكان علينا أن نحتال لإيصالها له بتغيير العنوان أو استبدال الغلاف. كنت آتي مع بعض الرفاق من أسفي، وكثيراً ما كنا نصادف أنسة تسبقنا أو تلينا ستصبح فيما بعد السيدة حرم المرحوم أحمد بنجلون.

أفرج عن أحمد قبل أن يكمل عقوبته كما أفرج من قبل عن عمر بعد أن حول حكمه من الإعدام إلى المؤبد. لكن الأخوين لم ينعموا إلا بلحظات لقاء محدودة، وقد ظل أحمد طيلة حياته يذكر أن طيور الظلام قد اختطفته منه لحظات الفرح التي كان يود أن يقتسمها مع الأسرة كلها باغتيال عمر.

أصبح بيت أحمد في زنقة الحسيمة محجاً للمناضلين الذين يقاسمونهم نفس الهموم وتجمعهم به نفس القناعات. على أن الخفافيش ظلت تتحين الفرص لإيذاء أحمد ورفاقه فتوالت الاعتقالات كان آخرها اعتقال 8 ماي 1983. التقينا في السجن حيث اكتشفت حقيقة الشخصية وظهرت لي بجلاء المواهب والمؤهلات التي ميزته، إذ لم يكن اعتقالنا من أجل جرم اقترفته بل من أجل رأي وتصور لمستقبل شعب ومصير أجيال. حينها كان أحمد يجمع بين

# أحمد بنجلون

## عندما يصبح التابوت عربة للنصر

**يوم 2 فبراير حلت الذكرى السادسة لوفاة الفقيه أحمد بنجلون، الذي ترك غيبابك الجسدي فراغا كبيرا، يجملنا كل يوم نشمر بحجم خسارة مناضل اجتمعت فيه كل مواصفات القائد السياسي الذي بقي وفيما للمبادئ في زمن صارت فيه الانتهازية هي الممثلة الأكثر رواجاً.**

إن واجب الاعتراف والذاكرة يفرضان أن لا ننسى ما قدمه لهذا الوطن، ولقضية تحرر الشعب المغربي من التخلف والظلم والاستبداد.. والدين الذي علينا اتجاهاه يدعو إلى أن تبقى ذكراه حية حتى لا يقال أن تضحيات عظماء هذا الوطن قد ذهبت سدى.

إن الشعب الذي يفقد ذاكرته الجماعية، يفقد معها هويته الوطنية.. وعندما ينسى الناس تاريخهم فإنهم يعيشون منقطعين عن أهم ما يحفزهم على مقاومة الظلم، والنضال من أجل الحرية والكرامة، وتصبح اللامبالاة والسلبية سلوكاً مترسكاً في حياتهم.

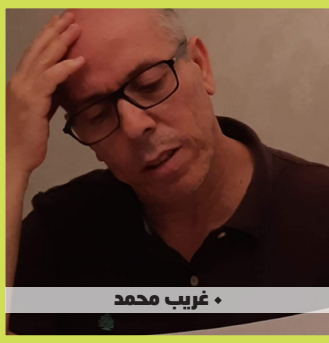
إن ما نعيشه اليوم من مآسي يعود في جزء منه إلى ذاكرتنا القصيرة، إذ كيف يعقل أن الشعب الذي يجر خلفه تاريخاً حافلاً بالأمجاد في مقاومة الاستعمار والظلم والاستبداد يقبل أن يعيش هذه الحالة من التردّي، حيث تزداد بلادنا تراجعاً.. والأهداف النبيلة التي ضحى من أجلها عظماء هذا الوطن أصبحت بعيدة المنال.. بل إن الواقع يزداد سوءاً لدرجة أن أكثر الأفكار والآراء تخلطاً أصبح أصحابها لا يجدون أي حرج في ترديدها وبافتخار، مما يكشف عن حجم التراجعات والهزائم.

لقد كان للفقيه أحمد بنجلون قدرة فائقة على تطويع اللغة لكي يعبر عن أكثر الأمور تعقيداً.. وأمام الانهيارات والخianات كان يردد متأسفاً عبارة "لم نعد نعرف من هو من؟".

ولكن مع ما وصلنا إليه اليوم كان سيضطر إلى نحت عبارات أكثر بلاغة للتعبير بدقة عن التردّي الكبير الذي وصل إليه مجتمعنا.

**من كان يتصور أنه سيظهر بيننا من يبنهج لقرار التطبيع مع الكيان المنصري؟**

إن أحمد بنجلون الذي عاش زمن جمال عبد الناصر، وتشّي غيفارا، والمهدي بنبركة حيث كانت القضية الفلسطينية هي البؤرة التي تختصر مضمون الصراع القائم بين حركة التحرر الوطني العالمية من جهة، والقوى الاستعمارية من جهة أخرى، لم يكن ليتفاجأ بالموقف الرسمي للنظام المغربي، لأنه يعرف جيداً طبيعة هذا النظام، ولكن أكيد أنه كان سيتألم وهو يشاهد كيف تم اختراق مجتمعنا.. وكيف تحولت الصهيونية التي كان يقول عنها أنها تمثل "المادة الكاشفة للفاشستية" في عصرنا الراهن، إلى حركة "لأبناء عمومتنا" كما يسميها المهزولون الذين أصبحت الرواية التوارثية



• غريب محمد

مرجعاً تاريخياً بالنسبة إليهم. لقد كتب الفقيه أحمد بنجلون في مذكراته إن فلسطين "كانت في الدم منذ النكبة.. وهناك ندوب تحفر في الذاكرة منذ الصغر ولا يمكن محوها..". وقد كان وفيماً لهذه الذاكرة وانخرط في الكفاح المسلح إلى جانب الفدائيين الفلسطينيين على الجبهة السورية والأردنية وكان مستعداً للموت من أجل فلسطين لأن المبادئ لا تتجزأ كما كان يؤكد في مواجهة من كان يسميهم بـ"المنزلقين والمتملقين والانتهازيين".

**ولكن كيف وصلنا إلى هذه الحالة؟ وهل يمكن أن يكون هذا هو قدرنا المحتوم؟**

كتب جورج أورويل في روايته الشهيرة "حظيرة الحيوانات" أنه "في الماضي كان يتم أجلاً أم عاجلاً إسقاط الطغاة، لأن الطبيعة البشرية في النظام الطبيعي للأشياء كانت دوماً توافقه إلى الحرية.. ولكن لا شيء يضمن أن هذه الطبيعة البشرية ستبقى من الثوابت في النظام الطبيعي للأشياء، لأنه من الممكن جداً أن يتم التوصل إلى إنتاج سلالة من الناس فاقدة لأي رغبة في الحرية أي تماماً مثل إمكانية خلق سلالة من الأبقار بدون قرون".

هناك فعلاً محاولات حيثة لتطويع الناس.. ولكن هكذا كانت دوماً تجري الأمور، والعمل السياسي لم يكن يسير أبداً في خط مستقيم.

لقد كان أحمد بنجلون يرفض تلك النظرة الطوباوية للنضال، لأنه كان يعتبر أن التغيير ليس عملية صافية ونقية بالمطلق، ولكنه عملية معرضة لكل الاحتمالات.. وأن الخianات يمكن أن تحدث، وغالباً ما كان يحذر من أن "النفس أسارة بالسوء" وأن الهزائم ممكنة أيضاً في كل معركة من المعارك.. وهذا المنطق الجدلي هو الذي كان يجعله يثور في وجه كل من يزايد عليه، لأنه كان يعرف أن وراء هذه الثورة الصورية استعداداً للانقلاب على المبادئ عند أول امتحان. لقد عايش كثيراً من هؤلاء الذين تم "استردادهم" في آخر المطاف كما كان يحلو له أن يقول.

أحمد بنجلون جسد بنضاله وأسلوبه في الحياة ما قاله نابليون بونابرت على أن "الفائد هو تاجر أمل".. هكذا كان في حياته وحتى بعد غيابه الجسدي.. إنه التجسيد الحي لانتصار القيم الإنسانية النبيلة على الغرائز السفلى التي تحكم في الطغاة بمختلف درجاتهم والانتهازيين بمختلف تلاوينهم.

لقد دخل التاريخ من بابه الواسع وسيبقى حياً في ذاكرة كل الأحرار في هذا الوطن وسيبقى اسمه خالداً في ذاكرتنا الجماعية يحفزنا على مواصلة النضال من أجل الحرية.



## أحمد بنجلون

## الرحيل القاسي

• رشيد الإدريسي

## الفارس المهورس بالعطاء

والآن يحق لك أن ترتاح، وأنت الذي خضت معارك الحياة من أجل فكرة، من أجل حلم بسيط، هو أن نستفيق في إحدى الصباحات، لنلتحف بنسائم الحرية.. يحق لك أن ترتاح فالشهداء، يعودون متى شاءوا لأنهم أحياء.. يعودون أتي شاءوا لأنهم أحرار.. يحق لك أن ترتاح، لأنك كما قلت لنا يوما "إن مستقبلي ورائي".

فالجسد متعب، لكن القلب ظل يخفق بالمحبة والفرح، نعم الفرحة.. لأنك كنت قادرا حتى في أقصى اللحظات، وأصعبها أن تتلمس الآتي وتبشر به.. كنت بطلا ملحما، ليس فقط لأنك هزمت الجلال والأقبية والقسوة.. وسجنت الجلال في قلعة صمودك الأسطوري.. وتجرعت جحيما الألم وظل قلبك طريا..

وذرفت بين رفاقك الدموع، حين اكتشفت يوما، أنك أصبحت أكبر من أخيك الأكبر عمر.. بل لأنك اختزلت كل المعاني والدلالات، إن القهر والاستبداد مهما اشتدا وتغولا لا يمكن أن يقهرا شعبا عصيا على التحطيم.. كنت وأنت تصارع الجلادين، الذين كانوا غير قادرين على الاقتراب منك، إلا والقيود في يديك خوفا منك، لأنك افترست الخوف وقتلته في مهده، كنت تدافع عن إنسانيتك وكبريائك وأصالتك وكرامتك..

لم يكن الجلال في جبروته وقسوته سوى التعبير عن الحكم المطلق الذي له وجه آخر هو التعذيب المطلق للإنسان المعزول والمحاصر..

والعبث بالجسد وتمزيقه واقتلاع إنسانيته والسعي إلى هزمه..

لكنك يا أحمد قاومت الحكم المطلق داخل الأسوار وخارجها، ليس دفاعا عن إنسانيتك، مع أنك تدرك ما معنى أن يفقد المناضل كينونته وإنسانيته.. بل دفاعا عن شعب يأبي الاستسلام..

دفاعا عن شعب قد يتعب أو يضجر لكنه لن يركع..

## إذا مددنا أيدينا فلن نقدر أن نمد أعناقنا

وكان لسان حالك يقول للذين يريدون اختزال المصالحة، لن أسمح لأي كان أن يقيس عذاباتي ويزنها ويعطيها مقابلا ماديا، كنا نعرف المعنى السياسي لذلك



• رشيد الإدريسي

"إن مددنا أيدينا فلن نقدر أن نمد أعناقنا.."

ولطالما كنت تقول بافتخار وكبرياء، إننا مناضلون ولسنا ضحايا، وإن ما قمنا به من نضال وكفاح، وما تحملناه من تضحيات هو من صميم مبادئنا وقناعاتنا.. وكنا نعرف أنهم مثل التاجر المخادع يأخذ، و يقايض دون أن يقدم لك أي شيء.. وكنت تواجههم بسخريتك القاسية وتقدم لهم تحديا، هو أن يصححوا واحدة فقط من آثار التعذيب على جسدك، أي أن يجعلوك قادرا على أن تلبس نفس المقاس في زوج حذائك، الذي جعل أحد قدميك أصغر من الأخرى بسبب التعذيب..

وحين تسلل البعض لقبرك، كنا نقول على لسان رفيق دربك عبد الرحمان بنعمرو بجراته المعهودة وكبريائه، وهو يرثيك ويودعك، إن المصالحة الحقيقية هي حرية وكرامة الشعب..

يحق لك يا أبا محمود، أن ترتاح فالربيع المغربي قادم كما قلت وليس الربيع المخزني، قادم من تخوم أهات البسطاء وأوجاع الكادحين، يحق لك أن تفرح وتغني كما كنت مبتسما ومعانقا للحياة، وأنت الذي دقت طعم انتصار الشعوب ضد الطغاة وتعلمت منها، وصغت إلى جانب رفاقك تجربتك الخاصة، التي كنت دائما تعتز بها وبأخطائها، وأدركت منذ زمن بعيد أن النضال داخل الوطن هو جزء من نضال الأحرار في العالم، ولذلك جسدت بعمق أمميتك في فلسطين وسوريا والجزائر وفرنسا..

## الأصيل

وأنت، يا ابن الأصل والفصل والحسب والنسب "الاتحاد"، الذي خضت باسمه ومن أجله، وفي خضمه نضالا طويلا متعدد الواجهات، ودافعت عن هويته وتاريخه وشهداءه، وتعذبت وتمزق جسدك من أجله ومن أجل اسمه، ولذلك حين ناقش الإخوان قضية تغيير الاسم، كنت تبذع في الصيغ لتحافظ، على اسم الاتحاد وأذكر أنني في ذلك الاجتماع التاريخي، وكنت أصغر عضو فيه، لم أرغب أن أصوت ضد معظم القيادات التاريخية، التي كانت لها نفس القناعة تعاطفا وتأثرا بحساسية الموقف، وفضلت أن أمتنع لكنك كنت مصرا على أن يعبر الكل عن اختياره، وتقبلت بحزن وتأثر نتيجة التصويت..

## حيث تكتب وتفكر حرا

وحين تكتب، كنت تنظر إلى أعماقك أولا وتنصت إلى إيقاعها وتكتب، يسكنك الإنسان وتسكنك قيم الحرية، فالكاتبة لديك ليست جولة خاطفة أو طائرا يحلق بلا هدف، الكتابة اقتحام واشتباك وغوص في تفاصيل الوطن الجريح، والكتابة بين أصابعك بوح وسفر عميق، تسوق فيه المعاني إلى لحظة المكاشفة، وتسمي الأشياء كما هي بدون رتوش، كنت تقول ما تفكر فيه وتكتب ما تفكر به، كنت تكتب وتطوع اللغة وتبذع فيها، وتنهل من ثقافتك الواسعة وانفتاحك، وروح الشعر التي تسكن أضلاعك، وتجعل السخرية وخزا قاسيا، كنت تبذع كمثقف صادق وصحافي متمرس ومحامي نزيه، كنت تعيش حريتك وكرامتك في الكتابة وفي كل شيء، في حياتك، تلك الحياة التي كنت فيها تنوعا وبسيطا، وغنيا بروحك وكبريائك، حيث لم يكن المال وجهتك ولا صديقك..





## الرجيل القاسي

## أحمد بنجلون

• رشيد الإدريسي

كنت حرا في صياغة الموقف السياسي والفكري، كنت تدرك أن القائد السياسي، يفقد عزريته إذا فقد استقلاليته وحرية، ولذلك كنت متمردا على الطقوس والأعراف، تفهم الإشارات والرموز ولذلك كنت تصرخ في وجه من يستهين بها..

## الحضور الدائم

وفي كل المحطات، كنت حاضرا متحفزا، يقظا ومبدعا، مع العمال والشباب والنساء اللواتي رافقتهن في معركة الكرامة وأطلقت بفرح اسم حركتهن في ذلك المساء بالبيضاء، بلغتك الفرنسية الراقية، وكنت تدرك بخبرتك أن الولادة ليست هي الوحيدة التي تكون عسيرة.

انهض يا أحمد ففي هذا الصباح الحزين بالرباط، وحده رذاذ المطر كان يبلل الوجوه البهية، التي يعتصرها الحزن، الكل جاء ليوذعك، كل الأحبة جاؤوا ليووقعوا ميثاق الوفاء، وتلك الوجوه البهية والوفية التي لازمتك في رحلة الحلم، من المدن والقرى جاؤوا، من تخوم الجرح جاؤوا يلفهم الحزن وتخنعهم حرقة الفراق.. لم يفقدوا القائد والزعيم والمؤسس فقط، بل فقدوا الأب والأخ الذي أحبوه وعشقوه وأعجبوا به، وغضبوا عليه وتحملوا غضبه، وتعلموا منه الشجاعة والوضوح والمروءة والكبرياء، وتعلموا منه أن السياسة التزام وأخلاق وثبات، تعلموا منه أن الإنسان لا قيمة له إذا فقد هويته وتعرض للمسح..

## استفتاء الموت

والآن يحق لك أيها الفارس العنيد أن تنهض..  
بعد أن قام الموت باستفتاء نزيه لمشاعرنا..  
وتوجك حارسا لحلمنا من الطغاة والبراري والذئاب الوديدة..  
التي لا تفلت من قبضتك حتى وأنت مقعد على الكرسي..  
حتى وأنت تغازل الحياة بين أصابعك لتمنحك حقا كاملا..  
وهي التي لم تكن لا سخية ولا عادلة..  
يحق لك أن تنهض وتحتمي قوة الصباح في شوارع الرباط..  
وأن تتسج خيوط الضوء ضد العتمة..  
وتعشي بين الأزقة والمدن والقرى تتأمل الوجوه..  
وترسل كعادتك الرسائل المشفرة "سناوصل نضالنا من أجل ربيع مغربي وليس ربيع مخزني"..  
انهض لتواصل فرك الذي انفجر، حين خرج الشباب في فبراير لاستعادة مجد الحرية، هذا الشباب الذي كنت في مسارك مواكبا وفاعلا، وموجها لحركته، سيحتاجك ويشتاق لقوة ولمعان كلماتك، وحواراتك الساخنة معه، وحتى الاشتباك معك، الذي كنا من خلاله نتعرف عليك وتتعرف علينا، وتحتمي باندفاعنا وعنقواننا..

ونستحضر ذلك الصباح المشمش من سنة 1996 بالرباط في المجلس وطني للشبيبة حين، وقفت بعد ليل طويل وعاصف، رغم تباين التقديرات، لتحيي شبابا لم تفتّر عزيمته وقوته، وتسر له باعتزازك، لأنك كنت تكره دائما الضعف وأن يستسلم الإنسان لضعفه وتردده، كنت تبحث عن نفسك في كل واحد فينا، تبحث عن الإصرار والعناد الجميل، أنت الحريص على الهوية والمسار..  
سنحتاجك حين نريد أن نعزف نشيد الحرية..

سنحتاجك يقظتك ووضوحك..

حين نريد صياغة أجيادية فعلنا السياسي، الذي جعلته رديفا للنزاهة والصدق..  
والتي لم تستطع أكثر اللحظات قسوة وقهرا وحصارا أن تبعدك عن روح البدايات ووصايا الشهداء..

ونحتاج صوتك المجلجل حتى لا تخنقنا الأصوات المبحوحة..

ونعشق فصاحتك، لنعيد للكلمة الحرة بهاءها ونقاءها..

يحق لك أن تستريح، وأن تحتفي بهج البحر، وهو يفتح ذراعيه للأفق..

وبأصوات النوارس المتعبة، وبغيمة تائهة في المحيط..

ففي المساء سنعود إليك لنلمس وجهك وننصت لأهاتك..

سنعود إليك من حقول جريشة ومن شارع منهك..

وذاث مساء سنعود إليك وفي اليد باقة أمل، وفي العيون إشرافه وطن.



"أبناء عمومتنا"... ما هي إلا محاولات لإخفاء هذه الحقيقة الموضوعية وتبرير الهرولة والانبطاح.

إن ابتزاز الصهاينة لا حدود له وهم خبءاء في هذا المجال.. وكلما حصلوا على تنازلات زاد ضغطهم للحصول على المزيد.. ولقد شاهد الجميع رئيس الوزراء الإسرائيلي وهو يفتخر بتطبيع العلاقة مع النظام المغربي وخلفه خريطة تظهر فيها الصحراء المغربية مفصولة عن بقية التراب الوطني. إنه ابتزاز واضح موجه للسلطات المغربية، بمعنى إذا أردتم اعترافنا بمغربية الصحراء فلذلك ثمن آخر غير تطبيع العلاقات، وبعد ذلك سوف ينتقلون إلى المطالبة بتعويض اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل، رغم أن الحركة الصهيونية هي التي قامت بتهجيرهم وسمحت لهم بالسطو على بيوت الفلسطينيين وممتلكاتهم.. وهكذا كلما تنازل المطبوعون كلما زاد الضغط.

هذه هي الحقيقة المرة التي يحاولون إخفاءها.. ولكن كيف وصلنا إلى هذه الحالة ؟ وكيف أصبحنا مضطرين للدفاع عن البديهييات ونجد صعوبة في إقناع الناس بالحقائق الصارخة ؟

صحيح أن الصهاينة قد نجحوا في اختراق مجتمعاتنا وأن الأنظمة القائمة قد ساعدتهم في تحقيق هذا الاختراق معتقدة أن ذلك سيساعدها على تصفية القضية الفلسطينية، ولكن كيف غاب عن الحكام أن "إسرائيل" تشكل ليس فقط على الشعب الفلسطيني وإنما على كل الشعوب العربية والإسلامية بل وحتى على كيان الدول القائمة.

إن "إسرائيل" كانت ولا زالت أداة لتنفيذ المخططات الاستعمارية في العالم العربي والإسلامي.. هذه المخططات التي تهدف إلى تقسيم الشعوب على أسس طائفية وعرقية ودينية لتقضي بذلك على كل محاولة للنهوض والتحرر من التبعية والتخلف.. ومعروف أن "إسرائيل" تحمل عقيدة الحرب على المجتمعات وتشجع حرب المجتمع على نفسه.. ومعروف دورها في بعض المناطق حيث يتم التحريض على الآخر.. ويتم تقديم الخلاص على أنه في انكسار كيان الدولة وفي قيام كيانات عرقية تشبه في طبيعتها الكيان الصهيوني القائم على رابطة الدين والصفاء العرقي.

السؤال الكبير الذي يفرض نفسه هو: إذا وجدت "إسرائيل" في مجتمعاتنا من يريد الخروج من التاريخ والعودة إلى القبيلة والعشيرة.. وإذا وجدت بيننا من يسك معها بالطرف الآخر من المسطرة العنصرية كما كان يقول الشهيد غسان كنفاني.. فكيف تقبل الدولة أن تفتح حدودها وأراضيها أمام من يهدد سيادتها ويخطط لتفكيكها ؟

### تطبيع مع سبق الإصرار



وأن بناء جدار الفصل العنصري وبناء المستوطنات على أراضي الفلسطينيين هي أمور طبيعية.. وأن غير الطبيعي هو أن يقاوم الفلسطينيون نظام الأبارتايد المفروض عليهم بقوة الحديد والنار.

إن الحقائق اليومية تؤكد على أن الصهيونية لازالت وفية لثوابتها وأن مقولة الزمن المتغير لم تخترق سوى الوعي المهزوم الذي يطلب من الشعوب العربية والإسلامية أن تعيد صياغة مواقفها.. وتقوم بعملية تطويع ذاتي تؤدي ليس فقط إلى القبول بالهزيمة بل تؤدي إلى الإلغاء الذاتي والتنكر للتاريخ وللضحايا واعتبارها خطيئة تستدعي إعلان التوبة وطلب الغفران.

لقد كان أول ضحايا الدعاية الصهيونية هم أصحاب الشخصية المهزوزة والضعيفة الذين فقدوا البوصلة وتمكن منهم اليأس.. إنهم مستعدون للقيام بالتطويع الذاتي والانكسار أمام غطرسة الصهاينة.. ولتبرير انهزاميتهم يحاولون الظهور بمظهر المتسامحين والهادئين الذين يرفضون التعصب والتمييز العنصري. إن دعاة التطبيع يبشرون في الواقع بأيدولوجية الانهزام التي تسعى إلى ضرب الأسس الموضوعية التي يقوم عليها النضال من أجل الحرية والكرامة.. إنهم يقبلون أن يبقى تاريخ الصهيونية ثابتا وطاهرا لا يمس أي تغيير.. وأن تبقى سياستها العدوانية كما هي.. وبرامجها التعليمية التي تغرس في نفوس الأطفال اليهود كراهية واحتقار غير اليهود، وتعتبر قتل الفلسطينيين واجبا دينيا.. وفي نفس الوقت تقوم نحن بتغيير مواقفنا وصياغتها بشكل يتوافق مع مخططاتها الاستعمارية والعنصرية.

إذن فالتطبيع باختصار وبكل بساطة يعني السيطرة والإخضاع من جهة والاستسلام والهزيمة من جهة أخرى.. وكل الثثرة حول منطق العلاقات الدولية والتسامح بين الأديان وحماية

كشف قرار النظام المغربي تطبيع العلاقات مع "إسرائيل" عن حجم الاختراق الصهيوني للمجتمع المغربي.. فقد تعالت أصوات مؤيدة لهذا القرار في الوقت الذي كانت فيه أغلبية المواطنين تحت تأثير المفاجأة.

ويجب الاعتراف أن هذا تحول كبير ومفاجئ في تعامل فئات معينة مع كيان عنصري واستعماري كان إلى حد قريب يعتبر العدو الأول للأمة العربية والإسلامية.. هذا التحول الذي حصل في الوقت الذي تزداد فيه عزلة هذا الكيان على الصعيد العالمي.. وتستفحل أزماته الداخلية.. وتتكشف أمام الرأي العام العالمي طبيعته الفاشستية. إن هذا النجاح السهل الذي حققته الدعاية الصهيونية يكشف عن هشاشة المجتمع المغربي الذي فقد الكثير من مناعته أمام الغزو الثقافي.

إن العقل السليم لا يحتاج إلى أدلة ليتأكد أن "إسرائيل" هي التجسيد الحي للشعر في عالم اليوم، إذ تكفي العودة إلى تاريخها الدموي وإلى الوقائع والأحداث اليومية للتأكد أنه لا يمكن أن تكون العلاقة طبيعية مع كيان غير طبيعي، إلا إذا اعتبرنا القتل والاحتلال والعنصرية أمورا طبيعية.

لكن هؤلاء المهرولين لم ينتبهوا إلى أن دعوتهم للتطبيع مع "إسرائيل" هي دعوة من جانب واحد.. وأنها ليست نتيجة لحوار متكافئ بل هي نتيجة للابتزاز والضغط والإخضاع.

إنهم يقولون أن الزمن تغير وهو ما يفرض تغيير المواقف.. ولكنهم يقفزون على حقيقة أن الزمن المتغير يفرض أن يكون تغيير المواقف متبادلا، وخاصة من طرف الجانب المعتدي. غير أن الواقع يقول العكس تماما ف"إسرائيل" في الوقت الذي تعطي لنفسها حق احتلال أراضي الفلسطينيين فإنها تنفي عنهم حقهم في الدفاع عن وطنهم.. وهي اليوم تسعى مع سياسة التطبيع إلى أن ترسخ في الأذهان أنها تسعى إلى السلام ولكنها لم تجد شركاء من أجل ذلك في الجانب الفلسطيني..

# التطبيع وخطر تفكيك الهوية الوطنية

♦ محمد العربي



# عودة المؤامرات إلى الجزائر بهمجية أكبر

• يزيد البركة



نطاق واسع، وعوض بالجنرال نور الدين مقري الذي كان قد أقاله قايد صالح لأنه من المقربين من الجنرال توفيق، وهذان الأخيران: توفيق ومقري هما من أسسا شبكة من الجواسيس في الصحراء المغربية ولاس بالماس تعتبر احتياطا مهما للأجهزة الأمنية. ومن تهم شنقرية ضد بوزيت أن فشل الكركات راجع إلى أن بوزيت بدد كل ما بناه مقري في الصحراء "الغربية"، ولو كان مقري في منصبه لالتحقت شبكة الصحراء ولاس بالماس بالمتحجين ولكان الأثر السياسي قويا.

هذه الإقالة وغيرها التي حصلت في المدة الأخيرة ليست معزولة، فقد كانت جون أفريك قد تنبأت بقرب عزل علي بنعلي رئيس الحرس الجمهوري القوي وقد ذكرت جريدة الكترونية تطلع جيدا على ما يجري داخل نخبة النظام أن علي بنعلي رفض تقديم استقالته التي طلبها منه شنقرية في إطار مخطط بينه وبين نزار للإطاحة بتيار قايد صالح في كل الأجهزة، وحيث أن قوة عسكرية توجهت إلى مقر علي بنعلي وجرى إطلاق نار نقل على إثره عدد من الجرحى إلى مستشفى بايطاليا لأنهم تخوفوا من المستشفى العسكري الذي يعد مقبرة للضباط.

من كل ما تقدم يتبين أن المستقبل مظلم بالنسبة للشعب الجزائري لأن طبيعة الأشخاص المتحاربين طبيعة عدوانية لا تتورع عن استعمال كل وسائل التآمر البشعة لتحقيق الهدف، ومعروف عن هؤلاء التخطيط للمؤامرات داخليا وخارجيا، تحت غطاء التودد والابتسام ولا يكشرون عن أنيابهم إلا بعد إحكام خيوط المؤامرة على من يستهدفونه.

ما يتسرب من مؤشرات المخاطر الأمنية والسياسية بلغ الذروة في الجزائر منذ شهر تقريبا، وكانت البداية العملية منذ تاريخ وفاة قايد صالح أو التخلص منه. فقد تتابعت عمليات اغتيال للجنرالات المحسوبين على قايد صالح في الأسابيع الماضية منهم سليم قرادة، وقبله بأسبوع وجد الجنرال عمار بوسيسي مذبوحا في سيارته. ولو كانت هذه الاغتيالات معزولة لقليل أن وراءها يد خارجية، لكن مع تتبع ما يجري داخل النخبة الحاكمة يتبين أن الصراع على أشده بين جناحين أساسيين، الأول يضم الجنرالات الذين ينعتون بجنرالات فرنسا لأنهم كانوا في الجيش الفرنسي وهم فئتان فئة انضمت لجيش التحرير الجزائري في 1958 وفئة ثانية انضمت في 1964 في إطار اتفاق بين بومدين ودوغول. والثاني يضم جنرالات يصفون أنفسهم بأنهم أبناء الثورة وذوي ثقافة عربية.

في عهد قايد صالح انعزل هذا الأخير بمؤسسة الجيش مسيطرا عليها وترك الاستخبارات والأمن مكرها للرئيس بوتفليقة، لكن بعد الإطاحة به مستعينا بتأثير الحراك وجه ضربات موجعة للاستخبارات والأمن والدرك، وأقال العديد ووضع العديد في السجن لكن بعد موته الغامض استعاد من كان في السجن حريته مثل الجنرال توفيق وعاد من كان منفيا مثل الجنرال نزار بتخطيط من شنقرية، وقبل هذا تمت الإطاحة بالمسؤول الأول للاستخبارات الخارجية محمد بوزيت الذي خطط للعملية الفاشلة في الكركات وخطط لعملية أخرى فاشلة لإرشاء رئيس مفترض في النيجر أثناء الانتخابات، حيث كانت فضيحة مدوية تناولتها الصحافة على





خلال إعادة إصلاح منظمة التحرير الفلسطينية تطويراً وتفعيلاً وفق ما توافقت عليه في العام 2003 و2005 و2011 في القاهرة، على أسس سياسية وديمقراطية، وتحقيق شراكة وطنية كاملة، وجعل وثيقة الوفاق الوطني في العام 2007 سقفا سياسيا لمنظمة التحرير الفلسطينية.

غير أن السلطة الفلسطينية لم تبادر إلى اتخاذ خطوات جادة في سياق التحرك لرأب الصدع والانقسام في الساحة الفلسطينية. وأبقت على رفضها وقف التعاون مع الكيان وإدارة الرئيس الأمريكي ترامب، من دون اتخاذ أية خطوات عملية، كمؤشر على جديتها. ومن خارج المتوقع ومن دون علم الفصائل، تحركت مياه الانقسام الراكدة بين فتح وحماس، من خلال إطلالة إعلامية لكل من الشيخ صالح العاروري نائب رئيس حركة حماس، وجبريل الرجوب عضو اللجنة المركزية لحركة فتح في تموز 2020، تأكد من خلالها أن سياقاً حوارياً ثنائياً قد قطع شوطاً متقدماً بين الحركتين. نتج عنه لقاء تمهيدي للفصائل في رام الله أواخر تموز، ولقاء الأمناء العامين في بيروت ورام في 3 أيلول 2020، ولقاء ثنائياً بين حماس وفتح في اسطنبول أواخر أيلول 2020. وقد اتفقا خلاله على إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية والمجلس الوطني الفلسطيني. غير أن خلافاً قد برز بين الحركتين يتعلق بمفهوم التوازي والتوالي لتلك الانتخابات، حيث اتهمت فتح حركة حماس أنها تراجعت عن الاتفاق على توالي الانتخابات الثلاثة. وما زاد الأمر سوءاً إعادة السلطة تعاونها مع الكيان بشتى المجالات، ووافقت على استلام أموال المقاصة المستحقة للسلطة لدى الكيان لصهيوني. مما أعاد مشهد التفاوض بإنهاء الانقسام إلى المربع الأول، أي ما قبل لقاء الأمناء العامين في أيلول، ونسف مخرجات ذلك اللقاء.

وكما بدأت حوارات حماس وفتح في تموز الماضي من دون مقدمات، تراجعت حركة حماس عن اشتراطاتها بتوازي الانتخابات، والموافقة على تواليها، من خلال رسالة بعث بها السيد اسماعيل هنية رئيس حركة حماس، لرئيس السلطة الفلسطينية، التي رحب بها. خطوة حماس بررتها بتلقيها نصائح تركية ومصرية وقطرية مع ضمانات مقدمة من تلك الدول بإنجاز الانتخابات بمراحلها الثلاثة. بعد موافقة حماس أصدر السيد محمود عباس رئيس السلطة المراسيم اللازمة لإنجاز الانتخابات الثلاثة بتواريخ محددة، تبدأ في أيار القادم بانتخابات التشريعي، وتنتهي في

لم يعد خافياً ما تتعرض له القضية الفلسطينية من مخاطر وتحديات هي الأكثر خطورة، من قبل الولايات المتحدة والكيان الصهيوني. حيث بذلت إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، وحكومة العدو الصهيوني برئاسة بنيامين نتنياهو، جهوداً محمومة هدفت ولا زالت إلى تصفية القضية الفلسطينية، عبر عدة مسارات. الأول، إبقاء السلطة الفلسطينية على ثلاثة رهانات، عبر عنهم رئيس السلطة السيد محمود عباس في اجتماع الأمناء العامين في بيروت ورام الله في 3 أيلول من العام الماضي، حيث أكد على التمسك بـ "حل الدولتين"، والتمسك بالريعية الدولية، واستئناف المفاوضات. والثاني، تمثل في الإعلان عما تسمى بـ "صفقة القرن"، ومقدماتها، الاعتراف بالقدس الموحدة عاصمة للكيان، ونقل السفارة الأمريكية من مغتصبة تل أبيب إلى مدينة القدس. وبالتالي تنفيذ "خطة الضم"، التي وإن قد تم تأجيلها فهي تنفذ على الأرض، من خلال السياسات التي تتبعها حكومة كيان الاحتلال. والثالث، مسار اتفاقات التطبيع التي وقعت كل من الإمارات والبحرين والسودان والمغرب، مع كيان العدو الصهيوني. تلك الاتفاقات التي تتخذ سياقاً خطيراً لتشكيل تحالفات خدمة لتحقيق هدفين متلازمين، الأول، لاستبدال أولويات الصراع، بدل أن يكون مع كيان الاحتلال الصهيوني، ليتحول صراعاً مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومحور المقاومة. والثاني، تهميش القضية الفلسطينية، من خلال عزلها عن واقعها العربي والإسلامي، تمهيداً لتصفيتها، وفرض حلها وفق الرؤية الصهيونية، القائمة على أساس خيار الوطن البديل (الخيار الأردني)، في انتظار تغير في بينات المملكة الأردنية، بالمعنى السياسي والاقتصادي والديمقراطي. لأن هناك قناعة راسخة لدى الحركة الصهيونية، أن الأردن لا يمكن أن يبقى على وضعه الراهن، بل سيشهد تحولات تسهل تنفيذ وتطبيق خيار الوطن البديل للفلسطينيين.

لقد شكل الموقف الفلسطيني الرفض لـ "صفقة القرن" على المستويين الرسمي والشعبي، فرصة حقيقية أمام الفصائل الفلسطينية، لصياغة رؤية وطنية شاملة لمواجهة الصفقة، والتحديات التي تحاول فرضها على عناوين القضية الوطنية. وذلك من خلال تنفيذ مقررات المجلس المركزي والوطني، لجهة وقف العمل باتفاقات "أوسلو"، وسحب الاعتراف بالكيان، ووقف التنسيق الأمني، وبرتوكول باريس الاقتصادي. وصولاً إلى إنهاء الانقسام من



♦ رامز مصطفى  
عضو المكتب السياسي في  
الجهة الشعبية لتحرير فلسطين -  
القيادة العامة

## العمل الوطني الفلسطيني

### بيد الانقسام وأمال الوحدة

# العمل الوطني الفلسطيني

## بين الانقسام وآمال الوحدة

♦ رامز مصطفى

جائزة ترضية للآخرين، مقابل تمرير التأكيد على أن الانتخابات التشريعية مدخل للشراكة الوطنية، وهي غير ذلك تماماً. بل خطوة الاجتماع القادم لطمأنة المتوجسين من الفصائل حول استكمال تنفيذ ما يتعلق بالمجلس الوطني.

4. تكريس مظاهر الانقسام بين الضفة والقطاع، أولاً، بتشكيل محكمة قضايا الانتخابات، التي تشكل توافقاً من قضاة بالضفة وغزة والقدس، وجعل مرجعيتها مبهماً بعد الخلاف على تشكيل المحكمة الدستورية. وثانياً، تولي الشرطة في الضفة مسؤولية أمن الانتخابات هناك، على أن تتولى الشرطة في القطاع مسؤوليات الأمن الانتخابية. 5. ترحيل معالجة إفرازات الانقسام بكل جوانبها الإنسانية والاجتماعية والقانونية، إلى ما بعد انتخابات المجلس التشريعي وتشكيل الحكومة. وكان المعالجة مشروطة باستكمال وإنجاز انتخابات التشريعي.

المؤسف أن التطلعات المعقودة على حوارات الفصائل لم تكن على قدر النتائج التي خلصت إليها تلك الحوارات، حتى من داخل بعض الفصائل والعديد من النخب الفلسطينية على كافة مستوياتها. وبالتالي هناك مخاوف مشروعة تتعلق بالتطورات السياسية، لجهة تحريك مياه المفاوضات الراكدة بين السلطة والكيان، بدفع من إدارة الرئيس الأمريكي بايدن، والريابعية الدولية، وواقع إقليمي تبين أنه هو من ووقف خلف إقناع حماس للترافع عن شرط التزامن والقبول بتوالي الانتخابات. وهذا ما عبر عنه الشيخ صالح العاروري نائب رئيس حركة حماس في مداخلة في افتتاح جلسات الحوار، بالقول: إن الظروف الضاغطة على القضية هي من فرضت على حماس الاتصال بفتح والتوافق على إجراء الانتخابات.

في مقابل ما تم عرضه واستعراضه، تبقى هناك مهمتان ملحتان. الأولى، تتعلق بالفصائل من خارج حماس وفتح، في قدرتها على التحشيد بهدف تثبيت مواقفها المعلنة خلال جلسات الحوار، وذلك في الاجتماع القادم في آذار 2021، فيما يتعلق بالمجلس الوطني على اعتباره المدخل لإصلاح منظمة التحرير ومؤسساتها الوطنية. ودون ذلك ستبقى القضية الفلسطينية بعناوينها الوطنية عرضة إلى مزيد من التبديد والتصفية. والثانية، تتمثل فيما سيقدم عليه كيان الاحتلال من إجراءات في مواجهة استحقاق الانتخابات، إن لجهة منعه وأقله في مدينة القدس، خصوصاً بعد الاعتراف الأمريكي بأنها العاصمة الموحدة للكيان الصهيوني. أو لجهة التضييق على المرشحين من الفصائل والشخصيات من خارج حركة فتح.

المداخلات، بأن الانتخابات تجري بناءً لمطلب ورغبة دولية. والخشية أن يجري القفز على بقية العناوين وتطهير الترتيبات الخاصة بالمجلس الوطني، حيث اللجنة التحضيرية التي اجتمعت في بيروت العام 2017، وضعت الآليات والتوصيات الواجب العمل عليها. والخشية أيضاً عدم الدخول في العمق، بما يتعلق بالمنظمة، لذلك من الضروري الفصل بين السلطات، أي بين المنظمة والسلطة. وفي السياق ذاته هناك من تساءل عما سيحصل بعد الانتخابات؟ وكيف سيتم نعي الانقسام؟ وكيف سيتم إنهاء مظهره على الأرض ما بين الضفة وغزة؟ هذه التفاصيل من الواضح أن الطرفين لم يتفقا عليها، وكانت موضع أخذ ورد. إلا أنهما أي فتح وحماس تقولا أن هذا الموضوع لن يشكل عائقاً في قبول نتائج الانتخابات، والاستمرار



أب 2021 باستكمال تشكيل المجلس الوطني. مع إصدار المراسيم الانتخابية، بات الطريق معبداً أمام إجراء حوارات فلسطينية - فلسطينية، توجت بتوجيه القيادة المصرية الدعوة لأربعة عشرة فصيلاً فلسطينياً هم (حماس، وفتح، والجبهة الشعبية - القيادة العامة، والجبهة الشعبية، وحركة الجهاد الإسلامي، والجبهة الديمقراطية، وقوات الصاعقة، والمبادرة الوطنية، وحزب الشعب، وجبهة التحرير الفلسطينية، وجبهة النضال، والجبهة العربية، وجبهة العربية الفلسطينية، وحزب فدا. بالإضافة لعدد من المستقلين استقدمتهم حركة فتح من رام الله). من أجل البدء بحوار يوم الاثنين 8 شباط الجاري، بحضور وزير المخابرات المصرية، وقادة الفصائل المشاركين في الحوار. والذي استمر إلى مساء الثلاثاء 9 شباط.

وكما كان متوقعاً، الاجتماع لم يوضع له جدول أعمال، فالواضح أن التوجه لدى الفائزين على الحوار، أي المصريين، ومعهم حركتي حماس وفتح، كانت نقطة الانتخابات هي الوحيدة التي يريدون مناقشتها، وترحيل الانتخابات الرئاسية والمجلس الوطني إلى موعد لاحق. وهذا ما أكد عليه الوزير المصري عباس كامل في جلسة افتتاح الحوار، حيث قال: "لأبد من مناقشة الإجراءات العملية والاتفاق على آليات للانتخابات المتعلقة

بالتشريعي". الأمر الذي استدعى احتجاج معظم الفصائل من خلال مداخلات رؤساء الوفود، فقد جرى التأكيد على أهمية مناقشة كل الملفات باعتبارها سلة واحدة. وأكد المتحدثون وخاصة الفصائل الخمسة وهي (القيادة العامة، والجهاد، والشعبية، والصاعقة، والديمقراطية)، أن الأساس في الحوار إعادة الاعتبار لمنظمة التحرير في بنائها وميثاقها. ولا يمكن أن تستقيم الأمور، إلا من خلال ذلك. وتم طرح جملة من القضايا المتعلقة بالشعب الفلسطيني، الذي لا ينحصر فقط في الضفة وغزة؟، فهناك حوالي 14 مليون فلسطيني، من الضروري الاهتمام بهذا الأمر، وإلا الانقسام سيبقى قائماً، والحديث ناقصاً. المسألة الفلسطينية والمخاطر التي تتعرض لها تهدد الكيانية الفلسطينية في كل مكان، والقفز على هذا الموضوع يمكن أن يؤدي إلى الفشل، إذا لم تتم معالجة كافة الملفات بشكل متكامل. وبالتالي فإن المجلس التشريعي السابق كان على أساس "أوسلو". وأنه في طبيعة الأمر، كل ما يتعلق بهذه السلطة ومؤسساتها لم يكن معنياً بوضع الشعب الفلسطيني في الخارج، ولم يكن مهماً به. لذلك يجب في هذه المرحلة تصحيح المعادلة، فلا يمكن أن نتحدث فقط عن جزء من شعبنا، في تجاهل لموضوع اللاجئين، ودور الفلسطينيين أينما تواجدوا في الشتات. إضافة لذلك فإن القلق كان واضحاً في

في ترسيخ المصالحة وإنهاء الانقسام. وهنا علامة استفهام كبيرة؟.

انتهت جلسات الحوار مساء الثلاثاء 9 شباط، بإصدار بيان ختامي، يمكن تسجيل الملاحظات التالية عليه:

1. الفصائل المشاركة في الحوار لا يمكن أن تحصل على كل ما تريده، لأن البيان هو توافق بين الجميع، شريطة ألا يتم تغليب المحصلات على الأساسيات، بمعنى أن المداخلات والبيانات يجب أن تكون من منظمة التحرير وإصلاح مؤسساتها وأولها إعادة تشكيل المجلس الوطني.
2. التأكيد على أن الانتخابات ستجري بالاستناد إلى التوافقات والاتفاقيات الفلسطينية السابقة، لاسيما وثيقة الوفاق الوطني ومخرجات اجتماع الأمناء العامين في 3 أيلول 2020. وهذا لا يعني بأي شكل من الأشكال أن الانتخابات ليست مسقوفة باتفاقات "أوسلو"، بل هي ستجري وفق تلك الاتفاقات مهما حمل البيان من عبارات. وما ورد ذكره للرمداد في عيون الشعب الفلسطيني، والفصائل من خارج حماس وفتح.
3. على أهمية عقد اجتماع الفصائل مرة جديدة في آذار القادم، إلا أنه جاء كمن يمنح



# تونس عشر سنوات من الأزمة ما الأسباب وما العمل؟

• محمد زهير حمدي - الأمين العام للتيار الشعبي بتونس

تمر تونس بمرحلة من أدق مراحل تاريخها حيث تعمل القوى الرجعية على دفع الشعب إلى حالة من اليأس والإحباط من كل أمل في التغيير. فقد تمكنت قيادة التحالف الليبرالي الحداثوي / (تكفيري/ إخواني-وهاجي) من هدر مجهودات الشعب التونسي، وخانت كل الشعارات التي رفعها في ديسمبر 2010 وما قبلها طيلة عقود طويلة من النضال، وتحالفت مع الطبقة الرأسمالية الطفيلية التابعة لدوائر الهيمنة بعد أن قبلت هذه الفئة الاحتكارية إشراك قيادات التحالف الليبرالي الحداثوي/ (تكفيري/ إخواني-وهاجي) في عملية تقسيم الغنائم.



• محمد زهير حمدي

والعقائد السياسية عن الصراع السياسي، زيادة عن الدور الذي تلعبه بعض المنظمات غير الحكومية الممولة من الغرب. كما اقترنت موجة الشعبية باتجاه عام لمحاولة خلق تمثيلات مناطقية كانت نتيجة شعور عام بأن ابن المنطقة فقط هو من يقدر على خدمتها دون أدنى مراعاة للبرامج المقدمة من طرف المترشح أو لكفاءته، وقد سمح ذلك بصعود عدد من النافذين والفاستدين والمهربين في مناطقهم الضيقة، وكان أغلبهم يهدف إما لحماية نفسه أو لخدمة مصالحه.

• الانهيار الاقتصادي والمالي وتفشي الفساد: حيث تغولت لوبيات الفساد واتسع نفوذها صلب جهاز الدولة بسبب تضخم الرأسمالية الطفيلية واقتصاد الريع وتضخم شرايتها للنهب وتزايد شرستها في الاستغلال. فالفساد في تونس مرتبط بشكل عضوي بسيطرة الأثرياء الجدد من البرجوازية الطفيلية والاحتكارية في تونس ونشاطها الاقتصادي ولذلك يتضح زيف دعوات محاربة الفساد دون إعادة النظر في كامل منظومة التبعية الاقتصادية والتنموية المعتمدة.

فقد أجبرت الأولغارشية الحكومات المتعاقبة على الاستمرار في الخيارات الاقتصادية والاجتماعية المعادية لمصالح الفئات الشعبية، فلم تقم بأية إجراءات إصلاحية تمس الصناديق الاجتماعية أو إعادة الإنتاج في القطاعات المعطلة أو حل أزمات شركات القطاع العام أو تطوير القطاع الفلاحي في البلاد. ونتيجة لهذه السياسات النيوليبرالية

المعتمدة والتي كرس في مجلة الاستثمارات والمجلة الجمركية ورسملة البنوك وقانون الشراكة بين القطاعين العام والخاص، وبتعاظم التدخل الخارجي في شؤون البلاد الداخلية وربط البنك المركزي التونسي بالدوائر المالية الغربية، انهيار الدينار التونسي وتواصل توقف الإنتاج وازدادت المديونية حتى وصلت إلى مستويات غير مسبوقة، وارتفعت الأسعار ونسب التضخم وازدادت نسبة البطالة وانهارت كل الخدمات والمرافق العمومية والحيوية من صحة وتعليم ونقل وبيئة وثقافة.

كانت هذه حصيلة عشرة سنوات من حكم تجار الدين والمافيا المالية المتحالفة معهم تم فيها تبيد كل آمال وأحلام شعبنا في الحرية والكرامة الإنسانية والسيادة.

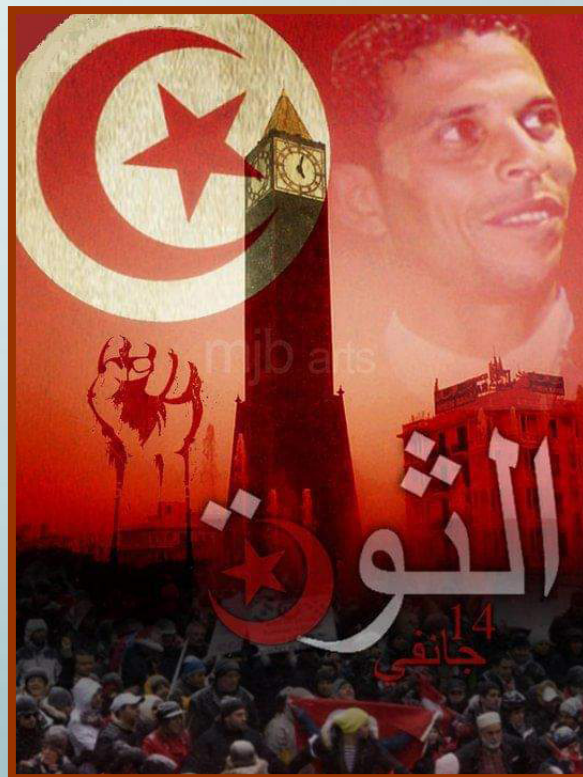
## ما العمل؟

إن الحل لن يكون إلا من جنس المشكلة وذلك عبر تغيير عميق في الواقع السياسي والوضع الاقتصادي والاجتماعي، وليس هناك من أسلوب ناجح وناجع لتحقيق التغيير إلا أسلوب المقاومة الشعبية السلمية المدنية فهي النهج الوحيد الذي تنتهجه الشعوب الحرة لوضع حد للخيارات الفاشلة والمنظومات السياسية القائمة عليها دون ارتباك ولا تردد. ولكن نهج المقاومة السلمية المدنية والانتفاض الشعبي لن يكون

لقد تمكنت المافيا الوكيلية والفئة الاحتكارية بالتعاون مع القوى الرأسمالية الدولية والقوى الإقليمية الرجعية من تحويل مسار الثورة إلى مجرد واجهة ديمقراطية مضللة، حيث تحول ما سمي بالانتقال الديمقراطي إلى ما يشبه الملهاة طيلة السنوات الفارطة وتحول الشعب إلى أداة في يد هذه الفئات الاحتكارية التابعة وأحزابها للحفاظ على مصالحها ومن ورائها مصالح قوى الهيمنة، فبعد كل انتخابات يتلقى الأمل في التغيير ضربة قاسمة، ويكاد الوضع يصل إلى نقطة الانهيار النهائي نتيجة تبديد الوهم الذي تعبسه البلاد طيلة السنوات الفارطة، وهو أن أهداف النضال الوطني في الديمقراطية التي هي الأساس سيادة الشعب ووضع السلطة بيده وفي إقامة مجتمع الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص ستتحقق بمجرد الذهاب إلى صناديق الاقتراع، وقد نسينا أن النظام الذي كان جاثما علينا طيلة عقود ليس مجرد واجهة سياسية متمثلة في الرئيس وعائلته وحزبه وإنما شبكة مصالح داخلية مرتبطة بالخارج لا يضرها في شيء أن تتغير الواجهة الاستبدادية إلى واجهة ديمقراطية أو دستورية شكلية مخادعة مقابل الحفاظ على مصالح مجموعة العائلات ومن ورائها مصالح قوى الهيمنة.

لقد حولت المنظومة الليبرالية مفهوم الديمقراطية إلى هوس بصناديق الاقتراع لذاتها واختزلتها في الحريات الفردية والعامية، في إلغاء تام للاستحقاق الاجتماعي والوطني ودون مضمون حقيقي يعطي لقوى الشعب العامل السلطة والقوة لتحقيق السيادة الوطنية ولتغيير معادلة العلاقات الاجتماعية السائدة لصالحهم. وقد أدى هذا الوضع إلى:

• فشل الانتقال الديمقراطي وصعود الشعبية: حيث تم الفشل يوم استولى تنظيم الإخوان المسلمين بتواطؤ مع شبكات مصالح المافيا في الداخل وقوى الهيمنة الخارجية على مقاليد البلاد وأرسى نظاما مافيوزيا دمر كل مقومات الدولة الوطنية وفاقم من هيمنة القوى الأجنبية التي باتت المحدد الرئيسي في نتائج الانتخابات واختيار من يحكم تونس، لتبسط المافيا المحلية الوكيلية نفوذها على الاقتصاد وتحوله إلى اقتصاد أسود تحولت من خلاله البلاد إلى مصب نفايات وفضاء لتبييض الأموال وترويج السموم، وتعمقت سيطرة بعض العائلات القليلة على ثروات البلاد والتحقت الشرائح الوسطى بصفوف الفقراء. وبالتالي كان الوضع ملائما لصعود الخطاب الشعبوي والفاشي وانتعاشه. ولقد تفشى هذا الخطاب بمقولات مشبوهة تمجد اللامبالاة وتدعو لحكم التكنوقراط وتهجم التنظيمات الحزبية والمنظومات السياسية وتحاول فصل الأفكار





# تونس عشر سنوات من الأزمة ما الأسباب وما العمل؟

• محمد زهير حمدي - الأمين العام للتيار الشعبي بتونس

■ سياسات حمائية لاسترجاع السوق الداخلية حصر الواردات في الغذاء والدواء والطاقة ومستلزمات الصناعة والفلاحة للخضف في عجز الميزان التجاري، وتوجيه جزء من الإنتاج لتلبية الحاجات الأساسية للمواطنين كغرض مركزي قبل استهداف انتاج سلع وخدمات كمالية أو ترفيهية، مع اتخاذ تدابير عاجلة لفائدة القطاع الفلاحي منها إلغاء ديون صغار الفلاحين وتقديم مساعدات عينية من الوقود والأسمدة والأعلاف.

■ إشراك الجيش الوطني في انجاز هذه الخطة الاقتصادية.

- إنقاذ البلاد من الافلاس والانحيار وتحرير القضاء والأمن لمحاسبة كل من أجرم في حق تونس سيفتح أمام الشعب أفقا سياسيا جديدا يمكنه من الدخول في مرحلة البناء الاستراتيجي من خلال:

1 - منوال تنموي وطني ينهي للأبد اقتصاد الريع وسيطرة الرأسمالية الطفيلية التي تضخمت شراريتها للنهب وتزايدت شراريتها في الاستغلال. منوال يجعل الإنسان في قلب ساحة الفكر والحركة وصانع التنمية وهدفها في آن واحد، فالتنمية تطرد وتتسارع إذا توفر العمل المنتج لكل مواطن، وارتفاع إنتاجية العمل يصبح توفير الصحة والتعليم والسكن والنقل أمرا ممكنا بل وضروريا باعتبار أن أهم دوافع استمرار التنمية المستقلة هو شعور الناس بأنهم مستفيدون من جهودهم، وهو ما يحقق الإدماج الاقتصادي والاجتماعي. وهذا لن يتم دون عودة الدولة لدورها التنموي سواء من خلال التخطيط الذي يمكن من استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية بطريقة علمية لتحقيق الرفاه لعموم الشعب، أو من خلال مبدأ التوازن بين تدخل الدولة والسوق الشفاف بحيث يكون لها الدور الاستراتيجي التعديلي الذي يتكامل مع السوق الشفاف والذي يكرس التنافسية إضافة إلى التكامل بين القطاع العام والخاص والتضامني.

2 - اعتبار أن النظام السياسي قضية أمن قومي جراء العجز الذي أضحى عليه والأزمات التي أفرزها والتنصل المستمر من مسؤولية الحكم، ولذلك بات من الضروري تعديل النظام السياسي باتجاه توحيد السلطة التنفيذية ومراجعة علاقتها بالسلطة التشريعية واستكمال بقية المؤسسات الدستورية.

3 - اعتبار النظام الانتخابي خيارا اقتصاديا واجتماعيا بالأساس، فلا يمكن لنظام انتخابي فاسد يفتح المجال على مصراعيه لتزوير ارادة الناخبين بالمال السياسي والإعلام الموجه والاختراق الخارجي أن يفرز حكما وطنيا يحفظ مصالح البلاد وسيادتها مؤسساتها ويرسي تنمية وطنية

شاملة وعادلة بين الفئات والجهات. وعليه يجب تغيير النظام الانتخابي بما يفتح باب المشاركة الواسعة للقوى الشعبية صاحبة المصلحة في التغيير العميق للنظام الاقتصادي والاجتماعي. فهذه الفئات حرمت من المشاركة السياسية ولا بد أن تفتك التمثيل الموسع وهو من أهم أسس الديمقراطية السليمة، لأن قدرة أي نظام اقتراع على ضمان تمثيل مختلف قوى الشعب يعتبر أهم معيار من معايير صحته وعدالته، هذا علاوة على ضمان وجود كتل قادرة على الحكم ووجود كتل قادرة على المعارضة الجدية والفاعلة وكذلك الحد من هدر الأصوات، فضلا عن ضرورة تنقية المناخ الانتخابي بتنظيم تمويل الحملات الانتخابية وتمويل الأحزاب وتنظيم مراكز سبر الآراء وتنظيم الإعلام وإحكام تنظيم السجل الانتخابي. كما يجب أن يكون هذا النظام الانتخابي معززا بأليات مصاحبة على غرار التجارب الديمقراطية الرائدة اليوم، وهي تلك التي مزجت بين السلطة الشعبية المباشرة في شكل تشاركي والديمقراطية التمثيلية بما يعزز المشاركة الشعبية ويوسع قاعدة الديمقراطية.

حاسما ما لم يتسلح برؤية سياسية يفرض تحقيقها بإرادته الحرة. وفي وضعية تونس فالرؤية الوطنية السيادية لتصحيح مسار البلاد وإنقاذها واضحة وهي تقوم على: العمل على تطوير الحراك الاحتجاجي الجهوي والقطاعي والمطلبي والمشروع إلى حراك شعبي شامل من شمال البلاد الى جنوبها يهدف الى الحسم مع المنظومة الحالية وخياراتها التي أوصلت البلاد الى مرحلة الإفلاس والوصاية وفرض حل البرلمان بقوة التظاهر السلمي والمنظم فقد تحول الى حلبة تمارس فيها المجاميع التكفيرية والاخوانية والشعبوية المتحالف مع المافيا الوكيله أبشع أنواع العنف المادي واللفظي وحوالته بؤرة للتلاعب بمصالح الشعب.

- تحرير السلطة القضائية والأجهزة الأمنية من سطوة المافيا من جهة ومن اختراقات الجهاز السري للنهضة وعناصره التي تكبل عملها من جهة أخرى لتتمكن من القيام بدورها في محاسبة كل من أجرم في حق تونس وشعبها.

- إسقاط الحكومة الحالية التي استحكمت عليها أغلبية الفساد والإرهاب وفرض حكومة انتقالية وطنية تنفذ اجراءات اقتصادية سيادية تنقذ البلاد من الافلاس والوصاية تتمثل في :

■ إلغاء قانون استقلالية البنك المركزي، ليتم التحكم الشامل في توجيه الاستثمارات حسب الأولويات الوطنية.

■ تعليق سداد الديون بقرار سيادي مثلما حصل مع إيسلندا في أعقاب أزمة 2008 تحت ضغط الشارع وكذلك تعليق العمل بكل الاتفاقيات الدولية الثنائية بما في ذلك عقود الطاقة إلى جانب تعليق العمل بكل القوانين التي يمكن أن تعيق تنفيذ الخطة الوطنية للإنقاذ ولو أدى الأمر تنظيم استفتاء شعبي في الغرض يشكل تفويضا شعبيا للحكومة الانتقالية.

■ مطالبة الشركات الأجنبية التي تنشط في السوق المحلية (شركات الاسمنت/ الاتصالات/ البنوك الأجنبية...) بتأجيل تحويل أرباحها لدول المنشأ و المقدرة بـ 3,5 مليار دينار.

■ إيقاف العمل بالحوافز المالية والجباية للشركات ومنح الاستثمار التي تستنزف دافعي الضرائب كل سنة بحوالي 2 مليار دينار دون نتائج تذكر على مستوى الإيرادات الجبائية.

■ التراجع عن قرار إلغاء سداد الديون الديوانية المتخلدة بزمة عدد كبير من الموردين والمقدرة بـ 10 مليار دينار.

■ وضع برنامج عاجل لإعادة تأهيل المنشآت العمومية خاصة العاملة في القطاعات الإستراتيجية (الطاقة-النقل-الاتصالات-البنوك...)، بما في ذلك تمكين هذه المنشآت من التمويل من البنوك المحلية وليس الأجنبية (علما أن نصيب القطاع العمومي من الاقتراض المحلي لا يتجاوز 5 مليار دينار مقابل 60 مليار دينار للقطاع الخاص ووقف صرف المنح والامتيازات السخية والغير ذات جدوى المسندة للشركات غير المقيمة (3 مليار دينار سنويا).

■ ترشيد استخدام الموارد وفي هذا السياق ضرورة فرض الضرائب التصاعدية على الثروات الكبرى والحد من الإنفاق غير المنتج وإيقاف عملية الهدر في الإنفاق من أجل توفير مزيد من الموارد.

■ إجراءات حاسمة لمقاومة التهريب وإدماج الاقتصاد الموازي في الاقتصاد المنظم وأولها تغيير العملة بمجرد انتهاء مرحلة الحجر لإدخال السيولة الكبيرة الموجودة لدى المهربين للدورة الاقتصادية وتعبئة الموارد البشرية لإدارة الجباية خلال المرحلة القادمة لمقاومة التهريب والغش الضريبي، لتتمكن من تعبئة موارد مالية كبيرة.



# الترامية والماكرونية نموذجي التغول اليميني



الأوفر من نارها الظالمة طال الشعوب المستضعفة.

إن ماحدث ويحدث داخل الولايات المتحدة هو جزء من التوجه النيوليبرالي، ويرتبط بسياسة الإدارة الأمريكية التحكيمية التي تعتبر نفسها قائدة ماتسميه بالعالم الحر، وقد تجلى ذلك بشكل مكشوف مع الظاهرة الترامية، التي تضرر منها الكثير، بما في ذلك حلفاء الولايات المتحدة التقليديين، ناهيك عما طال الشعوب المستضعفة والعديد من دول العالم التي تحسب على المحيط حسب تعبير المفكر الراحل سمير أمين، وخاصة الدول المعارضة للتوجه النيوليبرالي، والرافعة في تحصين استقلالية قرارها، ويتضح ذلك من دعم الأنظمة الديكتاتورية والمستبدة، أو التدخل المباشر لتشكيل أنظمة موالية لها (إيران - فنزويلا - كوبا - البرازيل - نيكاراغوا - بوليفيا...)، وجدير بالقول أن هذه السياسة تتم وفق هندسة المخابرات الأمريكية، وتتبع إدارة البيت الأبيض، وبمباركة الكونغرس بشقيه الجمهوري والديمقراطي، وإن اقتضى الأمر الردع عبر الجيش الأمريكي، وهذا ما تثبتته العديد من الوقائع، وتؤكدته العديد من الأحداث، والدراسات، وأكد أن المتضرر الأكبر من هذه السياسة الجائرة هي شعوب المحيط، وفي مقدمتها بلدان ما يسمى بالوطن العربي وخاصة ما يطال محور المقاومة، والرامي إلى تصفية القضية الفلسطينية، بمباركة الأنظمة العربية الرجعية التي تتسارع إلى الهرولة للتطبيع الرسمي والعلمي مع الكيان الصهيوني، ضدا على إرادة شعوبها وقواه الحية، إنها سياسة أبناء العم سام التي وصل فيها الأمر حد إهانة رؤساء وقادة دول حليفة ذات حضارة عريقة، وديمقراطية ليبرالية متزنة، إذ لم يشفع لها حتى انتمائها إلى الإمبريالية، فقد وصلت الوقاحة بمجنون عصره (ترامب) حد توجيه إهانات وسخرية وعلى الهواء مباشرة إلى رؤساء العديد من الدول، (فرنسا - كندا - ألمانيا - اليابان...)، ومن سخرية القدر أن عجزته تخف تجاه من يتحدثون إلى درجة الدخول معهم في علاقة ملتبسة (القصر الروسي بوتن - كيم جونج أون زعيم كوريا الشمالية ؟!)

## في التشابه بين الترامية والماكرونية:

بالتأكيد أن هذا التوجه النيوليبرالي المتوحش الذي يكشف المأزق الذي تسعى الإمبريالية إلى تجاوزه عبر أساليب الضغط وتضييق الخناق على القوى الممانعة، لا ينحصر فيما كشفته الظاهرة الترامية فقط، بل يتعداه إلى العديد من الدول الإمبريالية بأوروبا، وأسطح مثال على ذلك ما يجري في فرنسا، في ما بات يعرف بالتوجه الماكروني الذي لا يختلف عن الترامية إلا في بعض الجزئيات التي يفرضها السياق العام، فتوجهه يسعى إلى بناء الدولة البوليسية من خلال التضييق على المواطنين عبر

## هل تشكل الظاهرة الترامية بداية انهيار النظام الليبرالي؟

يرى ابن خلدون أن الدولة تمر من خمسة أطوار هي: الظفر، الانفراد، المجد، الفراغ، الدعة، القنوع والمسالمة ثم الإسراف والتبذير، ويربط أطوارها الخمسة بثلاثة أجيال هي:  
- الجيل الأول يقوم بعملية البناء والعناية.  
- الجيل الثاني يسير على خطى الجيل الأول من التقليد وعدم الحيد (بكسر الحاء الممدودة).  
- الجيل الثالث والأخير، هو ما يمكن تسميته بالجيل الهادم، فالدولة لها أعمار طبيعية كما البشر حسب ما يرى.

## في تباين وتقاطع المنشأين :

بالرغم من تباين المنشأ والمسار، فإن طرح هذا التقديم الذي تناول فيه ابن خلدون أطوار الدولة الشرقية المستبدية، يعود إلى استنتاج أن هذه الرؤية اقتضتها بعض التجليات التي تكشف على أن هناك تقاطعا بين النمطين من يدري؟ فقد يكون مرد ذلك للطبيعة البشرية التي دفعت الشاعر بحده إلى القول: الناس كالناس والأيام واحدة .... والدهر كالدهر والدنيا لمن غلب

سيما وأن المارد القاهر واحد وإن اختلفت هيئته وموطنه، وهو الذي أضى يطلق عليه بلغة (علم الاجتماع الحديث الدولة العميقة) الشبيهة بذلك الوحش الشر الذي ينقلب على محيطه عندما تفتح شهيته لما هو أكثر من فريسته "البرانية" وهذا مايتضح من خلال بعض المظاهرات التي كشفت منذ هزم الوحش الامبريالي للمعسكر الشرقي خلال التسعينيات إلى الآن، وهذه أهم المؤشرات مما تمت الإشارة إليه، وسيكون البدء بما يجري حاليا بواشنطن:

## تمظهرات ومؤشرات الأزمة:

إن تداعيات الانتخابات الرئاسية بتاريخ 3 نوفمبر 2020، جعلت المتتبع لتاريخ هذا البلد الذي يتسند العالم، وببهر الكثير ممن ينقصهم الإلمام بكثير من بواطن الأمور، يسجل وكأنه أمام كيان لا يؤمن إلا بالقوة، ودون اعتبار لما يتباهى به أبناؤه من كون أمريكا مصدر التفوق الحضاري، وهكذا فإن ما طفا على السطح يكشف أن تلك المظاهر الخادعة كاذبة لسبب بسيط، وقد تجلى ذلك في كون تلك الحضارة انبنت على أنقاض الغير، وعلى أساس اعتماد التفوق العرقي الأبيض، وهذا ما تجسد في سعي اليمين المتطرف وبزعامة الرجل الأول في البلد (ترامب) إلى الاستيلاء على السلطة والتحكم في البلد عبر نظام العصابات التي بدا أنها تخترق الأجهزة الأمنية والجيش والإدارة والكونغرس، وهو ما قد يشكل خطورة، سيما إذا كان ضمنهم من يحمل قناعات إيديولوجية لليمين المتطرف التي صاغها منظرو الإنجيليين الجدد.. وهكذا لم يبق لترامب إلا أن يطلق على نفسه زعيم الحشد الشعبي الأمريكي الأبيض المسلح بركة الإنجيلية الجديدة.

أكد أن هذه الطفرة الفوضوية المتطرفة ليست وليدة اللحظة، ولا هي عفوية، بل إنها نتاج لتوجه أفرزته عقيدة التفوق التي آمن بها من سادوا بعد إبادتهم للشعوب الأصلية (الهنود الحمر)، وبنوا قوتهم ومجدهم بفضل سواعد من استعبدوا من الأفارقة، فتكونت لديهم عقدة تفوق الجنس الأشقر، فتمادوا في قهر واضطهاد واستغلال الأقليات على جميع المستويات وخاصة الأفارقة السود، وكفي الاستدلال بما طالعهم خلال الولاية الترامية، حيث وصل الاستغلال والقمع والتعنيف منتهاه، كما تبرز ذلك العديد من الأحداث الخطيرة التي طالت الأقلية المضطهدة، وصلت حد التصفية على يد قوات الأمن، كما حدث مع (جورج فلويد) وغيره والذين تم قتلهم أمام أنظار العالم، وحري بالأمر القول: إن هناك منظرون ومخططون يعتبرون النواة الصلبة للدولة العميقة يقفون وراء هذه الأمور، والتي لم يكنو بنارها أبناء الوطن فقط، بل إن النصيب



• مصطفى زوبي

في سابقة من نوعها عاشت الولايات المتحدة الأمريكية منذ إجراء الانتخابات الرئاسية حالة استنفارات قصوى، وعاش الأمريكيون حالة رعب حقيقي، بفعل الفوضى والاضطرابات المترتبة عن رفض ترامب لنتائج الاستحقاق الرئاسي، بدعوى تزويرها أو سرقتها كما يقول من قبل الديمقراطيين، محرضا أتباعه على إسقاطها، أو بالأحرى إنجابه، وقد وصل التجيش أوجه بالهجوم الهجمي الخطير على (الكابنول = مقر الكونغرس) يوم 6 يناير 2021 للحيلولة دون مصادقة الكونغرس على النتائج، وكاد الأمر يؤدي إلى مالاتمده عقابه بفعل ما قام به المهاجمون، في دولة تعتبر قائدة العالم، ومركز الحضارة والتقدم، فالى ماذا يعود ذلك؟



# التراهمية والماكرونية نموذجي التغول اليميني

• المعطفي زوبدي

المفكر الراحل سمير أمين في ذات السياق كتابا قيما بعنوان: "الفروس الليبرالي، الحرب الدائمة وأمركة العالم" كشف فيه سوء الليبرالية المتوحشة، ودعا إلى مواجهتها.

من المؤشرات أيضا على تمآزق الليبرالية هيمنة الشركات المتعددة الجنسية على مختلف المجالات الحيوية المتعلقة بالشأن الاقتصادي، وبهذا التوجه فإنها أضحت تتدخل في تشكيل مؤسسات الدولة، لربما في أفق إزاحتها، وهذا مايتجلى في جعل النخبة السياسية المسيرة لشؤون الدولة على الهامش، وغالبا ما يكون تدبيرها تدبيرا شبه صوري، وهكذا فقد أضحت معظم الخدمات بما في ذلك ذات الطبيعة الاستراتيجية والحساسة تحمل بصمة قوية لمؤسسات الشركات المتعددة الجنسية العابرة للقارات (الأمم - التواصل والإعلام - الخدمات - الأمن - الغذائي...).

ويبدو أن المؤشر الأبرز يتجلى في تآكل الأحادية القطبية التي عاشت الولايات المتحدة أزهي فترات، وبداية تشكل التعددية القطبية التي أضحت يتزعمها المارد الصيني والعودة القوية لروسيا، وكذا صعود الهند، وربما آخرون، مما يدل على أن النيوليبرالية في طريقها إلى الاندحار، وأن مرحلة مابعد التراهمية وجائحة كورونا لن تكون كما قبلها، ويبقى السؤال الذي يفرض نفسه، ما مدى فائدة هذا التحول بالنسبة للسلام والسلم، وورقي الإنسانية، وتحقيق العدالة الاجتماعية؟ وما وضع منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بالنسبة لهذه التحولات.

## قد يكون للحديث بقية:

تلك بعض المؤشرات التي تفرض مواصلة النضال على كل القوى العالمية المحبة للتغيير الإيجابي المبني على ضمان حقوق الإنسان، وسيادة الأمن والسلام، وتخليص الشعوب من ربة التسلط والاستعباد، وفي مقدمة ذلك إنصاف الشعب الفلسطيني برفع الاحتلال الصهيوني الغاشم عن أرضه، وتمكينه من إنشاء دولته المستقلة وعاصمتها القدس، ترى هل ستعمل هذه القوى دون تردد على ترتيب أوراقها وفق ما يخدم هذا المنحى النبيل، وهل سيكون ليسار المنحى إلى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا موطئ قدم في انجاز هذا المشروع؟ قد يكون للحديث بقية.



بوصفه المسؤول عن صياغة ظاهرة السلطة كعنف، عنف مقدس، وعنف استعبدادي، عنف يقوم على تعسير العقل، وهو ما يمكن أن يكون تأسيسا لظاهرة الاستعمار القديم ولشراسة الرأسمالية الحديثة. وصولا إلى تغول الليبرالية الجديدة التي اختلطت فيها قيم العنف مع الفردانية والحرية العارية والسلطة التي تبحث عن هوية ومجال للسيطرة والاعتراف. إن هذا النص يؤكد أن التوجه الليبرالي توجه طبقي استغلالي استعماري استعبدادي، يعتبر سياسة السوق الحرة، والمبادرة الفردية هي الفصل منذ وضع المرتكزات الأولى لليبرالية وإلى الآن. وهذا ما تجلى في توسع الفجوة الساحقة بين أقلية من الأغنياء وأغلبية كبيرة من الفقراء، ناهيك عن الاستعمار والهيمنة التي تطل الشعوب وتعمل بكل الوسائل على نهب خيراتها، رفضا لهذا المنحى الإمبريالي القهري، وقد ألف

ويذكرون بما عرفته الديمقراطيات الغربية في أزهي فترات، حيث سادت العدالة والمساواة، وتواري النهب والاستغلال، فكانت أنظمتها الحكم تتبنى السلم والسلام، وقيم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم، لكن هذه الأطروحات يفندوها الواقع، والدراسات الجادة، وفي ذلك يقول الكاتب العراقي علي حسن الفواز في مقالة له، ربطها بتصور الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو: "...إن الحديث عن الليبرالية الجديدة، ليس بالضرورة حديثا عن التنوير والحداثة، وعن قيم الحرية، فكل هذه المظاهر تملك ضدا نوعيا في تاريخ أوروبا، الذي فرض أماطا من السيطرة والرعب والحروب وعلى القهر الاجتماعي والجندي وأحسب أن ميشيل فوكو كان من أكثر فلاسفة أوروبا حضورا في التعاطي مع أزمة التاريخ والسلطة، ومع قوتها العقابية، ففوكو اعتمد نقد تاريخ أوروبا الوسطى

تعنيفهم وقمعهم، والسعي إلى سن قوانين تكبيلية خدمة للعويلة المتوحشة، ناهيك عن حشر أنفه وبطريقة فجحة في العديد من الملفات الإقليمية والدولية وبأسلوب لا يخلو من شعوبية وانتهازية (سوريا - ليبيا - الدول الإفريقية) وهذا ما جعل الفرنسيين يتصدون لهذا التوجه بالعديد من الأساليب، أبرزها الاحتجاجات التي نظمها حركة السترات الصفراء، والتنظيمات النقابية، إضافة إلى الاعتراضات والتحفظات الإقليمية والدولية على توجهاته التي حشرت حتى الجاليات المسلمة في الأمر، بتوظيف ورقة الإسلاموفوبيا لتسويق الماكرونية بدغدغة عواطف اليمين المتطرف،

وبالجملة هناك توجه شعبي يميني يتسع ويتنامى داخل العالم الغربي الإمبريالي، وهو ما يؤكد على المآزق الذي تعرفه الليبرالية، ويسفه العديد من الأطروحات التي بشر بها فرنسيس فوكوياما بشكل يقيني حول نهاية التاريخ بانتصار قيم الليبرالية ونظام السوق.

لكن يبدو أن الأطروحة بدت، مهزوزة، رغم ادعاء مناصريها بكون الليبرالية وقيمها، في منأى عما بات لصيقا بالليبرالية الجديدة وسياستها المتوحشة، ويعتبرون ما طال الليبرالية الأصلانية (نسبة إلى الأصل) مجرد نتوءات عارضة سرعان ما ستلفظها فيتم التعافي، على اعتبار أن الديمقراطيات الغربية لاتتوافق ولا يمكنها التعايش مع الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية -داخلية كانت أم خارجية- والناجمة عن الليبرالية الجديدة المتوحشة،



# الملف الحقوقي: الردة الحقوقية وأفاق الانفراج



حراك الريف.. ما العمل؟

♦ سارة سوجار



الأحزاب حليفتنا في  
الملف الحقوقي

♦ حسان كمون



من أجل جبهة واسعة  
لتحصين الحقوق

♦ عزيز غالي



هناك توظيف عام  
للتشهير الإعلامي

♦ لاركو بوبكر

من إنجاز : رشيد الإدريسي - محمد المباركي

من مواد الملف الحقوقي، حوارات مع رؤساء الجمعيات الحقوقية الفاعلة في المجال الحقوقي: الجمعية المغربية لحقوق الإنسان والمنتدى المغربي لحقوق الإنسان والمنظمة المغربية لحقوق الإنسان، وهي في الحقيقة مدارس في العمل الحقوقي كل واحدة إطار معين وبمنهجية وأساليب خاصة في العمل، ورغم أنها لعبت أدوارا مهمة في ما عاشته بلادنا من تطورات ومكاسب، لكنه في هذه اللحظة التاريخية من المهم الوقوف على نظرتها لما يجري وتقييمها للواقع، لا من حيث التوصيف أو التشخيص أو تحديد المسؤوليات وطرح البدائل، لقد جرت مياه كثيرة وتحولات عميقة في المشهد الحقوقي، ورغم تباين التقديرات والاختلافات فإن هدف العمل المشترك يتطلب تضافر الجهود وتذليل الصعوبات من أجل تحقيق دولة الحق والقانون وحقوق الإنسان. يستعرض الملف أيضا تحاليل وبروفيلات تهم الوضع الحقوقي العام والمجالي وتديق مستجدات حق الحقوق والحريات.



# الردة الحقوقية

## انتهاكات بطعم الماضي

### انتهاكات الماضي مكاسب مشقة وتوصيات معلقة



• رشيد الإدريسي

الاجتماعية. وخلق هذا المسلسل دينامية حقوقية وسياسية تسعى إلى القطع مع الماضي وإرساء الضمانات الدستورية والسياسية والقانونية والحقوقية لعدم تكرار انتهاكات الماضي وإرساء ديمقراطية حقيقية وتأسيس دولة الحق والقانون والمؤسسات والقطع مع سياسة الإفلات من العقاب.

### الحراك الشعبي وسياسة الاحتواء

لقد بدا واضحاً أن عدم التقدم في تحقيق الأهداف والتوصيات يعكس الإرادة السياسية الفعلية للحكم في استمرارية سياسة الاستبداد والتحكم وتكريس ديمقراطية الواجهة، وهذا ما يفسر هذه العودة المحمومة لأساليب الماضي، من قمع ومصادرة الحريات وخنق مختلف أشكال التعبير، كمسعى لإرجاع عقارب الزمن للوراء، فالنظام وجد نفسه بعد حركة 20 فبراير في وضع حرج، خصوصاً أن الحركة أعطت زخماً وقوة للمطالب الديمقراطية والحقوقية للشعب المغربي، وأفشلت سعي النظام لتنزيل النموذج التونسي لبني علي وسياسة الحزب الوحيد على أرض الواقع، والتي كان يجري التهييء لها قبل 2011، بعد إضعاف الأحزاب الوطنية والتي فقدت هويتها وقام النظام بإدماجها في منظومته وتوظيف نخبها في تدبير سياسته الاقتصادية والاجتماعية.

لقد شكل الحراك منعطفاً حاسماً في تاريخ نضال الشعب المغربي بما حمله معه من دينامية وحيوية في التأطير والتعبئة والمشاركة الواسعة للمواطنين في الحراك الشعبي، والذي رفع شعارات ضد الفساد والاستبداد واحتكار السلطة والثروة.

هذه الردة الحقوقية التي تسعى لتقويض كل مكتسبات الشعب المغربي في مجال الحريات وحقوق الإنسان، والتي جاءت نتاج كفاحه المرير منذ سنوات وأدى المناضلون في سبيلها الثمن غالبا، رغم أنها ظلت تاريخيا خاضعة للمد والجزر ولموازين القوى بين الحركة التقدمية والنظام، مع العلم أنها اتخذت طابعا دستورياً قوياً، حيث اعتبر دستور 2011 دستور حقوق الإنسان بالأساس، ناهيك عن اعتراف الدولة بمسؤوليتها التاريخية على الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وتأسيس هيئة الإنصاف والمصالحة لمعالجة انتهاكات الماضي وجبر ضرر الضحايا، وقد أصدرت الهيئة تقريرها النهائي، الذي تضمن توصيات مهمة حول تدابير عدم تكرار انتهاكات الماضي على المستوى السياسي والأمني والقضائي، هذه التوصيات التي ظلت موضوع انشغال من طرف القوى الحقوقية واليسارية من أجل تنفيذها، وبغض النظر على التقييمات المختلفة حول هذا المسلسل ومآلاته، وما لجّقه والقضايا التي لازالت عالقة وخصوصاً الحقيقة الكاملة حول ملف المختطفين، وفي مقدمتهم قضية الشهيد المهدي بنبركة.

لقد شكل ملف الإنصاف والمصالحة مرحلة تاريخية مهمة، أعادت الاعتبار للمناضلين وضحايا انتهاكات الماضي حيث وقف الشعب المغربي على حقائق ما أنتجه الاستبداد والقمع والتسلط من مآسي وويلات ومعاناة وما سببه من أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية، ومسؤوليته في إعاقة طموحات المغاربة في التقدم والخروج من واقع التبعية والتخلف وتحقيق الحرية والكرامة والعدالة

تثار العديد من الأسئلة حول مغزى هذه التراجعات الماسية بحقوق الإنسان في السنوات الأخيرة، وخاصة في هذه الظروف الاستثنائية التي يعيشها المغاربة من جراء جائحة كورونا. تراجعات حقوقية تتخذ طابعا شموليا، فمن منع مختلف أشكال التعبير والتظاهر من وقفات واحتجاجات، ومواجهتها بالقوة والعنف والمتابعات القضائية، إلى اعتقال المدونين وتقديمهم للمحاكمة، إلى اعتقال الناشطاء الحقوقيين والمناضلين والصحفيين ومحاكمتهم والزج بهم في السجون، إلى التعاطي الأمني مع الحركات الاجتماعية الواسعة، كما حصل مع حراك الريف وجردة وزاكورة.. ومتابعة نشاط هذه الحركات وإصدار أحكام ثقيلة في حقهم، كما هو الشأن بالنسبة لمعتقلي الحسيمة.





# الردة الحقوقية

## انتهاكات بطعم الماضي

في المشهد الحقوقي بشكل عام وإضعافه واختراقه والسعي إلى بلقنته وتقييده، لقد شكلت هذه الحملة أحد مظاهر الردة الحقوقية، لأن الجمعيات الحقوقية في المغرب تميزت بنشاطها في الدفاع عن الحريات وحقوق الإنسان.

### المقاربة الأمنية في مواجهة الحركات الاحتجاجية

أعطت حركة 20 فبراير زخما للاحتجاج الشعبي ولكل أشكال التعبير ضد الظلم والتسلط والحركة، وأطلقت دينامية عميقة في المجتمع ليس فقط بالمجال الحضري بل في القروي أيضا ولدى كل الفئات، وتوجهت الأنظار للمعيش اليومي والحاجيات الاجتماعية في الشغل والصحة والتعليم والسكن...، وتدبير المرافق العمومية وطرح قضايا العدالة ببعدها الاجتماعي والمجالي، حيث وجهت سهام النقد لمظاهر الفساد ونهب المال العام، والخصاص على مستوى المرافق والخدمات والبنيات التحتية والتدبير السلطوي

للشأن المحلي، ولذلك توسعت الحركات الاحتجاجية في جل المناطق واتخذت طابعا قويا وزخما كبيرا في الريف وجرداة وزاكورة.. وبذل التعاطي الإيجابي للدولة مع هذه الحركات التجأت للقمع والمقاربة الأمنية، بكل ما نتج عنها من متابعات ومحاكمات انتهت بإصدار أحكام قاسية أبرزها محاكمة نشطاء الريف الذين صدرت أحكام ضدهم وصلت إلى عشرين سنة، وأعدت الدولة سيناريوهات الأحداث التاريخية بالمغرب 81 و84 و90 كعنوان عريض على الأزمة السياسية والحقوقية والتدبير السلطوي للقضايا المجتمعية.

### السلطوية وجائحة كورونا

لقد استغلت السلطوية جائحة كورونا التي أثرت على مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والصحية، وحملت معها أوضاعا قاسية لعدد من الفئات والمواطنين في معيشتهم وظروفهم في ظل أزمة صحية خطيرة، لقد تم استغلال هاته الظروف التي وجد المواطنون أنفسهم داخلها وفي وضع صعب، لتكريس السلطوية والقمع والتضييق واستخدام قانون الطوارئ في التضييق على الحريات وعودة العديد من

بالشكل الكافي بحماية هذه الطاقات الشابة، مع العلم أن حملات القمع استهدفت كذلك مناضلي اليسار في أكثر من منطقة وتعرضت أنشطته للحصار والمنع وشنت عدد من المواقع القريبة من السلطة حملات ضد اليسار ورموزه وقياداته، وخصوصا أن اليسار الديمقراطي ظل في الصفوف الأمامية في النضال مدافعا عن قضايا الحريات وحقوق الإنسان، وفاضحا للنهج التسلطي والاستبدادي، ومنخرطا في الحراك الاجتماعي



بمختلف المناطق ومدافعا عن ضحايا القمع والاعتقال السياسي.

### محاصرة الجمعيات الحقوقية

لعبت تنظيمات اليسار والتنظيمات الحقوقية والجمعية أدوارا مهمة في الحراك الشعبي، وإذا كان اليسار الديمقراطي قد استعاد حيويته وديناميته خصوصا وأن مطالب الحرية والكرامة ومناهضة الاستبداد والفساد اتخذت طابعا شعبيا، فإن التنظيمات الحقوقية والمدنية لعبت هي الأخرى أدوارا مهمة ليس فقط على المستوى الوطني بل في مختلف المناطق العربية التي عرفت حراكا شعبيا مما جعل قوى الاستبداد تتجه، وإلى محاصرتها كجزء من استراتيجية شاملة، هكذا ستعرض الحركة الحقوقية وعلى الخصوص الجمعية المغربية لحقوق الإنسان لحملة غير مسبقة من القمع والمنع وحظر أنشطتها، وإثارة موضوع التمويل بغاية حرمانها من الوسائل والإمكانات المادية، التي كانت تسخرها في مجال الحماية والنهوض بحقوق الإنسان، وهي الحملة التي لازالت متواصلة رغم حملات التضامن وطنيا ودوليا، وهي حملة ترافقت مع محاولة التحكم

إن ما عاشته المنطقة العربية من ردة وسعي لخنق الحراك الشعبي لعبت فيه الأنظمة الرجعية والقوى الامبريالية دور المنفذ، وقد وُظفت الحركات الأصولية أيضا من أجل إعادة التحكم في مصير المنطقة وثرواتها ومستقبلها، ولذلك كان طبيعيا أن يتم استغلال هذه الأوضاع المضطربة بمحاولة تسويق أن الثورات والحركات الشعبية تساوي الفوضى والعنف والاستقرار وغياب الأمن، وأن الحرية لم تحمل معها سوى الخراب على أرض الواقع، مما جعل النظام كغيره من الأنظمة الرجعية في المنطقة يبدأ في الهجوم المضاد على التعبيرات الديمقراطية والحقوقية، ولكل مكان من توهج الحراك الشعبي من رموز وقوى سياسية ومدنية، منطلقا من حقيقة أن هذا الحراك له بعد تاريخي وأن ديناميته لن تتوقف إلا بتحقيق أهداف الحراك وهو ما يهدد مصالح قوى الفساد والاستبداد على المدى المتوسط والبعيد. لذلك استخدمت الدولة كل الوسائل والطرق لتطويق تلك الدينامية الشعبية وتلك التعبيرات الواسعة للمواطنين مختلف الأشكال، وخصوصا أن الحراك

الشعبي كسر جدار الخوف واسترجع الشارع قوته وزخمه وبعده السلمي والحضاري، وحضور الإبداع في التعبير عن المطالب والتطلعات لتحقيق مجتمع الحرية والكرامة والديمقراطية.

### ملاحقة نشطاء 20 فبراير

لقد عملت الدولة في البداية على ملاحقة نشطاء ومناضلي حركة 20 فبراير، والذين لعبوا أدوارا مهمة على مستوى تأطير الحراك والتعبير عنه والتعريف به والدفاع عنه، واستعملت الأجهزة كل الوسائل من أجل ملاحقة وحصر الكثير من الفعاليات البارزة، ونظمت حملات إعلامية ممنهجة لتسويه تلك الطاقات وتسفيهاها واتخذت المتابعات والاعتقالات طابعا انتقاميا في سعي لتسويه تلك الرموز وتحطيمها والقضاء على رصيدها، كما استخدم النظام أساليب القديمة في الاستقطاب والإغراء ووظف العديد من الوسطاء الذين يحملون يافطات حقوقية ومدنية، والتي تشتغل في الوسط السياسي والحقوقية والمدني بإمكانات ووسائل مسخرة، ورغم أن هذه الحملة كانت ممنهجة ومتناسقة فإن القوى الديمقراطية واليسارية، لم تهتم

# الردة الحقوقية

## انتهاكات بطعم الماضي

متحاملة، ونفي وجود معتقلين سياسيين وهو ما يذكرنا بالعهد السابق، رغم أن منهجية بعض تلك المنظمات تعتمد الحوار والتواصل والتعاون مع الحكومات في سبيل تعزيز حقوق الإنسان، ومواكبة الدول وتتبع مدى احترامها لالتزاماتها وتعهداتها من خلال مصادقتها على عدد من الاتفاقيات والصكوك الدولية.

وفي الوقت الذي كانت من قبل الدولة ومؤسساتها تتغنى بالاعتراف الدولي ببعض المكتسبات والإنجازات الحقوقية كتجربة الإنصاف والمصالحة، عادت نفس الأصوات لسياسة التجاهل والنفي وإخفاء الشمس بالغربال كما يقول المثل، ولقد برز واضحا هذا التوجه الذي تكرر أكثر بعد التغييرات التي شهدتها المؤسسات الرسمية المعنية بحقوق الإنسان من مجلس وطني لحقوق الإنسان ومندوبية ووزارة، وأصبح شغلها الشاغل هو الرد على

تلك التقارير والاصطدام معها كما وقع مع أمينيستي، بتجاهل ملاحظاتها وتوصياتها، في انتصار للمقاربة التي تحكم في هذه الردة الحقوقية، والتي تعتقد أن الظروف الدولية مواتية لتكريس استبداد الدولة.

### الرهان الخاسر

إن الرهان على سياسة القمع والتخويف والترهيب للسيطرة والتحكم في مصير المجتمعات وخدمة الفساد والاستبداد، هو رهان خاسر ويعاكس منطق التاريخ، كما أن التجربة المغربية تؤكد فشل سياسة القمع والتسلط في القضاء على نضال الشعب المغربي وقواه الحية حيث دفع مناضلوه الثمن غالبا من أجل الكرامة والحرية.

إن الاحتقان الذي تعرفه بلادنا والأزمة العميقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لا يمكن معالجتها بمزيد من الضغط والتسلط، وإن ما حصل بالفينيدق مؤخرا من احتجاج شعبي واسع، يحمل معه العديد من الرسائل للحاكمين، مفادها أن تجاهل قضايا الشعب وممارسة القمع والظلم والتهميش لن ينتج عنه سوى الرفض والتعبير عنه بمختلف الأشكال، وغير المتوقعة أحيانا.

إنه لا بد من تحقيق مطالب الشعب المغربي وقواه الحية في الحرية والكرامة والديمقراطية، وإن إطلاق سراح المعتقلين السياسيين واحترام الحريات وحقوق الإنسان هو المدخل الوحيد لوضع حد للاحتقان والأزمة المتفاقمة.

• رشيد الإدريسي



والترهيب والتخويف، وهو ما يتناقض مع التزامات الدولة في مجال الحريات وحقوق الإنسان. ولم تفلت الصحافة من مسلسل القمع حيث تعرض الصحفيون للتضييق والمتابعات القضائية بتهمة مثيرة ومتشابهة، هدفها توجيه رسائل ترهيب واضحة للجسم الصحفي ككل، والذي وجد نفسه من جديد أمام سيف المنع والحصار والخطوط الحمراء والرقابة وتحجيم دور الإعلام والتحكم في مؤسساته العمومية في تناقض صريح مع مبادئ الحرية والتعددية، حيث لاحظنا الحصار المضروب على الرأي الآخر وخصوصا القوى الديمقراطية واليسارية الحققة وهو ما دفع منظمة مراسلون بلا حدود للتعليق على هذا الوضع بـ "إن المغرب وفي لربته المتأخرة في حرية الصحافة، المرتبة 133 عالميا من أصل 180 دولة في مؤشر حرية الصحافة". كما لم تكتفي السلطة بذلك بل أطلقت العنان لبعض المواقع الإعلامية للتشهير وتسفيه المعارضين والحقوقيين واستهدافهم في تحد سافر للقوانين بما فيها قوانين الصحافة.

### الوضع الحقوقي والمنظمات الدولية لحقوق الإنسان

لقد عكست التقارير والبيانات الصادرة عن مجموعة من المنظمات الدولية لحقوق الإنسان الوضع المقلق لأوضاع حقوق الإنسان ببلادنا، وعادت الدولة من جديد وبقوة لأساليب الماضي في إنكار الحقائق وتسخير وسائل الإعلام لتسفيه تلك التقارير واعتبارها

مظاهر التدبير السلطوي بعد أن تم تهमيش العديد من المؤسسات والتحكم في العديد من التدابير، ولقد بدا واضحا إن هذه السياسة مرتبطة بالردة الحقوقية لإعادة ترسيخ مظاهر الخوف والترهيب في نفوس المواطنين.

### استهداف وسائل التواصل والصحافة

لقد وضعت قوى الاستبداد وسائل التواصل الاجتماعي كهدف نظرا لأدوارها سواء في الحراك أو التعبئة أو فضح كل مظاهر الفساد والظلم، وأصبح لها تأثير قوي على الحاكمين وعلى المسؤولين في الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات، وبالتالي تحولت هذه الوسائل في التعبير والتواصل لأدوات رقابة وتأثير، وهو ما أثار إزعاج المسؤولين الذين وجدوا أنفسهم يتعرضون للمحاسبة ليل نهار، وأصبح الرأي العام له سلطة وتأثير، ولذلك تحركت السلطوية في أكثر من اتجاه في محاولة لإصدار قوانين قمعية مستغلة ظروف الجائحة وخاصة قانون 20/22 حول استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، والذي قدمته حكومة العثماني في شخص وزير العدل الاتحادي محمد بن عبد القادر والذي جوبه برفض شعبي قوي أدى إلى سحبه مؤقتا تحت ضغط الرأي العام، وبالموازاة مع ذلك تواصل مسلسل قمع ومتابعة عدد من المدونين والمناضلين اليساريين والحقوقيين بسبب تدوينات على وسائل التواصل الاجتماعي في سعي إلى التضييق على مساحة التعبير،



## حراك الريف.. وإطلاق سراح نشطائه من أجل مصالحة تاريخية لطبي الملف



• سارة سوجار •

بحقوقه وبآليات الاحتجاج المدني والسلمي، فسارعت أجهزة الدولة لاستعمال لغة العنف والترهيب، الغير متناسب مع سلمية الاحتجاجات وعدالة المطالب المرفوعة، وعلى صوت القمع وتغيب لغة الحوار والتنمية والديمقراطية، لتصل حصيلة المقاربة الأمنية لمئات المعتقلين من نشطاء ومدونين وصحفيين.

ويعتبر حراك الريف المثال الأبرز لهاته المفارقة التي غيببت التنمية العادلة للمنطقة في مقابل تحريك العقاب الجماعي، وهو نموذج لدراسة الواقع الحقوقي الذي وصلنا إليه في المغرب، فهو حركة اجتماعية شعبية، ذات مطالب اجتماعية، بقدرة قادر كان مآلها السجن أو القمع وأحكام سجنية قاسية وصلت في مجمل أحكامها لمئات السنين.

وقد أكد تعامل الدولة في هذا الملف، على أن الوعود والكلام المعسول بالإصلاحات التي تم إطلاقها لحظة عشرين فبراير مع الدستور الجديد، لم تكن إلا محاولة لاحتواء اللحظة الاحتجاجية والتحولت الإقليمية آنذاك، وذرا للرماد في عيون الشارع المغربي بإسكات صوته، وإخراص حناجر الشباب.

عاش المغرب على وقع موجات من الاحتجاجات والديناميات المجتمعية التي انتقدت السياسات العمومية، والتي واجهتها السلطات بحملة من انتهاكات الحقوق والحريات طيلة عشر السنوات الأخيرة، وقد اتخذت هاته الانتفاضات أشكالاً مختلفة، بين احتجاجات مجالية وجهوية كحراك الريف وجردة وزاكورة وورزازات وغيرها... وكذا احتجاجات مهنية وفئوية كتلك المرتبطة بمطالب الأساتذة والممرضين والأطباء..

أكدت هذه الديناميات على أن المجتمع المغربي حي، واعي ومسييس، لكن بطريقته الخاصة، وأكثر تطوراً تجاوزت نمط الاحتجاجات السابقة، فقد أبدع أشكال معارضته ورفضه للوضع القائم سواء في الشارع أو داخل مواقع التواصل الاجتماعي.

لكن الدولة، للأسف، لم تستطع استيعاب حجم التحولات النوعية التي حدثت في نسيج المجتمع المغربي، الذي تطور وعيه



## حراك الريف.. وإطلاق سراح نشطائه من أجل مصالحة تاريخية لطبي الملف

إن المصالحة التنموية والسياسية والثقافية مع منطقة الريف، ومع كل المناطق المغربية، وإطلاق سراح جميع المعتقلين على خلفية الحركات الاجتماعية والحق في الرأي، يعتبران شرطين أساسيين للخروج من عنق الزجاجة الذي وصلنا إليه بفعل فاعل.

في نفس السياق يرتبط تحقيق الرهانات الإقليمية والإفريقية والدولية للمغرب، بتقديم بلادنا الاقتصادي والتنموي والسياسي، وبارساء ديمقراطية حقة بالمغرب تقطع مع الأساليب السلطوية البائدة، وهذا هو المدخل السليم لانخراط كل الفاعلين في الدفاع عن مصالح الوطن خارجيا وداخليا، ويبقى كسب رهان تمتين اللحمة الداخلية لبنات وأبناء الوطن مشروطا بالانخراط في إرساء انفراج عام بسيادة الحقوق والحريات والكرامة والعدالة الاجتماعية، وإخلاء سجون المملكة من معتقلي الرأي والحركات الاجتماعية.

إننا نحتاج لإرادة جديده تستجيب للمطالب العادلة للشارع، وإلى قنوات حوار حقيقية تجعل الانفراج السياسي والإفراج عن المعتقلين أولى أولوياتها، من أجل بناء جسر الثقة بين الاحتجاجات ومختلف الفاعلين .

لقد استطاع المغاربة أن يبدعوا فضاءات جديدة للتعبير عن

آرائهم ومواقفهم من سياسات الدولة، وأدوات جديدة للمشاركة السياسية يجب استيعابها، الاعتراف بها والتفاعل إيجابيا معها لأنها مستقبل المغرب في ترسيخ آليات الديمقراطية، وكذا لضمان مشاركة أوسع للمواطنين والمواطنات في السياسات العمومية.

لقد عرف ملف حراك الريف ظلما إنسانيا، قانونيا وسياسيا، وعرف إجماعا وتعبئة وطنية ودولية من أجل حله، لذلك فإن الإفراج عن معتقليه وتحقيق مطالبه العادلة سيكون مدخلا حقيقيا لمغرب الديمقراطية وحقوق الإنسان.

ويمكن تعرية ثلاث حقائق أساسية في هذا الملف:

**1 ■** أن النموذج المغربي لم يكن يوما مُحَصَّنًا حسب ما كانوا يحاولون الترويج له تحت مسمى الاستثناء المغربي، وأن التردد الديمقراطي الذي عشناه فترة ما سمي بـ "البلوكاج الحكومي"، وعدم وجود عدالة مجالية واجتماعية، يمكن أن يشعل في أي لحظة انتفاضات ورجات مجتمعية تضرب عمق ما حاولت الدولة أن تصوره للمنتظم الدولي منذ 2011.

**2 ■** فشل مؤسسات الوساطة من نخب تمثيلية، مجتمع مدني وسياسي في التدخل في هذا الملف، وهو ما يؤكد فقدان عامل الثقة بين المواطن وهذه الوسائط، ويطرح سؤال مدى استيعاب هذه الأخيرة وفهمها للتحويلات المجتمعية الجديدة وللبدائل الاحتجاجية التي أبدعها المغاربة من لغة وتنظيم وأدوات خارج كل الكلاسيكيات الجاهزة من مؤسسات وتنظيمات وخطابات.

**3 ■** أن الدولة ليس لها ما تقدمه لهذه الاحتجاجات إلا القمع والاعتقال، فرغم اعترافها بمطالب الحراك ومشروعيتها، ورغم إقرار ملك البلاد بفشل النموذج التنموي وإعفاء كل من كانت له يد فيما حدث من اختلالات في الحسيمة، إلا أنها استمرت في نهج

المقاربة الأمنية عوض التعاطي التنموي والديمقراطي مع الملف.

اليوم ونحن نعيش سيقا دوليا وإقليميا مختلفا، فبعد أن طغت أجندة محاربة الإرهاب والهجرة غير النظامية والأمن الدولي على رهانات العلاقات الدولية في العالم، تعرف اللحظة واقعا آخر مرتبطا بالأزمة الصحية ومخلفاتها، مرتبطا بالصيغة الجديدة للإدارة الأمريكية، و بالانتفاضات المتواترة في العالم، والتفاوض الدولي الجديد على أجندة السلم وحقوق الإنسان. أننا نحتاج في مغرب اليوم إلى إجابات جديدة، إجابات حقيقية، تحمل في عمقها سياسات تنموية عادلة وطنيا ومجاليا، ووضع مخطط استراتيجي واضح المعالم لمصالحات ديمقراطية تجعل جدلية الحق في المواطنة والأرض كثنائية تحقق العدالة والكرامة لكل المغاربة والمغاربة.





# مجهر على 4 حالات اعتقال

## الصحافي الاستقصائي عمر الراضي لازال وراء القضبان

1

أمنيستي تقريراً، تعلن فيه تعرض هاتف عمر الراضي وعدد من النشطاء السياسيين والحقوقيين للتجسس بواسطة تطبيق يدعى pegasus من صنع شركة إسرائيلية NSO، انعقد مجلس حكومي بسرعة واتهم عمر علانية بالتجسس والتعامل مع جهات أجنبية لها علاقة بجهات استخباراتية، من قبل القضاء والنيابة العامة. كما أصدر الوكيل العام بمحكمة الاستئناف بالدار البيضاء بلاغاً بفتح تحقيق حول شبهة تلقيه تمويلات خارجية والتجسس. ومن هنا بدأت التحقيقات مع عمر من طرف الفرقة الوطنية للشرطة القضائية، التي دامت حوالي شهراً كاملاً، وكانت كل حصّة تحقيق تدوم من سبع إلى عشر ساعات.

وخلال هذه التحقيقات، كانت صحافة التشهير والفضائح تتحرش بعمر عند دخوله وعند خروجه من مقر الفرقة الوطنية للشرطة القضائية أمام أعين ضباطها وتنتعته علانية بالجاسوس.

لقد ظل عمر متماسكاً ومتشبهاً ببراءته من هذه التهم أثناء التحقيق، ولقد دافع عن نفسه من خلال تنظيم ندوة صحفية بمقر النقابة الوطنية للصحافة بالبيضاء بسط فيها قضيته وقدم فيها عدد من التوضيحات. وفي آخر تحقيق لم يجدوا ما كانوا يبحثون عنه، فراحوا إلى لائحة التهم التي اعتادوا توجيهها للصحافيين المستقلين ذات طبيعة أخلاقية كالجنس والاعتصاب والتمويلات. فوجهوا له تهمة الاغتصاب لبيتسني لهم اعتقاله، وهذا ما حصل فعلاً، وها هو الآن يتابع في حالة اعتقال بعد أن تم رفض طلب تمتيعه بالسراح المؤقت من طرف دفاعه مادام يتوفر على كل ضمانات الحضور، ولقد انتدب للدفاع عنه ومؤازرته أثناء جلسات التحقيق عدد

من المحامين من مختلف هيئات المغرب، وحضر مجموعة منهم جلسات التحقيق، في مقدمتهم النقيب عبد الرحمان بنعمرو، والجدير بالذكر أن أول جلسة كانت يوم 22 شتبر ومن المنتظر أن تنعقد جلسة جديدة بعد أربعة جلسات، يوم 23 فبراير القادم، والمثير هو تحول شاهد النفي الوحيد الصحفي عماد ستيبو إلى مشتبه فيه في نفس القضية.

ولقد عبرت عدداً من المنظمات الحقوقية والسياسية والمدنية عن تضامنها مع عمر الراضي وكما تشكلت لجنة للتضامن ونظمت مجموعة من المبادرات التضامنية في المغرب وفي الخارج في سياق رفض مسلسل التضييق وقمع الصحفيين ومتابعيهم بتهمة ملفقة.

اعتقل عمر الراضي يوم 29 يوليوز 2020 وهو الآن يقبع بسجن عكاشة بمدينة الدار البيضاء. بعد سلسلة من المضايقات الأمنية والإعلامية، أصبح عمر هدفاً للقمع المسلط على صحافي التحقيق بالمغرب، ذنبه الوحيد هو تشبّهه بممارسة عمله بكل استقلالية ورفض إخراس صوته. انخرط في العمل الصحافي مبكراً وبمجرد استكمال دراسته الجامعية، التحق براديو أطلانتيك كتجربة أولى ثم راح يبحث عن فضاء أرحب بعيداً عن كل رقابة، حيث التحق بأسبوعية Le journal hebdomadaire الذي أغلقته السلطات المغربية.

التحق بعد ذلك بـ TELQuel ثم Media24. وبعد ذلك أسس بمعية زملاء له موقع "لكم" باللغة الفرنسية الذي أغلقته السلطات بدوره. وخلال سنة 2015 أسس أول موقع بالمغرب حول الصحافة الاستقصائية Le Des مع مجموعة من الصحفيين. اهتم عمر بمظاهر الظلم الاجتماعي والطبقي والرشوة وحقوق الإنسان وتحالف السلطة والمال والحركات الاجتماعية والتحقيقات التي أنجزها أزعجت السلطات كثيراً، لكونها كانت مباشرة وتشير إلى مكامن الفساد ورجاله، ولقد تعاون الراضي مع العديد من وسائل الإعلام المغربية والدولية، ونشر تحقيقات حول الاقتصاد الريعي كما كشف قضية بيع أراضٍ بأسعار زهيدة لمسؤولين كبار. بدأت قضية عمر الراضي يوم 18 أبريل 2019، عندما تم استدعاؤه من طرف الفرقة الوطنية للشرطة القضائية بالدار البيضاء، على إثر تدوينة غاضبة على الأحكام القاسية ضد معتقلي الريف والتي بلغت

20 سنة. وبعد ثمانية أشهر استدعي مرة أخرى من طرف نفس الفرقة وتقرر اعتقاله، وعرضه على المحكمة في أول جلسة وقررت متابعته في حالة اعتقال يوم 25 دجنبر 2019. وبعد حملة تضامنية واسعة وطنياً ودولياً أطلق سراحه لبيتسني في حالة سراح. قررت المحكمة معاقبة عمر يوم 17 مارس 2020 بأربعة أشهر موقوفة التنفيذ وبـ 500 درهم غرامة.

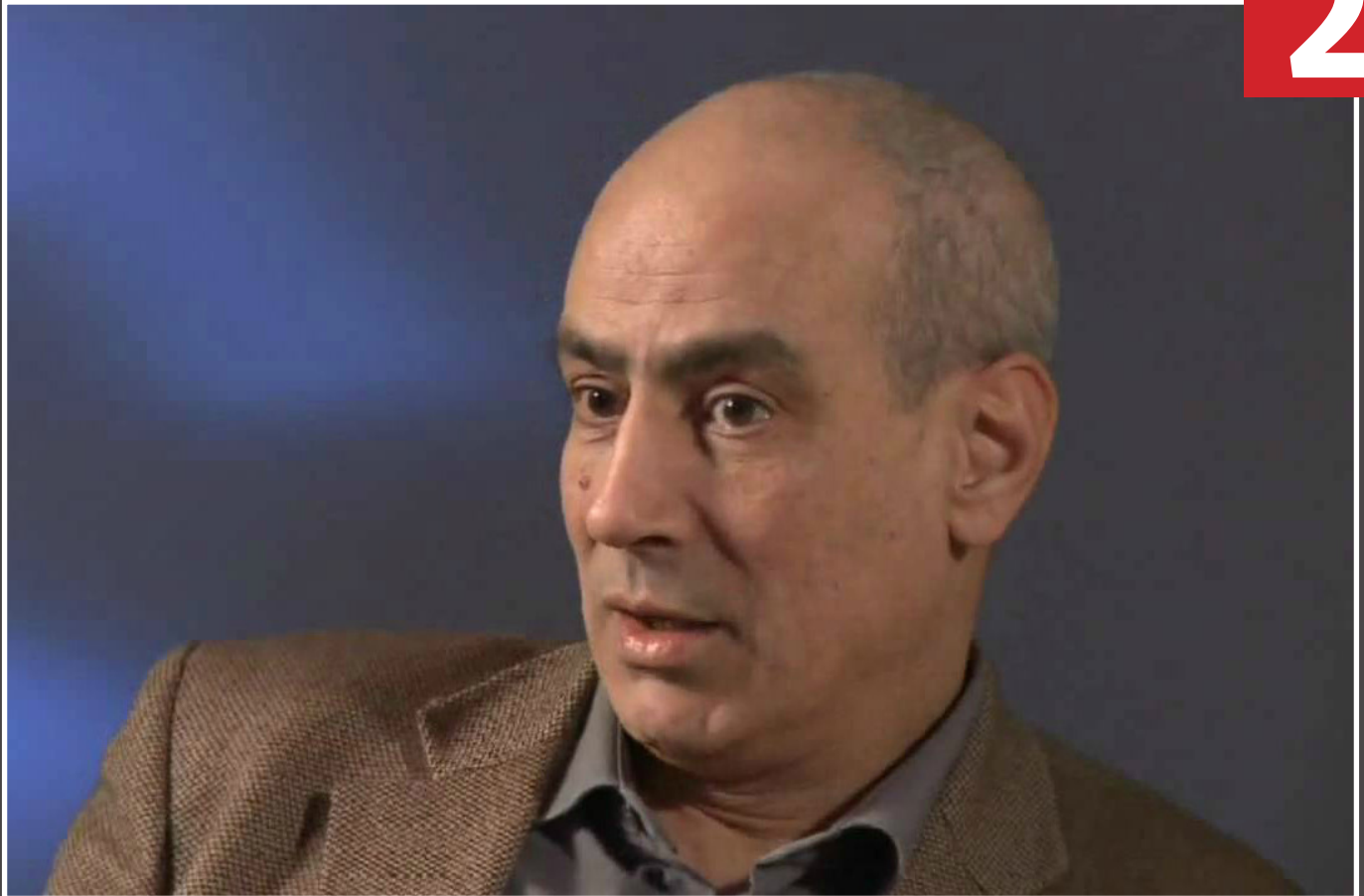
وبعد اعتقال زميله سليمان الريسوني، سارع عمر وصحية عدد من الزملاء لتشكيل لجنة تضامنية مع سليمان الريسوني. مباشرة تعرض لحملة تشهيرية به وتم اتهامه بالتجسس، وبدأت تنشر معلومات حول عمله، وحسابه البنكي وحتى حميمياته واتصالاته على المواقع الاجتماعية. وهذا يعني تسريب معلومات شخصية محمية دستورياً. وعندما نشرت منظمة



# مجهر على 4 حالات اعتقال

## الاعتداء على الحياة الخاصة للاقتصادي والحقوقي فؤاد عبد المومني

2



أمني لهاتفه من قبل، ففي أكتوبر ونوڤر سنة 2019 تم اختراق نظام تجسس لهاتفه هو وثمانية أشخاص، حيث أخبرهم واتساب بكون هواتفهم تعرضت لمراقبة الكترونية غير قانونية لبرنامج تجسس يسمى pegasus، تنتجه شركة إسرائيلية وتبيعه لعدد من الأنظمة التي تستخدمه ضد المعارضين والنشطاء، ولذلك يحمل فؤاد الدولة مسؤولية هذا الاعتداء الخطير على الحياة الخاصة، ويربط ذلك بمسلسل القمع والتضييق على الحريات الذي تعيشه بلادنا. واعتبر فؤاد المومني أنه لن يقبل سياسة القتل المعنوي المنتهجة، والتي اعتبرها معادية للحريات وللقوانين، ولذلك خرج لفضح ما تعرض له إعلاميا كخطوة أولى، والمخ إلى أن عددا من الأشخاص الذين كانوا يدافعون عن الحريات والديمقراطية ومناهضة الرشوة انسحبوا والتجنوا للصمت، وهو ما قد يفسر أنهم تعرضوا لمثل هذه التهديدات والضغوطات، وللإشارة فإن ما تعرض له عبد المومني لا يمكن لأي ديمقراطي وحقوقي إلا أن يستنكره ويدينه، لأنها أفعال إجرامية تستهدف الحياة الخاصة والحميمية للإنسان وتنطوي على اعتداء سافر على حرية وكرامة الإنسان.

في تصريحات إعلامية للاقتصادي والحقوقي فؤاد عبد المومني، حول ما تعرض له من اعتداء على حياته الخاصة، أكد أنه في شهر فبراير من السنة الماضية علم فؤاد المومني، الناشط في مجال حقوق الإنسان والمدافع عن الحريات والديمقراطية، والكاآب العام السابق لترانسبرانسي والنائب السابق لرئيس الجمعية المغربية لحقوق الإنسان والمعتقل السابق، علم من أصدقاء وأشخاص تواصل مع بعضهم، أنهم توصلوا من أرقام هاتفية مجهولة بفيديوهات قصيرة مصورة في بيته تتضمن محتوى يشير إلى علاقته الحميمة والجنسية داخل بيته، وحسب فؤاد عبد المومني الذي اطلع على ذلك، تعرف على أنها سجلت في غرفة نومه وفي الصالون، واستنتج أن المكان الذي وضعت فيه الكاميرات هو جهاز التبريد في الغرفتين، وأن محتوى الصورة جيد مما يعني أنه لكاميرات دقيقة ومتطورة، وحين عاد للمكان الذي وضعت فيه لم يجدها، واستنتج أن من وضعها عاد ليزيلها بعد عمليات التسجيل، وهو ما يعني حسب عبد المومني أن المدبرين هم مجموعة منظمة تشغل وفق برنامج وتتحرك في إطار منظم، واعتبر انطلاقا من ذلك أن هناك شكوكا كبيرة حول تورط جهة رسمية تقف وراء ذلك وخصوصا مع ما تعرض له سابقا من اختراق



# مجهر على 4 حالات اعتقال

## تقديم الصحفي سليمان الريسوني للمحاكمة بعد تسعة أشهر من التحقيق والعزلة

3



بيومين قبل حدوثه، ثم من دون توجيه أي استدعاء قانوني له. فبحسب الضحية المفترض، والذي تعود الحادثة التي تحدث عنها في تدوينته إلى سنة 2018، والتي بحسب ما صرح به، أنه لم يكن آنذاك مستعدا لمتابعة الصحافي سليمان الريسوني، على ما تعرضه له من طرفه بحضور شاهدة على الحادثة وهي خادمتها، وهي التهم التي نفاها الريسوني. بعد اعتقال الريسوني، تمت محاصرة بيته الذي كانت تتواجد به زوجته وابنه الذي كان يبلغ من العمر إذاك تسعة أشهر، أخضع المنزل حينها للمراقبة والحصار طيلة مدة الحراسة النظرية للصحافي سليمان الريسوني، ومن تم اقتيدت زوجته لمقر ولاية الأمن بالدار البيضاء من أجل استنطاقها، فيما منع سليمان الريسوني من التخابر مع دفاعه بعد الانتهاء من الحراسة النظرية، السلوك الذي اعتبرته الجمعيات الحقوقية إمعانا في التسلط ضد هذا الصحافي. تم إيداع الصحافي سليمان الريسوني بسجن عكاشة يوم عيد الفطر، 25 ماي 2020 والاحتفاظ به داخل السجن على ذمة التحقيق، ليمنع مرة أخرى من لقاء دفاعه مدة 15 يوما، ويمدد اعتقاله مدة تسعة أشهر. لقد عبرت عدد من الجمعيات والمنابر والشخصيات عن قلقها العميق من جراء هذه المتابعات التي تتم بتوجيه تهم جنسية وأخلاقية، واعتبرتها تجري في سياق يتسم بالتضييق على الحريات وحقوق الإنسان، مما يقوي الشكوك اتجاهها، مع تأكيدها على إطلاق سراح الصحفيين مادام أنهم يتوفرون على كل ضمانات الحضور، وفي هذا السياق وجهت منظمة مراسلون بلا حدود نداء للأمم المتحدة (طلب إدانة علنية لتوظيف القضايا الجنسية ضد الصحفيين المنتقدين في المغرب).

يوم الثلاثاء 8 فبراير تم تقديم الصحفي سليمان الريسوني على أنظار محكمة الاستئناف بالبيضاء، بعد تسعة أشهر من التحقيق، ولقد طالب الدفاع بالسراح المؤقت للريسوني لأنه يملك ضمانات الحضور، كما سجل عدد من المحامين أنفسهم ينتمون إلى هيئات عدد من المدن للدفاع عنه ومؤازرته من بينهم الأستاذ النقيب عبد الرحمان بنعمرو. اعتقل الصحافي سليمان الريسوني في 22 ماي 2020، حيث كان يتولى مسؤولية رئيس تحرير جريدة أخبار اليوم، ولقد جرى الاعتقال في سياق حملة من التهديد والتشهير به وبعائلته سبقت اعتقاله، بعد نشر شخص مجهول لتدوينته يدعي فيها تعرضه لاعتداء جنسي، تدوينة لا تحمل اسم مرتكب فعل الاعتداء هذا، إلا أن النيابة العامة حركت المتابعة ضد الصحافي سليمان الريسوني بناء عليها، ليتحول صاحب التدوينة إلى مشتكي بعد شهرين من سجن هذا الصحافي. اشتغل سليمان الريسوني في العديد من الجرائد والمواقع وتميزت كتاباته بطابع نقدي للسلطوية، كان يكتب افتتاحيات لاذعة، من خلالها يسلط الضوء على أعطاب الدولة وينتقد سياساتها وطريقة تدبير السلطة لقضايا الشأن السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ساهم الصحافي سليمان الريسوني، في تشكيل اللجان الداعمة للصحافيين المعتقلين، ومن المدافعين عن حرية الصحافة، والمنتقدين للقوانين السالبة للحريات ومتابعة الصحافيين في قضايا النشر بالسجن النافذ. لقد أثار اعتقال الصحافي سليمان الريسوني، شكوكا لدى الجمعيات الحقوقية والأحزاب، خصوصا بعد الطريقة التي تم اعتقاله بها، التي لم يتردد دفاعه بأن يعتبرها اختطافا، بالإضافة إلى نشر تاريخ اعتقاله

# مجهر على 4 حالات اعتقال

## السجن النافذ في حق المؤرخ والحقوقي المعطي منجب

4

تجسس لشركة إسرائيلية، وهي المراقبة التي شملت مجموعة من الفعاليات الحقوقي بالمغرب، وأصدرت نداء للحكومة تطلب منها إطلاق سراحه بدون قيد أو شرط، وأطلقت أمنستي تحركا سريعا من أجل إطلاق سراحه بعد أن اعتبرته سجين رأي، واعتبرت هذه التهم فضفاضة للغاية، وأنها تأتي في سياق القمع الذي تشنه السلطات ضد الصحفيين والحقوقيين والنشطاء والمعارضين في السنوات الأخيرة، وبخصوص التمويل الأجنبي فلقد أشارت المنظمة، أنه بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان، فإن الحق في تكوين

أصدرت في أواخر شهر يناير الماضي المحكمة حكما بالسجن سنة نافذة في حق المؤرخ والأستاذ الجامعي المعطي منجب، كما صدرت في نفس الملف أحكام بسنة سجن نافذة في حق هشام المنصوري وعبد الصمد عياش وهشام خريش وكلهم أعضاء سابقون في الجمعية المغربية لصحافة التحقيق، والسجن لمدة ثلاثة أشهر موقوفة التنفيذ في حق الحقوقي محمد الصبر وغرامة مالية في حق الصحافية ماريما مكريم، وتعود تفاصيل



الجمعيات أو الانضمام لها يشمل قدرة المنظمات غير الحكومية، على الانخراط في أعمال جمع التبرعات، والسعي لاستخدام الموارد من المصادر الوطنية والأجنبية والدولية وتلقيها واستخدامها. وتشكل القيود على تلقي التمويل الأجنبي إخلالا بالمادة 22 من العهد الدولي الخاص بالحقوقي المدنية والسياسية، وبخصوص تهمة الاحتيال بسبب عدم التصريح بالتمويل الأجنبي حسب قانون الجمعيات بالمغرب، فلقد اعتبرت المنظمة أن ذلك لا يستوجب المتابعة القضائية بل يمكن أن يقتصر على تعليق أنشطة الجمعية أو حلها.

كما أن بيان "فري بريس أنليميتد" التي تتخذ هولندا مقرا لها وهي الشريك لمركز ابن رشد والذي أصدرته يوم 15 يناير، تعتبر فيه أن "منجب شريك يحظى باحترام فائق ولا ينبغي أن يكون في السجن"، كما أن بعض لجان التضامن قد شكلت في الموضوع تضم شخصيات فكرية وأكاديمية كبيرة من بينها نعيم تشومسكي وعبد الله حمودي وعبد اللطيف اللعبي، ولقد خلف اعتقال المعطي منجب والحكم الصادر في حقه إلى جانب الصحفيين والحقوقيين موجة استنكار من طرف الحقوقيين والديمقراطيين، الذين اعتبروا ذلك يندرج في سياق التضييق وقمع الحريات.

هذا الملف إلى سنة 2015، حيث وجهت للمعطي منجب وستة نشطاء تهمة "المس بالسلامة الداخلية للدولة" وتسيير جمعية تقوم بنشاط غير ما هو مقرر في قوانينها الأساسية، وتلقيهم أموالا من منظمة (فري بريس أنليميتد) غير الحكومية، ويتعلق الأمر بتنظيم دورات تدريبية من طرف مركز ابن رشد الذي أسسه المعطي منجب، حول تقنيات "ستوري ميكر Story Ma-er وهو تطبيق آمن، يمكن الصحفيين المواطنين من نشر أي محتوى دون الكشف عن هويتهم إذا أرادوا ذلك، ولقد تأجلت المحاكمة أكثر من عشرين مرة، وغاب الدفاع في جلسة النطق بالحكم، فحسب تصريح المحامي النويضي، فالدفاع لم يتم إخطاره بالجلسة، والجدير بالذكر أن المعطي منجب يجري التحقيق معه كذلك في تهمة غسل الأموال واختلاسات هو وبعض أفراد عائلته، ولقد اعتبر المعطي منجب هذه المتابعات وتلفيق التهم "الهدف منها هو إضعاف موقفه أمام الرأي العام الوطني والدولي بتهمة حق عام بحتة". ولقد احتجت منظمة العفو الدولية على ما يتعرض له المعطي منيب من تضييق وقمع بسبب آرائه النقدية ودفاعه على حرية التعبير، حيث سبق لمنظمة العفو الدولية أن كشفت أنه أجرت تحقيقات كشف تعرض منجب منذ 2017 لمراقبة رقمية غير قانونية باستخدام برمجيات



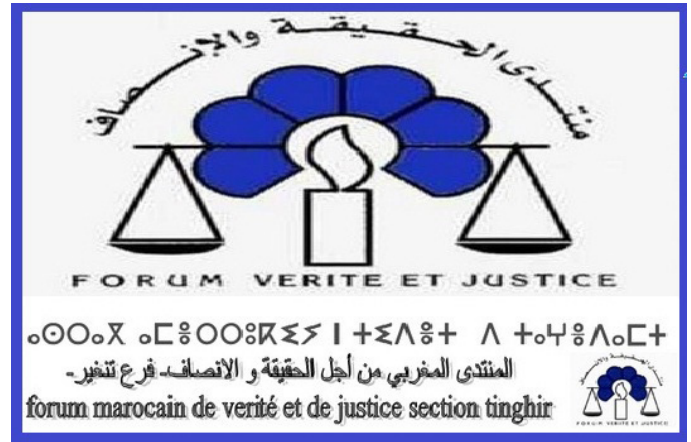
# حوار مع رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف

## حسان كمون رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف

ساهم المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف، ومنذ نشأته بالتعريف بقضايا ماضي الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وفي النضال والترافع من أجل ضحايا سنوات الرصاص، ومن أجل ضمانات قانونية ودستورية، حتى لا يتكرر ذاك الماضي الأسود، نحاو رئيس المنتدى، حول الوضع الحقوقي العام والردة التي يعرفها هذا الحقل.



• حسان كمون رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف



تعيش بلادنا منذ مدة سلسلة من التراجعات تمس حقوق الإنسان والحريات، وتجري عدد من المحاكمات ضد المناضلين والنشطاء الحقوقيين والصحفيين، كيف تفسرون ما يقع؟ وما علاقته بما يجري من ثورات مضادة.. في عدد من الدول إقليمي، والتي عرفت حركات شعبية.

ما أسميته ثورة مضادة اعتبره ناتجا عن السياق الدولي الذي تميز بالمد اليميني في الدول الغربية من جهة وضعف القوى الديمقراطية من جهة ثانية (ولا يتسع المجال هنا لتحليل أسباب ذلك كله) مما يقوي من اتجاه التراجعات كما يقلل من احتمالات أن تسهم الاحتجاجات ونتائجها، والتي تحدث هنا وهناك في تعميق المنحى الديمقراطي الوطني..

تنوعت أساليب القمع واتخذت المتابعات القضائية ضد النشطاء والصحفيين صيغا غير مسبوقة، وذلك بالترافق مع حملات من التعتيم والتضليل التي تنتهجها بعض الأوساط الإعلامية، كيف تقيمون كمنظمة حقوقية هذه الظاهرة؟ وما العمل من أجل تقوية وتعزيز محيط سياسي وإعلامي وثقافي مناصر لقيم الحرية وحقوق الإنسان؟

في البداية لا بد من توضيح أن الأساليب القمعية والمتابعات القضائية ضد النشطاء والصحفيين هي صيغ مسبقة وليس العكس، فبلادنا عاشت أشكالا وأنواعا من الأساليب القمعية الرهيبة والمتابعات القضائية الشنيعة بل تعدتها إلى ارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان (اختطافات - إعدامات خارج القانون) وهو ما يعبر عنه بسنوات الرصاص. صحيح أن هذا النوع من الانتهاكات الجسيمة وضعنا معظمه خلفنا، وهذا بفضل تضحيات ونضالات قوى الصف التقدمي وضمنه الحركة الحقوقية، ولكن بقيت عدد من أساليب التضيق والقمع : التضليل وهي غير مبررة بالمطلق ولا تتجانب مع التزامات الدولة وخاصة مع توصيات هيئة الإنصاف والمصالحة كإطار للعدالة الانتقالية

أظن أن التعميم لا يصح، الحالة المغربية مختلفة عن باقي الحالات في منطقة جنوب البحر الأبيض المتوسط وشرقه. لا تشبه الحالة المغربية حالات مثل ليبيا أو سوريا أو اليمن أو حتى تونس. قاسمهم المشترك هو الانتفاض ضد الاستبداد والفساد في سياق التطور التكنولوجي المتمثل على وجه الخصوص في الدور المتزايد لشبكات التواصل الاجتماعي.

وفيما يتعلق بالمغرب، ما حدث في 20 فبراير لم يكن بنظري ثورة، بل كان حراكا (بحسب ما استوردناه من تعابير مشرقية).. لقد كانت البلاد مهيأة لإحداث تغييرات بفعل العمل الذي قامت به الحركة الديمقراطية الوطنية بكل مكوناته السياسية والنقابية والمدنية والنضالات التي خاضتها منذ عقود، فمطلب تعديل الدستور مثلا كان قائما وحاصلا على شبه إجماع من طرف الجميع. والامتياز الذي كان لأحداث 20 فبراير هو كسر جدار الخوف وتسريع حركة التغييرات التي كان لا مفر منها..

كما أن مجمل التحولات التي عرفها المغرب خلال العقد ما قبل هذا الحراك، مكن من مرور الأحداث بالشكل الذي مرت عليه.. الميزة الثانية لحركة 20 فبراير هي أنها أبانت لأول مرة في المغرب عن تنظيم احتجاجات بذلك الحجم خارج التأطير السياسي الحزبي والنقابي والمدني رغم الحضور البين لمناضلي هذه الإطارات في هذا الحراك. كما وجب تسجيل عجز قوى الصف الديمقراطي بمختلف مشاربها في تثبيت والحفاظ على ما تحققت من مكتسبات حقوقية، ثم أيضا هشاشة البناء الديمقراطي ببلادنا الذي مازال يعيش على نغمات ما يطلق عليه بالانتقال الديمقراطي.

# حوار مع رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف

## حسان كمون رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف

لا يمكن أيضا أن تنوب في ذلك جمعيات المدنية رغم ضرورتها في العملية الديمقراطية ولا يمكن ل"المنصات الإعلامية" أو الشخصيات "التي تقدم نفسها كبديل عن القوى الحزبية السياسية المناضلة.. لا يمكنها أن تنوب كما قلت عن الأحزاب الديمقراطية.. والحال أن الحلقة الأضعف حاليا في العمل من أجل الديمقراطية هي حلقة الأحزاب.. ضعف الأحزاب يضعف من مردود هيئات المجتمع المدني في المجال الديمقراطي..

الواجب إذا هو تقوية الأحزاب الديمقراطية.. ثم بعد ذلك العمل الذي تقوم باقي الحركات المدنية.. والواجب كذلك هو توحيد جميع مجهودات الفعل الديمقراطي على أسس احترام التعدد والاختلاف والتباين لأنه في الأخير موازين القوى هي الفيصل في مثل هذه الإشكالات.



**تواجه الحركة الحقوقية تحديات حقيقية على مستوى توحيد جهودها وتفعيل أدوارها داخل المجتمع ومن أجل إقرار حقوق الإنسان، ماهي في نظركم السبل والوسائل لربح رهان وحدة الحركة الحقوقية وتقوية حضورها وفعاليتها وقطع الطريق على كل المحاولات التي تبذل من أجل تشتيتها وإضعافها ؟**

الجانب الإيجابي في الحركة الحقوقية المغربية هو ما راكمته خلال سنوات الرصاص وما بعده في مواجهة الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان ببلادنا وتعدد تنظيماتها واختصاصاتها بل التعدد حتى في اختصاص واحد. لكن ضعفها يكمن في توحيد جهودها. لقد كان المنتدى المغربي من أجل الحقيقة والإنصاف هو المبادر في تأسيس الإئتلاف المغربي لهيئات حقوق الإنسان وظل من بين الفاعلين الأساسيين داخله إلى اليوم. كما لعب المنتدى دورا بيداغوجيا حاسما لتقريب وجهات نظر أعضاء هيئة متابعة توصيات المناظرة الوطنية للانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان لتنظيم الندوة الدولية بمراكش في أبريل 2018 والتي خرجت بتوصيات جد هامة وجب تنزيلها على أرض الواقع. كما يعتبر المنتدى هذا الإئتلاف مكسبا للحركة الحقوقية المغربية رغم كونه يشكو من نواقص نكسب حاليا على معالجتها، لأن الجميع مقتنع بإعادة النظر في المقاربات والآليات التي كان يشتغل بها، ونحن الآن بصدد إنجاز تشخيص له لمعرفة نقط قوته ونقط ضعفه لتجويد أدائه. زيادة على هذا يجب أن يسود داخله (أي الائتلاف) مبدأ تقبل الاختلاف، لأن كل إطار له مقاربه وله خصوصيته، لأن دون ذلك فستنتج إما إلى الهيمنة أو إلى ضعف التوحيد أو

التي نسعى من خلالها إلى القطع كليا مع تلك الأساليب وتوفير شروط ممارسة ديمقراطية تنسجم مع ماتنص عليه المواثيق الدولية والبروتوكولات الملحق بها. ومن هنا فإننا كمنظمة حقوقية نجدد إدانتنا لكل تلك الأساليب ونشجبها ونتضامن مع ضحاياها وهذا ما عبرنا عنه سواء كمنتدى أو كائتلاف في عدة مناسبات، إذ طالبنا بإطلاق سراح معتقلي كل الحركات الاجتماعية ومتابعة الريسوني وعمر الراضي والمعطي منجب في حالة سراح لتوفرهم على ضمانات الحضور، وتهيئ كل شروط المحاكمة عادلة. أما فيما يتعلق بمتطلبات مواجهة حالة الجزر الحقوقي ببلادنا فإننا مدعوون كقوى الصف التقدمي إلى ضرورة تكثيف الجهود وتوثيق العلاقة فيما بينها وتوطيدها لأجل صياغة برنامج نضالي يقدم إجابات حقوقية ويطرح بدائل لتجاوز انتهاك الحقوق والحريات، والمنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف سبق له أن نظم ندوة لذات الموضوع شاركت فيها عدة هيئات حقوقية والتي عبرت عن استعدادها للانخراط في أية مبادرة من شأنها الارتقاء بأدائنا النضالي حماية للحريات والحقوق والنهوض بها.

**كيف يمكن التصدي لهذه التراجعات، والدفاع عن مكتسبات الشعب المغربي في مجال الحريات وحقوق الإنسان ؟**

لا يمكن تصور أي شكل من أشكال الديمقراطية دون أحزاب سياسية، وأساسا دون أحزاب سياسية ديمقراطية لا يمكن إنجاز مهام الديمقراطية وتحسين المكتسبات في مجال الحريات وتوسيعها وبلغة المنتدى إرساء ضمانات عدم التكرار.. لا يمكن إنجاز ذلك بدون أحزاب سياسية ديمقراطية ..



# حوار مع رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف

## حسان كمون رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف

كل هذه التغيرات وجدت نفسها أمام تحد كبير.. إثر أحداث الريف. فقد عدنا إلى الوراء بعد إشارات التراجعات منذ 2014. وأصبح لدينا معتقلون على خلفية الأحداث الاجتماعية ومعتقلون سياسيون.. ونبته إلى أن الإصلاح السياسي بغض النظر عن مدى تطوره ومدى استجابته للحاجات الفعلية في المجال الديمقراطي.. ستمت ملاحظته والإمسك به ومحاصرته وتعريضه للاجدوى أمام استمرار توسع الانتهاكات. لقد شكلت أحداث الحسيمة ونتائجها جزرا وتراجعا عن المكتسبات.. كما أظهرت عجز

السلطات العمومية عن تدبير هكذا أحداث وفق قواعد تدبير النزاعات الاجتماعية على أسس ديمقراطية، لذلك فقد طالبنا دائما إلى جانب القوى الديمقراطية بإطلاق سراح المعتقلين على خلفية هذه الأحداث وباقي المعتقلين على هامشها.. وكل المعتقلين بشبهة التعبير عن الرأي.. التحدي الثاني يتمثل في هذا الخندق الذي لا يريد أن يطمربين ما يتم إقراره في الوثائق القانونية وفي التصريحات الرسمية وبين الممارسة.. وهو تحدي يطال أولا الإرادة السياسية، كما يطال الثقافة المجتمعية ومثالثاتها في تدبير الفضاء العام..

**يتطلع عدد لا يستهان به من ضحايا انتهاكات الماضي لتسوية أوضاعهم وحل عدد من الملفات العالقة، نريد منكم اطلاع القراء على هذه القضايا التي تشغلكم وتشغل ضحايا انتهاكات الماضي ؟**

بادر المكتب التنفيذي خلال الولاية الحالية إلى حصر هذه الملفات بعد مراجعة وتمحيص.. وكما تعلمون هناك ملفات مختلفة في هذا السياق: - ملفات الإدماج الاجتماعي والإداري وتهم الضحايا المستفيدين من تعويض مالي مرفوق بتوصية في شأن الإدماج وأغلب ملفات هذا النوع تم حلها.. عدد منها لا زال قائما كنا على وشك التقدم فيه غير أن الجائحة وتداعياتها أوقفت التقدم بعدما اتفقنا مع المجلس الوطني في آخر لقاء معه بداية 2020 على تشكيل لجنة مختلطة لمتابعها وخاصة ملفات تقاعد المدمجين في الوظيفة العمومية وملفات إصلاح أوضاع بعض العاملين في الوظيفة العمومية أو الملحقين بها وما يصطلىح عليه بخارج الأجل. - ملفات أهروموو وقد تم حل عدد كبير منها على قاعدة الضحايا الذين



غيابه. يستحب كذلك أن تضع الحركة الحقوقية أولويات في كل مرحلة تتجند لها أغلب الهيئات الحقوقية وتتوحد حولها من أجل تحقيقها وفتح المجال للابتكار والاقتراح ومقارعة المشاريع التي من شأنها التأثير في الوضع الحقوقي الوطني.

**اشتغل المنتدى ومعه الطيف الحقوقي على تدابير عدم تكرار انتهاكات الماضي والضمائم الدستورية والسياسية والقانونية، ماهي حصيلة هذا الورش وماهي الإكراهات التي تواجهه ؟**

في الإجمال أشياء كثيرة قد تحققت.. من قبيل تعديل الوثيقة الدستورية وتضمينها بابا كاملا ومنفردا حول الحقوق والحريات. كما تم تجريم التعذيب والاختفاء القسري والاعتقال التعسفي وباقي الجرائم ضد الإنسانية. ثم أيضا في إطار الممارسة الاتفاقية للمغرب-المصادقة على اتفاقية مناهضة الاختفاء القسري والبروتوكول الملحق باتفاقية مناهضة التعذيب المتعلقة بالوقاية من آفة التعذيب كما تم إرساء آلية له ضمن القانون المنظم للمجلس الوطني لحقوق الإنسان في نسخته الأخيرة..

ثم تضمين التجريم الدستوري لمجمل الجرائم المذكورة سافا في مشروع تعديل القانون الجنائي وأضيفت إليه الجرائم المضمنة في نظام روما الخاص بالمحكمة الجنائية الدولية..

وقد توقفت جرائم الاختفاء القسري وإن كانت هناك بعض المزاغم المتفرقة حولها.. وتتم متابعة عدد من المكلفين بإنفاذ القانون بجرائم "الاعتقال التعسفي.."

وتمت وتتم عمليات "إصلاح منظومة العدالة" سواء على المستوى المؤسسي أو على مستوى مشاريع تعديل وتغيير المدونة الجنائية..

# حوار مع رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف

## حسان كمون رئيس المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف

يتلوه بعدها تقديهما (المذكرة) للجهات الرسمية والحكومية وللأحزاب السياسية والهيئة التشريعية والإعلامية.  
نتمنى أن نتمكن في القريب العاجل من مواصلة تنفيذ هذا البرنامج..

**دافعت بعض الأوساط الحقوقية ومن داخل المنتدى كذلك على أن تكون الآلية المستقلة للوقاية من التعذيب (المنبثقة عن مصادقة بلادنا على البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية مناهضة التعذيب) كآلية داخلية للمجلس الوطني لحقوق الإنسان، وهو ما حصل فعلاً، هل في نظركم مع الجمود والصمت الذي يحيط بهذه الآلية كان ذلك الموقف صحيحاً، خصوصاً بعد صدور القانون المنظم للمجلس الوطني وما عاشه هذا الأخير من تحولات؟**

ليس صحيحاً أن "أوساطاً" داخل المنتدى قد دافعت على أن تكون آلية الوقاية من التعذيب داخل المجلس الوطني.. بل إن المنتدى دافع عن استقلال الآلية وفق مقتضيات البروتوكول ووفق المبادئ التوجيهية ذات الصلة، بغض النظر عما إذا كانت الآلية داخل المجلس أو خارجه.. وعياً منها أن الاستقلالية عن المجلس ليست ضامناً لاستقلال الآلية وفق ما



أشرت إليه أعلاه..  
لقد كان من الممكن إقرار آلية مستقلة عن المجلس الوطني لحقوق الإنسان غير أنها لن تكون بالضرورة مستقلة عن الإدارة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن البحث عن صوابية أي من الموقفين هو في الواقع دون جدوى بل الأجدى-وفي انتظار الاطلاع على نتائج عمل الآلية الوطنية- هو العمل على خلق آلية مدنية لمراقبة عمل الوقاية من التعذيب والحرص على أن يكون عمل زيارة أماكن الاحتجاز متوافقاً مع المرجعية الدولية من جهة ومع مطلب الوقاية من التعذيب من جهة أخرى..  
ومع أن الآلية هي تقدم مهم في البناء الحقوقي الدولي والوطني.. فإن عدم الإقرار على مستوى البروتوكول بالإلزامية نشر أشغالها وتحريراتها وتقاريرها دون موافقة الحكومات يشكل عائقاً على الحركة الحقوقية وطنياً ودولياً، يجب العمل من أجل تجاوزه.

وضعوا ملفاتهم داخل الأجل.. في حين لم يستفد عدد منهم بسبب هذا العائق.. والحال أن أوضاعهم متشابهة في الغالب وتستحق تعاملًا على الأقل متشابهاً.. لقد باشر المنتدى المطالبة بتسوية أوضاعهم منذ صدور التقرير الختامي لـهيئة الإنصاف والمصالحة.. واستقبل وأطر ضحايا هذه الفئة.. ونعتزم مواصلة العمل من أجل إيجاد حلول معقولة لمن لم يتمكنوا من الاستفادة من التسوية التي تمت للملف..

- وهناك أيضاً الملفات التي تصنف في العادة خارج الأجل.. وهي ملفات تتعلق أساساً بضحايا الأحداث الاجتماعية من غير المنتميين وقد تم حصر المنتميين منهم للمنتدى في لائحة تم تقديمها للمجلس الوطني لحقوق الإنسان وتم الاتفاق بشأنها لتقديمها للحكومة قصد إيجاد تسوية معقولة لها..

ومن جهة أخرى فقد قدم المنتدى مقترحاً يخص تعديل القانون 65-00 المتعلق بالتغطية الصحية ليشمل فئة ضحايا الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

وعلى مستوى الحقيقة وتنفيذاً لقرار المؤتمر الوطني الخامس ونتائج المناظرة الدولية التي انعقدت بمراكش في أبريل 2018 والخاصة بمطلب إنشاء آلية

وطنية لاستكمال الحقيقة بادر المنتدى إلى تنظيم ورشة في الموضوع في مارس 2019 انبثقت عنها لجنة خاصة واصلت أشغالها طوال هذه الفترة وتمكنت من:

- إنجاز تقرير تركيبي / مذكرة لمجمل مسار "الحقيقة" في تجربة العدالة الانتقالية المغربية؛

- وضع خطة عمل شكلت الجوانب الزايفية والإعلامية والتعبوية: بوضع المذكرة لذي الآليات الأممية المعنية (فريق العمل المعني بالاختفاء القسري- لجنة الاختفاء القسري الأممية والمقرر الخاص المكلف بالحقيقة). وفي حين تمكنا من لقاء الفريق المعني بالاختفاء القسري وتسليمه المذكرة فإن الجائحة منعت إجراءات باقي اللقاءات..

- منعت الجائحة من تنفيذ البرنامج الإشعاعي والتعبوي الذي كان مقرراً تنظيمه بمناسبة اليوم العالمي للحقيقة (24 مارس) والذي كان يتضمن تنظيم لقاء موسع مع الحركة الحقوقية والمدنية الوطنية لتقديم المذكرة



# حوار مع رئيس الجمعية المغربية لحقوق الإنسان عزيز غالي



تعتبر الجمعية المغربية لحقوق الإنسان من أقدم وأكبر التنظيمات الحقوقية بالمغرب، والتي ساهم في تأسيسها كبار مناضلي الحقوق والحريات في المغرب، تتعرض مؤخرا لسيل من المضايقات مع التراجعات الحقوقية العامة. نحاو رئيسها في شأن الأعطاب العامة التي تشوب الحقل الحقوقي ومسؤولية الدولة في تعميق انتهاكات الحقوق والحريات.

تعيش بلادنا منذ مدة سلسلة من التراجعات تمس حقوق الإنسان والحريات، وتجري عدد من المحاكمات ضد المناضلين والنشطاء الحقوقيين والصحفيين، كيف تفسرون ما يقع؟ وما علاقة ذلك بما يجري من ثورات مضادة.. في عدد من دول المنطقة العربية التي عرفت حركات شعبية؟

تسجل الجمعية المغربية لحقوق الإنسان من خلال تتبعها لوضعية حقوق الإنسان بالمغرب، استمرار التراجعات والتضييق على الحريات، متسائلين عن مستقبل المغرب في ظل هذا الواقع المتمثل في أساليب القمع والاعتقالات الذي تواجه بها السلطات العمومية الاحتجاجات السلمية بعدة مدن مغربية مثل الفينديك والريف وقلعة السراغنة وزاكورة واحتجاجات للنقابات العمالية...

كما تندد الجمعية المغربية لحقوق الإنسان أيضا بسلسلة الاعتقالات والمحاكمات التي طالت صحافيين ومدونين ونشطاء اجتماعيين، كان آخرها الحكم على المؤرخ المعطي منجب بسنة سجن نافذا في جلسة عقدت في غياب دفاعه، واعتقال المدون حفيظ زرزانو واليوتور شفيق العمراني ونشطاء اجتماعيين، وتطالب الجمعية بوقف متابعة المدافعات والمدافعين عن حقوق الإنسان. إذا نستنتج أن: "واقع حقوق الإنسان في المغرب لا يشير بالخير، والتراجعات التي حصلت في هذه السنة، فاقت العقدين الأخيرين، على مستوى الحريات العامة". لأن الدولة تعاملت مع الاحتجاجات بمقاربة أمنية أكدت أن هناك منحى خطيرا عن سبق إصرار وترصد، كما لو أن هذا الحراك يشكل تهديدا لوجود الدولة، بينما هي احتجاجات حقوقية وديمقراطية.

إن هذا الإصرار يبرز مظاهر صمود الدولة العميقة بالرغم من الحراك والثورات على خلفية الربيع العربي، حيث أثبت أن النظام السياسي ينهض من الرماد، ويعيد رسم نفسه في صورة جديدة، لكن تبقى الأدوات المستعملة هي ذاتها، في حين أن نشوة الانتصار عمت

بصورة الشعوب، وأغرقتهم في سبات الوهم، وسراب الثورة، بينما تعمل الدولة العميقة وهي الروح الخفية لكل نظام سياسي، بعد كل انتفاضة شعبية على تقسيم وحدة الشعب إلى فئات، والفئات إلى جماعات، وعلى إحياء النعرة القبلية والجهوية، وتروج لعقدة الفئة الناجية، فيصبح الجميع بطلا في مرآة ذاته، ومن هنا يبدأ قتل الثورة المضادة.

تنوعت أساليب القمع واتخذت المتابعات القضائية ضد النشطاء والصحفيين صيفا غير مسبوق، وذلك بالتزامن مع حملات من التعتيم والتضليل التي تنتهجها بعض الأوساط الإعلامية، كيف تقيمون كمنظمة حقوقية هذه الظاهرة؟ وما العمل من أجل تقوية وتعزيز محيط سياسي وإعلامي وثقافي مناصر لقيم الحرية وحقوق الإنسان؟

إن تتبع الجمعية المغربية لحقوق الإنسان ملف حرية التعبير، وضع أن العدالة المغربية لم تعد تسجن الصحفيين بسبب ما يكتبون، ولكن وجدت لها طريقا معبدا بشكل جيد مرتبط بالقضايا الجنسية، وهي قضايا تهدف لتقييد حرياتهم وإسكات أفواههم. فلم تعد هناك قضايا مثل قضية علي المرباط أو علي أنوزلا، اللذين حوكما بين عامي 2003 و2013 بسبب آرائهما وكتابتهما، فقانون الصحافة الجديد، الذي سُن في عام 2016 لم يعد ينص على عقوبات سالبة للحرية مهما كانت كتاباتهم معارضة وجريئة.

في حين لوحظ في السنوات الأخيرة، اعتقال المغرب عدة نشطاء وصحفيين مستقلين، ومحاكمتهم، وسجنهم بتهم مشكوك فيها، بما في ذلك الجنس خارج نطاق الزواج (توفيق بوعشرين وهاجر الريسوني، وسليمان الريسوني). وبدأت بعض هذه المحاكمات ذات دوافع سياسية أو أنها لم تضمن الإجراءات القانونية الواجبة لجميع الأطراف. وفي الدار البيضاء أيضا، سجنّت السلطات العمومية الصحفي والناشط والمدون عمر الرازي يوم 29 يوليوز



2020، بعد استجوابه 12 مرة طيلة أربعة أسابيع. كم اتهمته بتهمة تهديد أمن الدولة الخارجي عبر ربط صلات مع عملاء أجنب، وتهديد أمن الدولة الداخلي عبر استلام أموال، والشكر العلني، والتهرّب الضريبي... بالإضافة إلى الاغتصاب كما تم اختراق هاتفه ببرمجية التجسس "بيغاسوس"، وكلها تهم تستند إلى أدلة ضعيفة.

بينما الحقيقة، أنها نشأت عن عمله كصحفي ومدون، وذلك بسبب تحقيقه في مواضيع ساخنة مثل الاستيلاء على الأراضي وفساد الدولة، وفي مارس 2020 أصدرت المحكمة حكما بسجنه أربعة أشهر مع وقف التنفيذ بسبب تغريدة نشرها منذ سنة وانتقد فيها قاضيا بسبب إصدار أحكام قاسية على نشطاء.

وبالمقابل مع هذه المتابعات، تقوم الصحافة المقربة من السلطة بتشويه سمعة الصحافيين المستقلين، وفي بعض الأحيان تتوقع حتى الأسباب التي تجعلهم نزلاء للمؤسسات السجنية. فقبل اعتقال الريسوني بسبعة أشهر، نشرت صحيفة "برلمان" الإلكترونية، المقربة من وزارة الداخلية، مقالاً بعنوان، "فضائح عائلة الريسوني التي يخجل منها إلييس العين" والذي جاء فيه "نستحي يا سليمان من كشف تصرفاتك في مراكز وسيأتي يوم نفتح فيه كتابك بكل سواده... ولكننا

# حوار مع رئيس الجمعية المغربية لحقوق الإنسان عزيز غالي

هناك صمت وغموض يحيط بالآلية الخاصة للوقاية من التعذيب التي أصبحت من خلال القانون الجديد من اختصاص المجلس الوطني لحقوق الإنسان كآلية داخلية، بحيث لا نسمع عنها أي شيء؟ هل لازالت الجمعية تطالب بآلية مستقلة خصوصا مع الصلاحيات المحدودة لهذه الآلية؟



نستحي أن نقول إن الحيوانات تنتزه عن مثل ما أتيت به من أفعال يندى لها الجبين. ومنذ عام 2018 خصصت "برلمان" ما لا يقل عن 60 مقالا للصحافي توفيق بوعشرين الذي يدير "أخبار اليوم".

**كيف يمكن التصدي لهذه التراجعات، والدفاع عن مكتسبات الشعب المغربي في مجال الحريات وحقوق الإنسان؟**

إننا في الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، كنا من المطالبين بإنشاء الآلية الوطنية للوقاية من التعذيب حسب البروتوكول الاختياري لاتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة. كما كنا نشدد على استقلالية هاته الآلية، لكن الدولة ذهبت في اتجاه آخر من خلال ربطها بالمجلس الوطني لحقوق الإنسان الذي لا يتمتع باستقلالية كافية ليقوم بدوره. وإن ما وقع بالريف وما يعانيه المعتقلون السياسيون داخل السجون الآن دون أن تتحرك هذه الآلية لدليل قاطع على محدوديتها.

**السيد عزيز غالي تتبع الرأي العام باهتمام عدد من حواراتكم وتصريحاتكم حول الأزمة الصحية الناتجة عن جائحة كورونا وكلما يتصل بالتدابير المتخذة وما يتعلق باللقاح إلى غير ذلك من القضايا التي تشغل الرأي العام على هذا المستوى، ما هو تقييمكم لحملة التلقيح الجارية؟**

من خلال تتبعنا وتحليلنا للوضعية الوبائية على المستوى العالمي والوطني، سواء على مستوى الإصابات والوفيات ونتائج التجارب السريرية مختلف مراحلها، تبقى تساؤلات وتخوفات المواطنين قائمة حتى يتم إعلان رسمي من طرف منظمة الصحة العالمية أو ظهور نتائج جديدة يمكن أن تبعد الغموض الحاصل على المستوى العالمي من أجل القضاء على فيروس جائحة كورونا "كوفيد-19". وفي ظل احتدام الصراع بين الدول للحصول على حصة من اللقاح لسكانها. نأمل أن يتبنى العالم سياسة التعاون متعدد الأطراف للتغلب على هذه الجائحة الحالية والمستقبلية. لأن تطعيم الناس في إحدى القارات ضروري لصحة وثروة ورعاية أولئك الموجودين في القارات الأخرى. ولا يمكن لأي منطقة أن تكون محصنة حتى تتم حماية حصة ذات مغزى ومنصفة من سكان العالم من خلال مبادئ الصحة العامة الأساسية الجيدة وكذلك اللقاح. ومع بداية عملية التلقيح بالمغرب، قامت الجمعية بإنشاء تطبيق رقمي يمكن تحميله على الهواتف (AMDH) لتتبع الأعراض الجانبية للقاح.

عرفت السنة الماضية إصدار الحكومة للكثير من التقارير المتعلقة بوضعية حقوق الإنسان بالمغرب. لكننا لاحظنا أن كل هذه التقارير بعيدة كل البعد عن العمل الحقوقي الجاد والمستقل. هاته التقارير سعت إلى تبييض وجه الحكومة من خلال:

- إنكار وجود معتقلين سياسيين بالمغرب؛
- المساواة بين ضحايا الانتهاكات وقوى الأمن؛
- السكوت عن الانتهاكات التي عرفت الكثير من المناطق بالمغرب؛
- جائحة كورونا والانتهاكات التي تعرض لها المواطنون من رجال السلطة عرت واقع هاته المؤسسات التي دخلت في سبات عميق دون أن تدلي برأيها في كل ما يقع.

**اشتغلت الجمعية ومعها الطيف الحقوقي على تدابير عدم تكرار انتهاكات الماضي والضمانات الدستورية والسياسية والقانونية، ماهي حصيلة هذا الورش وما هي الإكراهات التي تواجهه؟**

كانت مخرجات هيئة الإنصاف والمصالحة بالرغم من النقائص التي وقفت الجمعية عندها واعتبرناها حدا أدنى يمكن البناء عليه لتحقيق انتقال ديمقراطي، لكن مع أول امتحان لهاته المخرجات (حراك الريف)، ظهرت محدودية كل ما قيل وأن حتى أكثر المتفائلين وجد نفسه أمام سراب هذا الانتقال. فلاحظنا عودة سريعة للانتهاكات الجسيمة من خلال التوقيف العشوائي، التعذيب، المحاكمات الصورية، وهي أشياء كان البعض يظن أنها انتهت مع إصدار مقررات هيئة الإنصاف والمصالحة. إننا اليوم أمام هذه الردة الحقوقية، في حاجة إلى نقاش هادئ نستطيع من خلاله التأسيس لعمل جاد يكون مدخله اعتذار الدولة عن كل ما وقع وإعطاء دور كبير لقضاء مستقل في تحديد المسؤوليات، وهذا لن يتم إلا من خلال دستور ديمقراطي يكرس سلطة الشعب ويضمن الحقوق والحريات.

راكمت الحركة الحقوقية بالمغرب تجارب كثيرة منذ ما كان يعرف بسنوات الرصاص إلى اليوم، وهي مدعوة الآن إلى تكثيف عملها من خلال دعم عمل الائتلاف المغربي لهيئات حقوق الإنسان، الذي تحتفل هذه الأيام بالذكرى العاشرة لتأسيسه من أجل أن يلعب دوره كمحرك للعمل الحقوقي. واليوم نحن كإطارات حقوقية، نتوفر على الميثاق الوطني لحقوق الإنسان الذي تبنته أكثر من عشرين جمعية حقوقية وهو قادر على وضع تصور واضح لعملنا الحقوقي.

وتجدر الإشارة أن الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، دعت إلى إنشاء جبهة وطنية للدفاع عن الحقوق والحريات، والتي يجب أن تضم بالإضافة للفاعل الحقوقي، الفاعل السياسي (الأحزاب الديمقراطية)، والفاعل النقابي، والفاعل المدني الجاد. لأن حجم الهجوم على الحقوق والحريات يتطلب تظافر جميع الجهود لوقف هذا النزيف.

**تتيح الآليات الدولية التعاقدية وغير التعاقدية لحماية حقوق الإنسان عددا من الإمكانيات للدفاع عن حقوق الإنسان، هل تشغل الجمعية على هذا الورش؟**

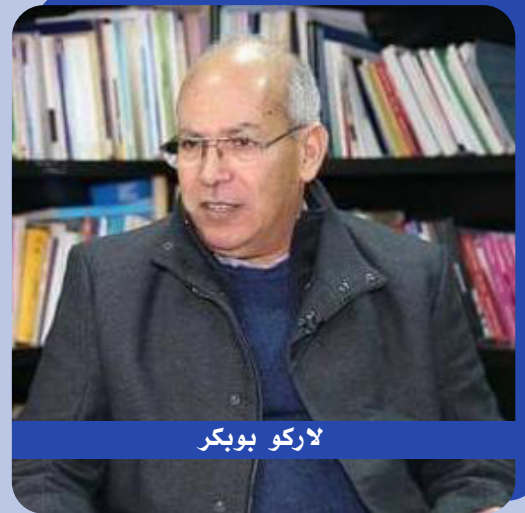
إن الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، كانت من أوائل الإطارات الحقوقية التي اشتغلت ومازالت تشغل على الآليات الأممية من خلال التقارير الموازية التي تضعها الجمعية، وكذلك من خلال مراسلة المقررين الأميين عند الحاجة، لكننا منذ سنة 2014، ومع التضييق التي أصبحت تعانيها الجمعية لم نعد قادرين على الحضور لاجتماعات مجلس حقوق الإنسان لان الدولة أصبحت تدعم حضور فقط الجمعيات التي تسير طرحها وتقصي الجمعية نظرا لمواقفها واستقلالية تقار يرها.

**ما هو تقييم الجمعية لأدوار بعض الفاعلين الرسميين في مجال حقوق الإنسان فيما نعيشه من انتكاسة حقوقية؟**



# حوار مع رئيس المنظمة المغربية لحقوق الإنسان

## لاركو بوبكر



لاركو بوبكر

**المنظمة المغربية لحقوق الإنسان، جزء من الطيف الحقوقي، الذي امتلك مقاربة أكاديمية وترافعية خاصة، اعتمدت بعدا تشاركيا مع المؤسسات الرسمية للمنتدبة في مجال حقوق الإنسان، حاورنا رئيسها لفهم مقاربة المنظمة حول الانتهاكات الصارخة التي تعرفها الساحة الحقوقية وموقف المنظمة من تطوراتها الأخيرة.**

عرفت ثورة بقيادة لها تصور للدولة التي تريد إقامتها؟ الجواب هو أنه رغم مرور عشر سنوات فإنها لازالت تعيش مخاضا يصعب التكهن بمستقبله، والمجال لا يسمح لتتبع جميع الحركات الاحتجاجية التي تدخل في إطار السياسة الأمريكية التي أسمىها حينئذ بالفوضى الخلاقة، وفي هذا الإطار أعبر عن أسفي من آلاف القتلى والجرحى والمعتقلين والمعتويات والمهجرات والمهجرين واللاجئين واللاجئين ضحايا هذه الاحتجاجات دون تحقيق أهدافها لكن التاريخ لن يتوقف.

■ **تتجهت أساليب التجمع والتضاد والاحتجاجات الاحتجاجية ضد السلطات والمعتقلين والمعتويات من صيغ خيرة مسبوقة، وذلك بالتزامن مع حملات من الإعلام والتفاهيل التي تنتهجها بعض الأوساط الإعلامية، كيف تتصورون كمنظمة حقوقية هذه الظاهرة؟ وما العمل من أجل تنقية وتنقية الصورة وسياسي وإعلامي وثقافي متاصر لتقيم الصورة وحقوق الإنسان؟**

السؤال الثاني مرتبط بالأول خاصة باستعمال كلمة غير مسبوقة، في تاريخ المغرب بالمقارنة، مع سنوات الرصاص وبين 2011 و2020 أو 2021 يصعب إعطاء هذا التوصيف الذي يعتبر حكم قيمة.

أما بالسنية للتعليم والتضليل والتشهير فإن وسائل الاتصال الاجتماعي وظفت من كلا الطرفين، وقد نهينا إلى ذلك لأنه كما يقال كما تدين تدان، ولا يمكن أن نبرأ أحدا في هذا المجال لقد أدانت المنظمة المغربية لحقوق الإنسان مثل ذلك سواء كانت ضد الضحايا أو معهم. إن حقوق الإنسان فكرة ليبرالية إصلاحية وليس ثورية، والأمم المتحدة وآلياتها جعلت من المجتمع المدني أداة

للحركة الاحتجاجية نجد ما عرفه إقليم الحسيمة بعد وفاة محسن فكري فقد عرفت المنطقة سلسلة من الاحتجاجات غير المنقطعة لمدة 6 أشهر أو يزيد دون تسجيل تدخلات للقوات العمومية باستثناء ما حدث في أمزور، إلى أن قام ناصر الزفزافي بالدخول إلى المسجد لتوقيف خطبة الجمعة الشيء الذي استدعى توقيفه، هذا التوقيف الذي واجهه شباب الحسيمة بالحجارة، إن المجتمع المغربي مجتمع حي فعدد الاحتجاجات من الوقفات والمسيرات المسجلة سنويا تصل إلى أكثر من 10 آلاف، قلة قليلة منها هي التي تمتع أو تفرق بالقوة، فنحن الآن ورغم القوانين التي تنص على تدابير الطوارئ الصحية نجد بأن حركة الاحتجاجات موجودة. وانطلاقا من ذلك يمكن أن نسجل أن هناك استهداف بعض الوقفات أو التجمعات والاجتماعات، فهل هناك أمام كل هذا تراجع ماهي الأسباب والدواعي التي أدت إلى هذا التمييز؟ يجب حلحلة الموضوع لإيجاد أجوبة من أجل المرافعة لحل مثل هذه الإشكاليات، وهذا يسرى على تأسيس الجمعيات ووصولات الإيداع، إذ أن هناك إقرارا رسميا بوجود هذه الاختلالات، ولابد من المرافعة والضغط من أجل تحيين القوانين التي تهم تأسيس الجمعيات والتظاهر والتجمع السلميين، تماشيا مع ما راكمته بلادنا من جهة، وإعمالا للاتفاقيات الدولية والمقتضيات الدستورية بالإضافة إلى التدابير والإجراءات التي جاءت في خطة العمل الوطنية في مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان.

أما عن الثورة المضادة فهل الربيع العربي عرف ثورات فعلا؟ هي احتجاجات مدعومة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية والغرب وعدد من الأنظمة العربية، ثم دعم عسكري وبالمرتزقة لإسقاط بعض الأنظمة أو محاولة إسقاطها في كل من سوريا وليبيا، هل تونس

■ **تعيش بلادنا منذ مدة سلسلة من التراجعات تهمس حقوق الإنسان والحرية وتجرى عدد من المحاكمات ضد الناشطين والناشطات الحقوقيين والمعتقلين، كيف تتصورون ما يتبع؟ وما علاقتكم بها يجري من ثورات مضادة، في عدد من الدول في المنطقة العربية التي عرفت صراعات شعبية؟**

لا بد في البداية من الإشارة إلى السياق العام الذي عاشه العالم خلال الأربع سنوات الأخيرة، بخصوص وضعية حقوق الإنسان عامة قبل الرجوع إلى المغرب، إذ أن العالم بأسره عرف تراجعاً للمد الحقوقية الذي عرفه من قبل، وذلك بانسحاب الولايات المتحدة من عدة آليات دولية كمجلس حقوق الإنسان واليونسكو وغيرها، إلى جانب حجب التمويل عن منظمة الصحة العالمية.. كما أن دولا كثيرة عرفت مواجهات عنيفة بين المتظاهرين والسلطات الأمنية بل إن دولا بدأت تراجع قوانينها بخصوص حرية التظاهر وحرية الصحافة وكذا بالنسبة لحقوق اللاجئين والمهاجرين..

هذا من جهة ومن جهة ثانية نجد دولا عرفت مواجهات دامية ساهمت فيها بعض الدول مثل العراق، سوريا، ليبيا..

هذا الوضع أثر بشكل من الأشكال على وضعية حقوق الإنسان في المغرب، رغم أنه لا يوجد مقياس لتحديد التراجع من عدمه وكذا ماهي الفترة التي تعتبر منطلقا لهذه المقارنة، إذ هناك من يذهب إلى القول أن الأوضاع الآن أسوأ من سنوات الرصاص، وهنا أقول أنني لا أتفق مع ذلك لأنه لا مقارنة مع وجود فارق، ربما يمكن المقارنة مع فترة العهد الجديد، ولكن في مجال الصحافة استهدفت في بدايته، وكذا المحاكمات التي طالت مئات المعتقلين بعد العمليات الإرهابية بالبيضاء، بالنسبة

# حوار مع رئيس المنظمة المغربية لحقوق الإنسان

## لاركو بوبكر

المجتمع ومن أجل إقرار حقوق الإنسان،  
ماهي في تفكيركم السبل والمسائل لربح  
رهان وحدة الحركة الحقوقية وتنقية  
مضمرها وفعاليتها؟

كما يقال في الاختلاف رحمة، فالمقارنة تختلف  
من منظمة إلى أخرى، وعملنا لسنوات معا في  
إطارات مختلفة، وحاولنا أن نفرز التقارب في  
مقارباتنا إلا أنه لم ننجح في ذلك، ولكن المجلس  
الوطني للمنظمة المغربية لحقوق الإنسان  
خلص إلى ضرورة العمل حول قضية معينة أو  
موضوع محدد والتراجع من أجله والانتقال إلى  
الآخر، ويمكن أن نعمل على موضوعين أو ثلاث  
في آن واحد على أساس أن يشرف كل تنظيم  
على أحد هذه المواضيع.

■ **اشتغلت المنظمة ومعهما الطيف الحقوقي  
على تدابير عدم تكرار الانتهاكات  
الماضي والمضمار الدستورية والسياسية  
والقانونية، ماهي صديلة هذا الورش وما  
هي الاكراهات التي تواجهه؟**

اشتغلنا كثيرا على موضوع تدابير عدم تكرار انتهاكات  
الماضي والضمانات الدستورية والقانونية، وكانت مذكرة  
المنظمة المغربية لحقوق الإنسان المقدمة للجنة التي  
راجعت الدستور أهم وثيقة قدمت كمذكرة، حيث  
أن المنظمة رافعت منذ تقديم التقرير الختامي لهيئة  
الإنصاف والمصالحة على توصيات هذا التقرير والمتمثلة  
كمثال في عدم الإفلات من العقاب.

■ **هناك صوت ومخبر يصطاد بالآلية الخاصة  
بالوقاية من التعذيب التي أصبحت من خلال  
التأثير الجديد للمجلس الوطني لحقوق الإنسان  
كآلية دألية، وأصبحت لا تسمع عنها أي شيء،  
بماذا تفسرون ذلك؟**

بخصوص الآلية الوطنية الخاصة بالوقاية من التعذيب،  
يجب أن نعرف بأن عملها جسيم وكبير إذ عليها أولا  
مراجعة الترسانة القانونية لتفادي كل الثغرات الممكن  
أن توجد فيها بخصوص الموضوع، كما أنه عليها القيام  
بزيارات ميدانية لمراكز الاحتجاز من سجون ومراكز  
الدرك ومخافر الشرطة والمحاكم ومستشفيات المرضى  
النفسيين وغيرها، لتعطي أولى توصياتها من أجل تحسين  
ظروف الاحتجاز والاعتقال، وبعدها ستبدأ بزياراتها  
الفجائية لهذه المراكز لكي تصوغ تقارير حولها لتمد  
بها السلطات المعنية واللجنة الدولية الخاصة بهذه  
الآلية، من جهة أخرى عليها القيام بمعية المجتمع  
المدني بالنهوض بثقافة مناهضة التعذيب، أما تقاريرها  
السنتية ستأتي فيما بعد إذا اقتضى الأمر ذلك، وهنا  
لا بد من التمييز بين الحماية من التعذيب الذي يبقى  
اختصاصا أولا للمجلس الوطني لحقوق الإنسان وبين  
طابع الآلية الوقائي.



الشامل.

■ **ما هي تقييم المنظمة لأدوار بعض الفاعلين  
الرسميين في مجال حقوق الإنسان في ما تعيشه  
من انتكاسة حقوقية؟**

إذا كنتم تقصدون هيئات الحماية كالمجلس الوطني  
لحقوق الإنسان والوسيط وغيرهما من الهيئات فالتقييم  
يجب أن ينطلق من إنتاجاتها وآرائها وتوصياتها ولا أدل  
على ذلك ما جاء به تقرير المجلس الوطني لحقوق  
الإنسان بخصوص سنة 2019، وكذا تقرير الوسيط لسنة  
2020 إلى جانب اقتراحات وتوصيات المجلس الاقتصادي  
والاجتماعي والبيئي.

هناك نقط قوة ونقط ضعف، لكن على العموم هناك  
اجتهادات وتفاعل مع جميع القضايا المرتبطة بحقوق  
الإنسان وهي في آخر المطاف مؤسسات استشارية وعلى  
الفاعل السياسي والحكومي إعمال التوصيات الموصى بها  
من طرف مثل هذه الهيئات.

أما المؤسسة الرسمية الأساسية والمتمثلة في المندوبية  
الوزارية لحقوق الإنسان فهي تقوم بمهامها رغم  
وجود بعض التأخير بالنسبة لبعض التقارير المرتبطة  
بالاتفاقيات التعاقدية، وهي تعبر عن رأي الحكومة  
في هذا الشأن إلى جانب قيامها بالنهوض بكل ماله  
علاقة بالاتفاقيات التعاقدية وصياغة التقارير والتقارير  
الموازية.

كما أنها تقوم بتقديم المقترحات والتوصيات التي  
تستقيهما من المنظمات الحقوقية ومن إنتاج الندوات  
والمناظرات التي تقوم بها بشراكة مع هذه المنظمات.  
ولا يمكن أن نطلب منها أكثر مما لها من اختصاصات.

■ **تواجه الحركة الحقوقية تصديات هتفيهية على  
مستوى توحيد جهودها وتشغيل أدوارها داخل**

لمساعدة الحكومات لحل المشاكل التي يعاني منها  
الإنسان وإعطاء البدائل والتوصيات من خلال تقييم  
السياسات العمومية في جميع المناحي سياسة، مدنية،  
اقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية..

إلى جانب نشر ثقافة حقوق الإنسان ورصد الاختلالات  
والانتهاكات والمراقبة من أجل جبر الأضرار وإحقاق  
الحقوق، إن النهوض بحقوق الإنسان هو الذي سيخلق  
جمهورا متشبعا بها يمكن بواسطته مواجهة أي تراجع  
في هذا المضمار، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المنظمات  
الحقوقية لا تستطيع بمفردها القيام بذلك، فعلى القوى  
الحداثية والديمقراطية والمؤمنة بكونية حقوق الإنسان  
أن تساهم في ذلك داخل الأحزاب والنقابات وأيضا لا بد  
من إدماج حقوق الإنسان ضمن المناهج التربوية من  
السنوات الأولى للتعليم إلى سلك الدكتوراه، وهذا يجب  
على جزء مهم من السؤال الثالث أيضا، خاصة وأن  
تميع حقوق الإنسان يمكن أن يكون أيضا من الحركة  
الحقوقية ومن دعائها بطرق مباشرة أو غير مباشرة  
بتسفيه المكتسبات التي ضحت من أجلها عدة أجيال،  
حيث لم تمنح قط، بل ناضلت من أجلها.

■ **تتيح الآليات الدولية التعاقدية وغير التعاقدية  
لحماية حقوق الإنسان عددا من الإمكانيات  
للدفاع عن حقوق الإنسان، هل تشتغل المنظمة  
على هذا الورش؟**

لقد كانت المنظمة المغربية لحقوق الإنسان سبابة  
لتقديم التقارير الموازية للآليات الدولية منذ سنة  
1991، حيث قدمت للجنة مناهضة التعذيب تقريرا  
موازيا للتقرير الحكومي، تلتته تقارير موازية مرتبطة  
بالعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية سنة 1994  
و2004- و2016 والمتعلقة بالعهد الدولي الخاص بالحقوق  
الاقتصادية والاجتماعية وكذا الاستعراض الدوري



# التدبير المفوض.. اختلالات بالجملة

من إنجاز : صلاح الدين لمعيزي - جواد مستقبلا



**6 حجج ضد التدبير  
المفوض**

♦ صلاح الدين لمعيزي



**هل يحمي المنتخبون  
خروقات التدبير المفوض؟**

♦ صلاح الحسني



**التدبير المفوض.. وضعية  
احتكارية مختلة**

♦ البكاي محمد



**طنجة والفندق..  
الانهايار**

♦ ساجي عبد الرحمان

خلال الأسبوع الأول من شهر يناير 2021، عانى المواطنون المغاربة، في جل المدن، جراء سوء تدبير الخدمات العمومية الأساسية. وقد كان مثيرا للانتباه أن المدن الكبرى تحولت الى برك مائية في بضع ساعات. مدن أريد لها أن تكون "مراكز حضرية ذكية" لاحتضان "قطب مالي" أو "قطب سياحي". فرغم الاستثمارات العمومية الضخمة وخطط التنمية المصممة لدى كبريات مراكز الاستشارات الدولية، لم تقاوم مدننا الأمطار. انقطعت الطرق والقناطر وأغلقت المدارس وعدد من الخدمات الأساسية. كارثة بكل المقاييس تفضح فسادا في الإنجاز والتتبع وعيوب نموذج التدبير المبني أساسا على خوصصة الخدمات العمومية. الملف الذي بين أيديكم يحاول مقارنة موضوع التدبير المفوض من وجهة نظر نقدية، ويهدف تقديم تقييم للتجربة من خلال عدد من المداخل. من خلال تفكيك أساطير التدبير المفوض والأفكار المغلوطة التي تسوق حول هذا النمط. وكذا بتعرية نماذج التدبير المفوض الحالية والخروقات الكبيرة التي تقوم وقامت بها في حق الساكنة منذ سنين بتواطؤ مع المسؤولين المحليين. نعرض أيضا في الملف مساهمات تحليلية تهم جذور التدبير المفوض التاريخية والقانونية.



# واقع التدبير المفوض بين الشكل والمضمون

لقد كان لأفول نجم المعسكر الشرقي (الاشتراكي) الذي كان يدعو إلى ضرورة تدخل الدولة في القطاع العام و بروز المعسكر الغربي (الليبرالي) الذي يقدر المذهب الفردي، هذا الأخير الذي يعتبر مصلحة الفرد فوق مصلحة المجتمع، حيث تراجع دور القانون العام، واقتصرت على ضمان مصالح الخواص، كما تراجع دور الدولة، من الدولة التدخلية إلى الدولة الدركية التي تركز على ضمان وحماية مصالح أشخاص القانون الخاص وضرب القطاعات الاجتماعية وتقويتها أو خوصصتها وسيادة الرأسمالية المتوحشة. ومن بين هذه النماذج الصارخة لتغول الرأسمال: التدبير المفوض، الذي يعد أحد أوجه الشراكة الاقتصادية بين القطاعين العام والخاص، ومن الأساليب الحديثة لتسيير المرافق العمومية، وخاصة منها المحلية، والذي عملت به عدد من الدول الأوروبية والغربية عموماً، وخضع المغرب للتدبير المفوض أول الأمر بقرود إذعان خاصة في الموانئ لتأدية الديون المتراكمة عليه نتيجة تبديد المال العام والقروض من قبل سلطة المخزن آنذاك حيث عرف المغرب منذ أكثر من قرن طريقة التدبير المفوض الكلاسيكية للمرافق العمومية.



• عبد المجيد مدق

## نبذة مختصرة عن تجربة التدبير المفوض بالمغرب في مرحلة ما قبل الاستقلال

في 1920. • عقد منح الامتياز لاستغلال خط السكة الحديدية الرابط بين فاس ومراكش  
1914-1929 • عقد امتياز الشركة المغربية لإنشاء وتوسيع الخطوط السككية  
4. مرحلة 1947 إلى 1950، حيث تم تمديد منح الامتياز ليشمل 20 مدينة وإنجاز مركب لتزويد مدينة الدار البيضاء بالماء الصالح للشرب.

الماء والكهرباء المعروفة في أربع مدن مغربية ويندرج في إطار العقود التي عرفها المغرب انطلاقاً من هذه السنة بما يطلق عليه بالإنابة أو مشاطرة الاستغلال :  
• عقد منح الامتياز لاستغلال خط السكة الحديدية الرابط بين طنجة وفاس.  
في 1916. • عقد منح الامتياز لاستغلال موانئ الدار البيضاء، فضالة، وطنجة

فقد انطلقت هذه التجربة في مجال التدبير منذ بداية القرن العشرين، وذلك على عدة مراحل:

1. على إثر التوقيع على معاهدة الجزيرة الخضراء سنة 1906 التي أسفرت عن إبرام العقود الأولى لمنح الامتياز، نصت المعاهدة في الفصلين 105 و 106 على اللجوء إلى رؤوس أموال أجنبية من أجل استغلال مرافق عمومية وتحديد آليات المزايدة العمومية لمنح الامتياز.

2. الاتفاقية الدولية لسنة 1911 الموقعة بين فرنسا وألمانيا التي تشير إلى إمكانية استغلال المرافق العمومية من طرف الدولة أو في إطار منح الامتياز للقطاع الخاص.

3. عند توقيع معاهدة الحماية في مارس 1912 فقد المغرب سلطته في إبرام عقود الامتياز المرتبطة بتسيير وتدبير المرافق العمومية في ظل الاستعمار، بحيث استفاد القطاع الخاص الفرنسي من امتيازات كبيرة في تسيير قطاع الطاقة والنقل السككي واستغلال الموانئ وغيرها من القطاعات العمومية، كما أتاح المعاهدة إبرام عقود امتياز أدت إلى إنشاء بعض المرافق مسيرة من طرف شركات فرنسية، بعقود الامتياز التالية:

انطلاقاً من 1914 تم في هذه الفترة إبرام مجموعة من العقود، منها العقد الذي أبرم مع الشركة المغربية لإنتاج وتوزيع



الجنرال ليوطي أول من أرسى التدبير المفوض القسري، والمسمى كان "الحماية".



# واقع التدبير المفوض بين الشكل والمضمون

• عبد المجيد معدق



مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906.

إبرام عقود تفويض المرفق العام من قبل الجماعات الترابية كمبدأ العلانية السابقة، غير أن قانون 29 يناير 1993 الخاص بالوقاية من الرشوة وشفافية الحياة الاقتصادية والمساواة العمومية، وسع نطاق تفسير وتحديد عقود تفويض المرافق العامة إلى العقود التي يبرمها كل شخص عام، كما استعمل المشرع الفرنسي نفس المصطلح في قانون 2 فبراير 1995 المتعلق بتقوية البيئة، وقانون 4 فبراير 1995 المتعلق بالصفقات العمومية، وتفويضات المرافق العمومية.

## نموذج التدبير المفوض قبل صدور القانون الإطار

بدأ العمل بالتدبير المفوض منذ التسعينات، تحت ضغط برنامج التقويم الهيكلي المفروض من قبل المؤسسات المالية الدولية، وذلك نظرا للتحويلات الكبرى التي عرفتها السياسات العمومية، وخاصة في تدبير الشأن العام، إذ تم البدء بسن قانون الخصوصية الذي فكك عدة مرافق استراتيجية.

هذه التحويلات التي فرضتها العولمة تمخضت عنها عدة أشكال جديدة للتسيير كالخصوصية التي بموجبها تفوّت الدولة عن طريق البيع بأثمان بخسة أو بدون مقابل إحدى شركاتها أو

التدبير بالوكالة آنذاك، مما جعلها تفتقد لشروط النزاهة والشفافية، وغياب ربط المسؤولية بالمحاسبة وهو ما أدى إلى نهب وتبديد المال العام. وعدم تقديم أي تقدم ملموس مقابل تلك الأموال الهائلة التي تم التحصل عليها مقابل هذا التدبير، مع غياب آليات واضحة لمتابعة ومحاسبة المخلفين بتعهداتهم وهم في الأغلب مسؤولون عموميين.

7. في 1985 تم منح عقود الامتياز الخاصة بخطط النقل العمومي الحضري بالحافلات.

2002-1997 8. تم إبرام أربع عقود للتدبير المفوض على مستوى التوزيع 2006 9. صدر القانون المتعلق بالتدبير المفوض

وعموما فقد ظهر مصطلح تفويض التدبير للمرافق العمومية بفرنسا في دورية 7 غشت 1987.

المتعلق بتدبير المرافق المحلية، تحت اسم تفويض المرفق العام واستخدم بشكل رسمي في قانون 6 فبراير الخاص بالإدارة اللامركزية للجمهورية سنة 1992.

و بالتالي فهذا المصطلح عام، ويعني كل أشكال التعاقد مع الخواص، كعقود الامتياز والإنابة، إلا أن الجديد فيه هو على مستوى الاصطلاحات فقط، كالتنصيب على بعض الشروط في

## تجربة التدبير المفوض أو الامتياز بمفرب ما بمد الاستقلال

شهدت هذه التجربة خمس فترات متقطعة حسب الظروف والأحوال وهي:

- بداية من 1956 قامت الدولة الفتية بشراء المقاولات المستفيدة من الامتيازات، والانتقال إلى التدبير العمومي.

- 1963-1970. إحداث المكاتب والوكالات المستقلة

- 1985. عقود الامتياز الخاصة بخطط

- النقل العمومي الحضري بالحافلات

- 1997-2002. إبرام أربع عقود للتدبير

- المفوض على مستوى التوزيع

- 2006. صدر القانون المتعلق بالتدبير المفوض

5. عند استقلال المغرب سنة 1956 شرعت الدولة المغربية في استرجاع المنشآت وتحويلها إلى مؤسسات عمومية محتكرة كوكالة توزيع الماء والكهرباء لمدينة الدار البيضاء سنة 1961 والمكتب الوطني للكهرباء والمكتب الوطني للسكك الحديدية 1963 ووكالة توزيع الماء والكهرباء لمدينتي الرباط وسلا 1964. 1963-1970. وخلال هذه الفترة ثم إحداث المكاتب والوكالات المستقلة في عدة قطاعات

6. سنة 1980 وفي عز الأزمة الاقتصادية والجفاف وحرب الصحراء المغربية، بدأ الاهتمام بالتسيير الخاص للمرافق العمومية لتخفيض نفقات الميزانية العامة، خاصة في مجال الطرق السيارة والنقل الحضري وتوزيع الماء والكهرباء والتطهير وجمع النفايات. وقد اتخذت طرق تدبير المرافق العمومية ثلاثة أنواع وهي: التدبير المباشر عن طريق الوكالة بحيث تقوم الجماعة المحلية بالتسيير المباشر للمرفق العام في إطار القانون العام أو عن طريق الوكالة المباشرة أو الوكالة ذات الاستقلال المالي أو الوكالة ذات الاستقلال المالي والشخصية المعنوية للتدبير المفوض أو منح الامتياز لتفويض تسيير مرفق عمومي للقطاع الخاص أو التاجير، حيث يتحمل المفوض إليه جميع المخاطر التجارية تجاه المرتفقين، خصوصا في غياب الإطار القانوني لعقود

# واقع التدبير المفوض بين الشكل والمضمون

• عبد المجيد معدق

ثم تلتها مناظرة سنة 2000 لمناقشة تلك الدراسة من طرف الوزارة المذكورة، وإعداد مشروع قانون منفصلين من طرف خبير في الميدان (كندي ومغربي) وفي نفس المضمون، لا بد من التذكير بأن المشرع المغربي لم يقيم بإعطاء أي تعريف للتدبير المفوض، باستثناء ما تم التنصيص عليه في المادة 39 من الميثاق الجماعي 78.00، حيث تم ذكر المرافق والتجهيزات العمومية المحلية التي يقرر المجلس في طريقة تدبيرها عن طريق الوكالة المباشرة والوكالة المستقلة والامتياز وكل طريقة أخرى من طرق التدبير المفوض للمرافق العمومية طبقاً للأنظمة المعمول بها، كما أنه وإلى حدود سنة 2004 لم يكن هناك أي قانون يقوم بتنظيم عقود التدبير المفوض، وبذلك ظلت الترسنة القانونية مبتورة، علماً أن مجموعة من المرافق العمومية قد تم تفويت تدبيرها للخواص آنذاك

وابتداء من سنة 2004 أعدت كل من وزارة المالية والخصوصية ووزارة الداخلية بعد استشارة الوزارات المعنية ومختصين أجانب مشروع قانون جديد في الموضوع نفسه، وهو المشروع الذي تمت دراسته من طرف خبير قانوني في إطار المساعدة التقنية الأمريكية، فيما أجريت من جهة أخرى دراسة لإعداد الإطار التطبيقي للمشروع السالف الذكر حول التدبير المفوض وذلك في إطار مشروع دعم برنامج الخصوصية.

## الإطار القانوني المنظم للتدبير المفوض

تم عرض مشروع القانون 54.05 على اللجنة الوزارية للتدبير المفوض للبحث فيه، وتقديمه بعد ذلك للأمانة العامة للحكومة يوم فاتح يوليوز 2005، ثم أحيل على المجلس الحكومي يوم 10 نونبر 2005 فالمجلس الوزاري يوم 23 نونبر 2005، تم على البرلمان الذي وافق

إلى اتفاقيات الامتياز والتدبير المفوض للمرافق العامة، ويمكن أن نذكر مثالا لهذا التجديد للشراكة العامة والخاصة بعقد تفويض المرفق العام لتوزيع الماء الصالح للشرب والكهرباء والتطهير السائل للدار البيضاء ليديك والرباط إلى شركة ريسال. وفي السنوات الموالية تعدد تفويض تسيير المرافق العامة إلى الخواص خاصة في مجالات توزيع الماء الصالح للشرب والكهرباء والتطهير السائل وجمع ومعالجة النفايات، والنقل الحضري، ومجالات استغلال الموانئ أيضا مع الاتفاقيات العديدة لامتياز المرافق العامة المبرمة بمناسبة بناء ميناء طنجة البحر الأبيض المتوسط، ومجال النقل كعقود الامتياز لتسيير الطرق السيارة بالمغرب ويمكن اعتبار أن إعداد



كان استغلال الاستعمار الفرنسي لموانئ المغرب مدخلا للتحكم في ثروته.

هذا القانون قد تم على مراحل، حيث تمت الإشارة للتدبير المفوض في الميثاق الجماعي لسنة 1976 من خلال مقتضيات المادة 30 التي نصت على إحداث وتنظيم الخدمات الجماعية للماء الصالح للشرب والكهرباء والتطهير السائل والتنظيف وجمع النفايات المنزلية، ثم تشكلت بعد ذلك في سنة 1988 لجنة وزارية مختلطة للتدبير المفوض تحت إشراف وزارة المكلفة بالخصوصية، وبعد أكثر من عقد أي في سنة 1999 أجريت دراسة لفحص شروط منح وتبعية التدبير المفوض.

لقد تم إحداث لجنة وزارية في فبراير 1999، عهدت إليها مهمة صياغة وبلورة إطار قانوني شامل لجميع أشكال التسيير المفوض، يستطيع تجاوز كل الصعوبات

مرافقها إلى أشخاص القانون الخاص؛ كما برزت هناك عدة أنواع من العقود التي بموجبها تفوت الدولة أو أحد أشخاص القانون العام إلى أشخاص القانون الخاص إحدى المرافق العامة لتسيير لمدة وبشروط معينة، ومن بين هذه العقود نجد عقد التدبير المفوض

الذي يعد تقنية جديدة في تسيير الشأن العام. وكانت فرنسا قد عملت على تقنيته، وهكذا تم نقل التجربة الفرنسية نظرا للارتباطات السياسية والاقتصادية والمالية معها، حيث وقع المغرب أول عقد للتدبير المفوض بين المجموعة الحضرية للدار البيضاء وشركة ليديك، والذي تحول بموجبه تدبير مرفق توزيع الماء والكهرباء والتطهير السائل لهذه الشركة لمدة 30 سنة.

فرغم أن للشركة الفرنسية ماض سيئ وفي حالة عجز مالي بعد طردها من بعض الدول، إلا أن السلطات المغربية منحها هذه الهبة لإنقاذها، مقابل أن يظل الموقف الدبلوماسي الفرنسي في مجلس الأمن يلعب لصالح المغرب في قضية الصحراء المغربية، لقد تم توقيع الجماعة الحضرية احتراماً للشكليات أما الواقع فكان بأمر مفروض من قبل الوزارة الوصية في غياب قانون خاص يؤطر هذا التدبير المفوض، عدا تلك الإشارة المبهمة في

القانون المنظم للجماعات المحلية، وظل الفراغ التشريعي سيد الموقف في هذا الموضوع، إلى أن فرضت الظروف أن يظهر قانون التدبير المفوض في سنة 2005. لقد ساعدت الوضعية المالية المتردية لوكالات توزيع الماء والكهرباء وغيرها، والتي كان السبب فيها سوء التسيير الإداري، إلى ظهور التدبير المفوض في المغرب، انطلاقاً من الدار البيضاء، ومروراً بالرباط، وطنجة، وشم تعميمها على جل الوكالات الوطنية؛ ولم يقتصر التدبير المفوض على قطاع الماء والكهرباء، بل تعداه إلى قطاع التطهير وجمع النفايات، والنقل الحضري، وغير ذلك من المرافق العمومية ومنذ سنوات 1996 \_ 1997 تمت العودة



# واقع التدبير المفوض بين الشكل والمضمون

• عبد المجيد مصدق

طرف المفوض إليه، ونشر المعلومات المالية به، وبذلك يعتبر التدبير المفوض عقدا إداريا.

إن لجوء المشرع المغربي لتحديد مفهوم التدبير المفوض كتقنية جديدة لتدبير المرافق العامة المحلية بالمغرب كانت الغاية منه تجاوز التعقيدات البيروقراطية، ووضع حد لسوء المردودية وتلبية حاجيات الساكنة الحضرية التي عرفت نموا ديموغرافيا كبيرا، وحدد حقوق وواجبات كلا طرفي العقد، فمثلا نصت المادة 5 على أنه: "لاختيار المفوض إليه، يجب على المفوض، ماعدا في الحالات الاستثنائية المنصوص عليها في المادة 6 بعده، القيام بدعوة إلى المنافسة قصد ضمان المساواة بين المرشحين وموضوعية معايير الاختيار وشفافية العمليات وعدم التحيز في اتخاذ القرارات... ويجب أن تكون مسطرة إبرام عقد التدبير المفوض موضوع إشهار مسبق" والمادة 6 نصت على أنه:

يمكن اختيار المفوض

إليه عن طريق

التفاوض المباشر

في الحالات

الاستثنائية التالية:

أ- في حالة الاستعجال قصد

ضمان استمرارية المرفق العام.

ب- لأسباب يقتضيها الدفاع

الوطني أو الأمن العام.

ج- بالنسبة إلى الأنشطة التي يختص باستغلالها حاملو براءات الاختراع أو بالنسبة إلى الأعمال التي لا يمكن أن يعهد بإنجازها إلا إلى مفوض إليه معين.

إن عقد التدبير المفوض، عقد إداري تتعهد بمقتضاه السلطة العامة المفوضة لمفوض له داخل المجال الترابي المحدد في مدار التفويض باستغلال وتدبير المرفق العام لمدة محددة تنتهي بانتهاء مدة العقد مع إمكانية تجديد مدته، وينفرد هذا العقد الإداري بثلاث خصائص أساسية:

1. الإطار القانوني للاتفاق أو طريقة إبرام العقد، حيث أن إبرام عقود التدبير المفوض يتم وفق آليات مختلفة، عكس عقود الامتياز التي يتم إبرامها بحرية دون أن يلجأ المتعاقدون إلى الإشهار

القوانين والمراسيم التي ترتبط بمختلف مجالات التفويض.

وتتجلى أهمية هذا التأطير القانوني في كون أن التدبير المفوض يعد من طرق تسيير المرافق العامة الاقتصادية، كما أن لجوء الدولة إلى هذا النوع من التدبير للمرافق العامة يعد مسلكا في نظرها لرفع الضغط المباشر عليها.

وتتضمن عقود التدبير المفوض في صيغتها الجديدة مقتضيات خاصة بالأجزاء التي قد يتعرض لها المفوض إليه في حالة إخلاله بالتزامات في إطار الصلاحية المعطاة للمفوض لتتبع ومراقبة العقد.

لقد استوحى

هذا القانون

أهم

مقتضياته من التشريعات الجاري بها العمل في دول أوربية وخاصة فرنسا، مع نوع من التكيف والملائمة بالواقع المغربي، وأظهر التنافس المطلوب من قبل المجموعات المالية الدولية والمستثمرين حول افتتاح الاقتصاد المغربي، وكنوع من سيادة الشفافية والمساواة المظهرين في إبرام العقود وضبط العلاقة بين المفوض والمفوض له، مع توضيح الطرق التي يجب سلكها، ومساطر إبرام عقود التدبير المفوض ومسطرة التحكيم في حال وجود خلافات بين الطرفين.

كما نص القانون للمفوض له بوجوب أن يكون على شكل شركة خاضعة للقانون المغربي يكون غرضها منحصر في تدبير المرفق العمومي، وفرض الاحتفاظ بالمستخدمين وحقوقهم المكتسبة من

عليه، ونشر بالجريدة الرسمية في 14 فبراير 2006 وتم تحديد ماهيته كما يلي:

"التدبير المفوض هو عقد يفوض بموجب شخص معنوي خاضع للقانون العام يسمى المفوض لمدة محدودة، تدبير مرفق عام يتولى مسؤوليته على شخص معنوي خاضع للقانون العام أو الخاص يسمى المفوض إليه، يخول له حق تحصيل أجرة من المترفقين أو تحقيق أرباح من التدبير المذكور أو هما معا." هكذا عرف القانون رقم 54.05 التدبير المفوض.

وقد تم رفعه إلى المستوى المؤسساتي وحدد هذا القانون الذي يتكون من 34 مادة، النظام القانوني والإحساباتي للأموال المكونة للتدبير المفوض، وخاصة أموال الرجوع والاسترداد الواجبة والقابلية للاسترجاع، مع إمكانية رهن أموال الرجوع من قبل المفوض إليه وفقا لشروط تهدف إلى المحافظة على

استمرارية المرفق العام في حالة توقف هذا الأخير عن تأدية ما بذمته لصالح المفوض، فضلا عن مقتضيات تهم حقوق وواجبات المفوض والمفوض إليه، حيث أعطى القانون لهذا الأخير حق احتلال الملك العام بمساعدة المفوض.

وعموما يتحدد الإطار القانوني لهذا الموضوع بالأساس في قانون (54.05) المتعلق بالتدبير المفوض للمرافق العامة وكذلك المرسوم رقم 2-23606 صادر بتاريخ 9 غشت 2006 المتعلق بتطبيق المادتين (5) و(12) من القانون السالف ذكره، وكذلك القانون التنظيمي للمجماعات الترابية، وقانون 69.00 المتعلق بالرقابة المالية للدولة على المؤسسات العمومية والمنظمات المستفيدة من دعم المال العام، وكذا الشركات صاحبة الامتياز، كما أن عقد تدبير المفوض يخضع كذلك لرقابة المجلس الأعلى للحسابات طبقا للمادة 25 والمجالس الجهوية للحسابات وفق المادة 118 من القانون رقم 62.99 المتعلق بمدونة المحاكم المالية كما تخضع إلى رقابة المحاكم الإدارية طبقا لمادة 8 من القانون المحدث للمحاكم الإدارية وغيرها من



# واقع التدبير المفوض بين الشكل والمضمون

• عبد المجيد مصدق



والإعلان عن المنافسة.

**2** المدة الزمنية لعقود التدبير المفوض التي لا تتعدى 30 سنة ولا تقل عن 5 سنوات، عكس عقود الامتياز التي تتراوح بين 5 و 99 سنة؛ كما أن عقود التدبير المفوض يكون إنهاؤها إما بانتهاء مدة العقد، وبالتالي فهذه الطريقة طبيعية، وإما باسترداد المرفق قبل انتهاء مدة العقد، وتجسدت هذه الطريقة الأخيرة عمليا في الفصل 46 من عقد التدبير المفوض مع لليونيز دي زو الدار البيضاء، والفصل 70 من عقد التدبير المفوض لرياضال الرباط؛ و عليه، فإنهاء عقد التدبير المفوض يتم تحديده بموجب بنود الاتفاقية بين السلطة المفوضة والمفوض له، حيث أن دفتر التحملات ودفتر الشروط العامة والخاصة والملاحق توضح العلاقة بين الطرفين.

**3** نوع الرقابة المطبقة، تبرز في خضوع عقود التدبير المفوض إلى رقابة المجلس الأعلى للحسابات والمجالس الجهوية ولجان الضبط ولآليات الافتتاح الخارجي والتدقيق بمبادرة من وزيرى الداخلية والمالية، عكس الاشكال التقليدية لتدبير المرافق العامة كالامتياز التي تخضع من حيث مراقبتها لمقتضيات ظهير 14 ابريل 1960

الجهد المناسب للالتزام بالتنفيذ في المدة المحددة أي أن يتم التنفيذ في الميعاد المحدد لذلك الذي تم الاتفاق عليه.

**2** الالتزام بضمان سير المرفق العام وسلامة الأعمال، ويقصد به أن يلتزم المتعاقد مع الإدارة المفوض إليه.

**3** الحصول على التراخيص؛

إن المفوض إليه ملزم بالحصول على التراخيص المطلوبة قانونا لإنجاز الأشغال المرتبطة بالمرفق المفوض إليه وخاصة في مجال التعمير واحتلال الملك العام والسلامة وحماية البيئة إذ لا يعفى منح التدبير المفوض من الحصول على هذه التراخيص.

وإذا كان هذا القانون يهدف ليوافق بين حالتين، أولها منح الشخص العام نوعا من الحرية في تسيير المرافق العامة، وثانيا احترام مقتضيات المتعلقة بمجال المنافسة، فإنه في الواقع ولأسباب سياسية يمنح تسيير المرفق العام لفاعل وحيد في أغلب الأحيان ليطرح السؤال حول مدى نطاق مبدأ المنافسة ومعنى الشفافية بالنسبة لسلطات المفوض والتزاماته.

**وبغض النظر عن الواقع الغامض فإن للمفوض سلطات تتمثل في:**

**1** سلطة التوجيه والمراقبة : إعطاء

الخاص بالرقابة المالية للدولة على المؤسسات العامة والشركات ذات الامتياز، والهيئات المستفيدة من الدعم العمومي المالي؛ وهذا الشكل من التدبير الحديث تعطي له المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية (قنوات التبعية) أهمية خاصة عن طريق الدعم اللامشروط، كالبנק الدولي وصندوق النقد.

**بالنسبة لحقوق والتزامات المفوض إليه ففي مجال الحقوق:**

**1** له حق تقاضي رسوم وقاتوات من المرتفقين أو من المساهمات التي تدفعها الدولة أو السلطة المفوضة.

**2** حق تأسيس شركات خاضعة للقانون المغربي ويمكن للمساهمين أن يكونوا أشخاصا معنويين أو طبيعيين تسري عليهم مقتضيات القانون العام أو الخاص.

**3** حق التعويض عن الضرر الناشئ عن إثراء الإدارة بلا سبب وحق احتلال الملك العام من أجل حاجيات المرفق العام.

**أما الالتزامات:**

**1** الالتزام بالتنفيذ الشخصي، بمعنى يجب أن يتم تنفيذ العقد الإداري بواسطة المتعاقد مع الإدارة المفوض إليه شخصيا، وذلك بضرورة أن يبذل المتعاقد



# واقع التدبير المفوض بين الشكل والمضمون

• عبد المجيد معدق

عدد ممكن من المترشحين، والتعاقد على أساس تقييم موضوعي لمختلف العروض، فالتدبير المفوض يجب أن يكون موضوعا لطلب عروض دولي، حيث تقدم مجموعة من الشركات متعددة الجنسية، والشركات الوطنية الخاصة، ملفاتها للمشاركة في طلب العروض هذا.

فعالية المشرع في طريقة التسيير المحلي للمرافق العامة، بواسطة التدبير المفوض هو مناسبة بالنسبة للجماعات المحلية لإظهارها شكليا وبواسطة جهازها التنفيذي مؤهلاتها وتشجيع ديمقراطية القرب. إذ يمكن تسيير نشاط مرفقي بطريقة مختلفة وهي فرصة بالنسبة للجماعة المحلية لتأكيد نفسها كسلطة، حيث أن الجماعة المحلية لم تعد هي الفاعل، بل أصبحت هي المراقب، فالمرفق يفوض لفاعل خارجي، والميزة الأساسية للتدبير المفوض هو جعل المفوض إليه يتحمل كل أو جزءا من الاستثمارات الضرورية لاستغلال

المرفق و تحمل مسؤولية الاستغلال، لكن العكس هو الحاصل في الواقع، عبر طريقة التملص من مراقبة عمل المفوض له، وعدم تحمل المسؤولية أمام الناخب وسلطة الوصاية، وقد برز التدبير المفوض للمرفق العام كظاهرة عالمية، ونتيجة لعولمة رأس المال في إطار النظام الاقتصادي الليبرالي،

تتقاسمها جميع الدول، متقدمة كانت أو صاعدة أو في طريق النمو، اقتناعا منها بأن اللجوء إلى القطاع الخاص لتدبير المرافق العامة من شأنه تعزيز الاستثمار في هذا المجال وتحسين عرض الخدمات، وبالتالي تحقيق شروط التنمية المتينة والمستدامة. لكن الخدمات لا ترقى إلى تطلعات الساكنة، ولا تتوافق مع الموارد المالية التي تحصل عليها.

فالسلطات العمومية تهدف من خلال تشجيع وتحفيز هذا النوع من التدبير إلى التخلص من المسؤولية في تسيير عدد من المرافق بدعوى تحسين الخدمات وتسييرها بالنسبة للمواطنين وتقليل التكلفة بالنسبة للميزانية الدولة، وترشيد النفقات، وتعبئة رؤوس

بين الطرفين، فإن الاتفاقية هي التي ترجح على باقي الوثائق.

## التدبير المفوض وأعطاب المراقبة

إن السؤال عن مكانة المنافسة في نظام إبرام عقود التدبير المفوض للمرافق العامة يطرح نفسه بإلحاح مدام هناك تكريس لوضعية احتكارية، ذلك أن نظام الانتقاء يكتسي رهانا أساسيا. وبالتالي فإن النظام القانوني الحالي للتدبير المفوض للمرافق العامة يمكن أن يكون موضوع العديد من التساؤلات فيما يخص قدرته على الاستجابة للحاجيات، إذ تلعب حرية المنافسة دور الكاشف الأساسي للتوازن الاقتصادي من خلال الحصول على أقل أسعار

تعليمات وأوامر للمتعاقدين معها ولو لم ينص العقد على ذلك صراحة، فالأمر بإنجاز الخدمة يعتبر العنصر الأساسي الذي يميز الصفقات العمومية، إضافة إلى إمكانية المفوض إجراء تحقيقات والاستعانة بالخبراء والأعوان كلما ارتأى جدوى هذه الرقابة.

2- سلطة توقيع الجزاءات، كما في حالة إذا امتنع المتعاقد عن التنفيذ أو تأخر أو أهمل في أدائه، فإنه يكون مقصرا في تنفيذ التزامه، وتوقع عليه جزاءات من قبل الإدارة المتعاقدة بغية الاستمرار في تنفيذ الالتزام المتعلق بالمرفق العام، وإزالة دواعي الإخلال أو التقصير.

3- إضافة إلى أن هناك التزامات للمفوض كعقد اجتماعات وفق فترات منتظمة قصد إعداد تقييم مشترك كل خمس سنوات.

كما تتمتع السلطة المفوضة بمجموعة من الحقوق في مواجهة المفوض له، إلا

أن أهم حق يتجلى في المراقبة التي يمكن أن تمارسها على المفوض له، وعليه فإنه من خلال بنود العقد، يمكن تمييز الرقابة التي تمارسها سلطة الوصاية، والتي تتمثل -حسب الفصل 51- في كون أن "المفوض له ملزوم بإعطاء السلطة الوصية نسخة من الوثائق، والتقارير التقنية، والمالية، والمحاسبية،

والاقتصادية، وغيرها، المقدمة للسلطة الوصية، وفي نفس الإطار تنص الاتفاقية على أن تؤسس لجنة للتتبع برئاسة رئيس المجموعة الحضريّة، علما أن المفوض له هو المسؤول الوحيد عن سير المرافق التي يقوم بتدبيرها واستغلالها، مع تحمل أخطار ومخاطر ذلك طبقا للعقد. مما ينتج عنه التزام السلطة المفوضة بعدم منح أي ترخيص إداري أو غيره من شأنه أن يحد أو يمنع ممارسة المفوض له لحقه في أن يستغل المرافق المفوضة وحده دون غيره.

فالنظام العام للتدبير المفوض في هذه الحالة، يتكون بالإضافة إلى الاتفاقية، من مجموعة من الملاحق، بما فيها دفتر التحملات، إلا أنه في حالة حصول خلاف



ممكنة للماء الشروب والطاقة الكهربائية والتطهير السائل والنظافة والنقل الحضري وكذا التمويل الذاتي والتوازن الاقتصادي والمالي للمرافق المفوضة، والتحسين التدريجي في الجودة التقنية للخدمات وتسييرها الإداري والتجاري الجيد. مع الاحتفاظ بالتجهيزات والمنشآت المخصصة للمرافق المفوضة في حالة جيدة، إضافة إلى التسيير المنتظم للموارد البشرية.

غير أن تفويض استغلال وتمويل المنشآت والمرافق العامة إلى القطاع الخاص لا يمكن أن يكون ذا جدوى باللجوء إلى شريك في وضعية احتكار طبيعي أو قانوني، بل بتفعيل المنافسة بين أكبر

# واقع التدبير المفوض بين الشكل والمضمون

• عبد المجيد معدق

في المصادقة المسبقة على أنماط تدبير المرافق العامة وعلى العقود المبرمة مع الشركات المفوض إليها. وقد أبانت عمليات تتبع ومراجعة العقود عن بعض جوانب الغموض فيما يخص الأدوار التي تمارسها الأطراف المتعاقدة. كما أن دور سلطة الوصاية في هذا المجال، لم يحدد بشكل واضح

ويعرف التدبير المفوض للمرافق العامة المحلية تدخل عدة مديريات بوزارة الداخلية على مستويات مختلفة، وأحيانا بالنسبة لنفس المرفق العام. ويتعلق الأمر بالمديرية العامة للجماعات المحلية، ومديرية الماء والتطهير، ومديرية الوكالات والمصالح ذات الامتياز، ومديرية الشؤون القانونية والدراسات والتوثيق والتعاون، ومديرية المالية المحلية، ومديرية التخطيط والتجهيز.

وإذا كان التدبير المفوض قد أحدث قطيعة مع نظام التعريفية الموحدة للكهرباء والماء والتطهير السائل، والتي كانت تحدها الدولة، ليحل محلها نظام تقنين التعريفية بموجب عقد التدبير المفوض، مما أتاح إمكانية الأخذ بعين الاعتبار، بمناسبة تحديد السعر، للمجال الجغرافي وطبيعة الجهات المستفيدة،

غير أن ضعف الرقابة فتح شهية هذه الشركات لزيادة الحصول على الأموال بطريقة غير شرعية، على حساب المواطنين، وفي هذا الإطار، كشفت عمليات المراقبة التي قامت بها المجالس الجهوية للحسابات، وكذا مكتب الصرف، عن العديد من الاختلالات، خاصة فيما يتعلق بالتحويلات المرتبطة بالمساعدة التقنية الخارجية. وقد سجلت إزاء هذه الشركات مخالفات لقوانين الصرف، تتمثل

أساسا في تهريب وإجراء تحويلات غير قانونية للأموال، دون الكلام عن الإمدادات الممنوحة للشركات المفوض إليها عبر "صندوق مواكبة إصلاحات النقل الطرقي الحضري" والرابط بين المدن على سبيل الحصر، علما أن أغلب شركات التدبير المفوض حققت أرقام معاملات كبيرة.

عملية التدبير المفوض طيلة جميع مراحله، بدءا بمرحلة إعداد العقود إلى مرحلتى التتبع والمراقبة.

وقد كشفت عمليات المفاوضات وإبرام العقود عن ضعف الموارد البشرية ذات المؤهلات التقنية المطلوبة بالجماعات المفوضة، حيث تجد هذه الأخيرة نفسها غير مؤهلة إزاء الشركات المفوض إليها، والتي تتوفر على الخبرة والمعرفة التقنية اللازمين. كما أن نظام التوظيف والأجور وتدريب المسار المهني للمستخدمين وأعاون السلطات المفوضة لا يسمح بتعبئة الكفاءات المطلوبة قصد توفير المخاطبين الأكفاء إزاء الشركات المفوض إليها. ويتفاقم هذا الوضع بسبب غياب آليات لتكوين وتأهيل الموارد البشرية لدى الجماعات. فأغلب الجماعات المحلية تفتقد إلى

أموال أجنبية على الخصوص وجلب هذه الأخيرة للكفاءات والوسائل التقنية واللوجيستكية وتخفيف أو ورفع أعباء التوسع الحضري.

إن أسلوب التدبير المفوض بالمغرب من حيث الشكل والقانون المنظم له شيء وما يجري في الواقع شيء آخر، مع أن الإعطاب الحقيقية لهذه التجربة تأتي من سلطة الوصاية التي يحكم تحكمها في وضع هندسة الخريطة الانتخابية تقتل الكفاءات بمنح الأولوية وإعطاء أغلبية مقاعدها للمحسوبين على توجهها كجزء على الولاء، وضربا لمبدأ تكافؤ الفرص وسياسة القرب.

فالمستشارون بالجماعات المحلية ليسوا تعبيرا عن إرادة الشعب، بل إن وجود أغليتهم الساحقة نتيجة توافقات هندسية بين الأحزاب الإدارية والوزارة

الوصاية التي ترجع إليها واقعا سلطة منح التدبير المفوض، مما أدى ويؤدي إلى قبول هذه المجالس المحلية كل مقترحات السلطة الوصية لمنح التدبير المفوض مقابل ما تبقى من فئات الريع، إضافة إلى خاصية منح صفقات التدبير المفوض إلى القوتين الاستعمارييتين للمغرب سابقا وهما فرنسا وإسبانيا لأسباب سياسية محضة، تضرب في الصميم عنصر المراقبة

وتسهل مأمورية النقاعس عن واجب القيام بوضع البنيات التحتية في المستوى المطلوب تقنيا وهندسيا.

إن من بين أهداف التدبير المفوض إدخال آليات حديثة للتسيير، وتحسين الانتاجية ورفع من جودة الخدمات، وبالتالي ترشيد تكاليف الانتاج وتخفيض مستويات التعريفية المطبقة، وإحداث بنيات تحتية وجلب الأموال لزيادة الاستثمار وتطويره، غير أن تحويل هذه الجماعات لجزء كبير من مهامها إلى القطاع الخاص يبخس دورها الذي يبقى مصير وجوده كعدمه، إضافة لرفع يدها عن التتبع والمراقبة القبلية والبعديّة وهذا كله لا يعفيها من مسؤولياتها في هذا المجال.

فضعف مواردها البشرية، على المستوى النوعي والعددي، يعيق بشكل كبير



موارد بشرية مؤهلة تستطيع أن تجاري الشركات العالمية العملاقة التي تتقدم بعروضها للفوز بتلك العقود من المفاوضات الأولية للعقد إلى تتبع تنفيذه، وبهذا المستوى المتدني فإن أطر الجماعات المحلية لا تستطيع أن تدخل في علاقة ندية مع تلك الشركات، ولا سيما أن طبيعة المرافق العمومية تحتاج إلى خبرة ومؤهلات تقنية ومحاسبية ومتنوعة التخصصات على أعلى مستوى حتى يمكن القيام بتقييم حقيقي لكلفة تقديم الخدمات.

فمثلا فيما يتعلق بالحكامة، يبدو من خلال الواقع الملموس أن لجن دراسة الصفقات اسم شكلي فقط، حيث يتسم تدبير المرافق العامة، بتعدد المتدخلين على المستوى المركزي. وهكذا، تمارس وزارة الداخلية الوصاية التقنية المتمثلة



# واقع التدبير المفوض بين الشكل والمضمون

• عبد المجيد مصدق



الالتزامات التي يتحملها برسم التدبير المفوض، بمعنى أنه يمكن للمفوض إليه وبموجب عقد التدبير المفوض أن يعهد إلى الغير إنجاز أو تنفيذ بعض الأشغال المتعلقة بسير المرفق المفوض، غير أنه يظل مسؤولاً بصفة شخصية تجاه المفوض الأغيار عن الوفاء بجميع الالتزامات التي يفرضها عليه التدبير المفوض. ويجب أن يحدد العقد شروط وكيفية التعاقد من الباطن، فهذا الأخير أصبح هو الركيزة الأساسية لعمل المفوض له، وبالتالي تنعدم الجودة.

وتظل أكبر نقطة سوداء للشركات الأجنبية المفوض لها تدبير بعض القطاعات الحيوية المحلية هو تهريب الأرباح وما فوق الأرباح عبر إجراءات غير مشروعة، بطريقة سرية إلى مراكزها الرئيسية في بلدانها، ضاربة عرض الحائط بدفتر التحملات، خصوصا البنود المتعلقة بالمسك الإيجاري المحاسباتي،

كما توضحها القواعد المتعلقة بالشروط المالية، فالمادة 15 من قانون 54-05 تنص على أن المفوض إليه يجب أن يمسك محاسبته طبقاً للقانون رقم 9-88 المتعلق بالقواعد المحاسبية الواجبة على التجار

لهذا يبقى السبيل الأمثل أمام الجماعات هو الانخراط في سياسة التكوين المستمر للأطر والموارد البشرية حتى تكون لها القدرة على تفعيل الرقابة المنصوص عليها قانوناً. وتوحيد الترسانة القانونية للتدبير المفوض. ورفع يد الجهات الوصية، وطبعاً لن يتحقق هذا دون إرادة سياسية وانتخابات محلية نزيهة، تفرز أطراً وكفاءات قادرة على تغيير الوضعية الحالية لميدان التدبير المفوض.

إن الواقع يبرز لنا أن أغلب هذه الشركات المفوض لها تأتي بخزائنها فارغة، وتحصل على القروض من الأبنك المغربية بسهولة، ثم تبدأ عملها الترقيعي في غالب الأحيان، فيما ينصب جل اهتمامها على نهب جيوب المغاربة في كل القطاعات التي تشرف عليها من توزيع الماء والكهرباء والتطهير السائل وجمع النفايات والنقل الحضري وغيرها..

كما تقوم بتفويت أغلب الأشغال المهمة لمقاولات بالتعاقد من الباطن، مستغلة المادة 21 من القانون 54-05 التي تجيز أن يرخص وبصفة تبعية للمفوض إليه أن يتعاقد من الباطن بشأن جزء من

كما أنه يتم إعداد عقود التدبير المفوض في غياب المخططات المديرية للكهرباء والماء والتطهير السائل بالنسبة لقطاع التوزيع، وفي غياب تصاميم التنقلات المرتبطة بالنقل الحضري، وكذلك في غياب مخططات المديرية الجماعية وتلك الخاصة بالعمالات والأقاليم بالنسبة لقطاع النظافة، وذلك بخصوص جمع النفايات.

لقد توخى المشرع من خلال أسلوب التدبير المفوض، رفع التحديات الناجمة عن النمو المتسارع للحاجيات

الملحة المترتبة عن التطور الحضري، وذلك من خلال إشراك القطاع الخاص والفاعلين الدوليين استجابة لهذه الحاجيات المتزايدة، لكن من الناحية الواقعية تبقى هذه الترسانة القانونية حبرا على ورق في غياب الموارد البشرية المؤهلة وغياب الرقابة، وكل هذا ينعكس على أرض الواقع من خلال الارتفاع الكبير للأسعار وتدني جودة الخدمات دون أدنى تدخل من السلطات المفوضة وهو ما يؤدي ببعض الفئات الأكثر تضرراً إلى الخروج في مظاهرات واحتجاجات تعبير عن سخطهم وتذمرهم (أمانديس، ريسال وليديك)،

# واقع التدبير المفوض بين الشكل والمضمون

• عبد المجيد مصدق



الصرف الذي يتحمل المسؤولية الكبرى في محاربة تهريب الأموال، فإن ما يقع من نهب وتبديد للمال العام تقشعر له الأبدان، في بلد يعاني أزمتا سياسية واقتصادية ومالية واجتماعية خانقة وانخفاض مزمن في الناتج الداخلي الخام، وثقل المديونية الداخلية والخارجية. إن الارتجالية وانعدام الرقابة وجهل الجماعات الترابية، هي سيدة الموقف، بسبب صوريته وانعدام الكفاءات لديها وتخطيها وجهلها بأدبيات ومسااطر شرعية الاستخلاص، كما حدث في واقعة أوقضية الأداء مقابل ركن السيارات في الطريق العام في غياب أي سند أو شرعية قانونية، والتي قال القضاء الإداري كلمته فيها، إن هذه الاختلالات تظهر الصور الحقيقية عن ما آل إليه التدبير المفوض، ومختلف الثغرات الناجمة عن غياب التطبيق السليم للتدبير المفوض، فلا أسعار الماء والكهرباء انخفضت ولا تحسنت الجودة ولا نظافة تحققت للمدن المعنية بالتدبير المفوض ولا نقل حضري تحقق ويحترم أدمية الإنسان بل شاهد يوميا معاناة الناس وشبه حافلات يتكدس فيها المقهورون كعلب السردين.. فأين رقابة المسؤولية؟؟

بيد أن المأمول من هذه الشركات الحالية قد تبخر، وتظهر الصورة واضحة بجلاء حين تهطل الأمطار فيصبح سكان الجهات والمدن المعنية بالتدبير المفوض في خطر دائم، خصوصا الدار البيضاء التي تفرق كل سنة، فيما تصبح باقي المناطق عبارة عن جزر وكانتونات معزولة وأحياء وشوارع مغمورة بالمياه نظرا لسوء تدبير البنيات التحتية وانعدام نظافة قنوات الصرف السائل، وستظل صور مدن الشمال التي ترزح تحت سلطة شركة أمانديس، راسخة في أذهاننا وهي تحتج بالشوارع حاملة الشموع وأنوار الهواتف النقالة وعدم استعمال الكهرباء لساعات كرسالة لمن يهمهم الأمر من سلطة الوصاية على إثر الانفجارات في فاطورات الاستهلاك، ولعل الفاجعة الأخيرة بوفاة 28 عاملة وعاملا بطنجة نتيجة انفجار مجاري المياه تساؤل اختلال هذا النموذج التدبيري المحمي فوقيا.

لقد كان لزاما على المفوض إليه، أن يعد قوائم تركييبية سنوية منفصلة تعكس جردا بالمصاريف والمداخيل، بيد أنه في ظل غياب رقابة فعلية للجهات الوصية من مجالس محلية صورية ووزارة الداخلية والمالية وخصوصا مكتب

العمل بها والصادر بتاريخ 25 دجنبر 1992. وعندما تفوض عدة أنشطة مرفق عام إلى المفوض إليه، يجب عليه أن يعد قوائم تركييبية سنوية منفصلة تعكس جردا بالمصاريف والمداخيل، لكن ما يحصل في هذا المجال هو التسبب واتلاف الوثائق، فأحد تقارير المجلس الأعلى للحسابات تؤكد أنه لم يتم استثمار كل الإمكانيات والمؤهلات التي يتيحها نمط التدبير المفوض، وذلك بسبب اختلالات في التخطيط وفي تحديد الحاجيات من طرف السلطة المفوضة، وغياب هيئة مستقلة تكلف بمهام الخبرة والتنسيق والتتبع واليقظة.

فواقع المدن التي تشرف على تدبيرها هاته الشركات صار بذكره الركبان، وتصبح في فصل الشتاء بحالة يندى لها الجبين، أما جمع الأزيال ونظافة المدن فتلك قصة أخرى، لا فيما يخص تدبير النفايات وفق قوانين البيئة ولا في أماكن وضعها وتدويرها كما هو الحال في الدول التي تحترم مواطنيها، أما قطاع النقل الحضري فإنه لا يتعدى شراء بعض الحافلات واستيراد عدد كبير منها بعد أن تم منع العمل بها في الشوارع والحوضر الفرنسية والهولندية.



• محمد سعيد السعدي، اقتصادي وعضو  
مجلس مدينة الدار البيضاء سابق



# من أجل تدبير ديمقراطي للمرفق العمومي

أدت التهاطلات المطرية التي شهدتها الدار البيضاء الكبرى (خاصة مدينتي الدار البيضاء والمحمدية) إلى خسائر بشرية جسيمة، كما نجمت عنها أضرار مادية كبيرة وتوقفا لحركة الاقتصاد وارتباك في النظام التعليمي على الخصوص. في نفس الوقت، عرت هذه الفيضانات عن هشاشة البنية التحتية لصرف المياه، كاشفة بالتالي عن الاختلالات والنقائص التي تشوب تدبير هذا المرفق العمومي الحيوي من خلال شركة التدبير المفوض "ليدك".

من قلق المتتبع لهذا الملف هو تصريح مسؤولي "ليدك"، مؤخرا، بعدم قدرة هذه الشركة على تحمل نفقات التجهيز الضرورية لسد حاجيات الدار البيضاء الكبرى بالنسبة للفترة 2017-2027، معتبرين بأن العبء الأكبر في هذا المجال ينبغي أن تتحمله السلطة المفوضة، أي المجالس المنتخبة للدار البيضاء الكبرى. بل الأدهى من هذا، أن هؤلاء المسؤولين ينتظرون موافقة المنتخبين ووزارة الداخلية (بصفقتها الوزارية "الوصية" على الجماعات المحلية) على زيادة جديدة في تعريف الكهرباء للقيام ببعض الاستثمارات المبرمجة سابقا.

إن هذا السلوك، وإن كان غير مستغرب من طرف فاعل اقتصادي هاجسه الأكبر هو الربح دون مغامرة أو مخاطر تذكر، يطرح سؤالاً عربضا حول دور القطاع الخاص المعوّل عليه لاستثمار أمواله الذاتية لتلبية حاجيات المدين من الخدمات العمومية الأساسية. والحال أن شركة "ليدك" ما فتئت تراكم الأرباح منذ توليها تدبير قطاع الكهرباء، والماء والتلّهير السائل بالدار البيضاء الكبرى. غير أنها فضلت توزيع جُلّها على المساهمين، علما أن الجزء الأكبر يحوّل بالعملة الصعبة إلى الشركة "الأم" (مجموعة "سويز") بباريس.

كما تمكنت هذه الشركة من مضاعفة رقم معاملاتها تقريبا بين سنتي 2004 و2020. بالمقابل، لم تساهم في إحداث مناصب عمل جديدة، بل قامت بتسريح المئات من العمال



الكبير في الاستثمارات، خاصة على مستوى التجهيزات التحتية. والحال أن هناك تعميم إعلامي وتكتم شديد على حيلة تنفيذ عقد التدبير المفوض الذي قُت مراجعته سنة 2009 وحددت من خلاله أهداف جديدة، خاصة في مجال تدارك الخصائص الذي تم تسجيله في مجال الاستثمار في البنيات التحتية. وإذا كانت الفيضانات الأخيرة، وتلك التي سبقتها طوال السنوات الماضية، تؤثر على تقاعس الشركة المفوض لها فيما يخص احترام التزاماتها، فإن ما يزيد

في العقد، وتحويل أرباح إضافية على شكل نفقات وهمية برسم المساعدة التقنية، إلى الشركة "الأم"، والتأخر في دفع الرأسمال الذي التزمت "ليدك" بتوفيره، وإحداث فرع لشركة "ليدك" في خرق سافر لمقتضيات عقد التدبير المفوض وعدم القيام بربط العائلات الفقيرة بشبكة الماء والكهرباء والصرف الصحي وفقا للأهداف المسطرة في العقد إلخ...

إن ما وقع خلال الأسابيع الأخيرة يُعيد مرة أخرى إلى الواجهة العجز

إن السؤال الذي ينبغي طرحه هو لماذا يؤدي التدبير المفوض، وهو شكل من أشكال الخصوصية تدعمه وتقوم بالدعاية له المؤسسات المالية الدولية (خاصة البنك العالمي وصندوق النقد الدولي)، إلى الفشل الذريع في تأمين خدمات عمومية ذات جودة وفي تناول كل المواطنين/ات، وعلى رأسهم الفئات المستضعفة والمستغلة. والجواب على هذا السؤال لا يتطلب جهداً كبيراً، فالهدف من وراء تسليع الخدمات العمومية هو أولاً وقبل كل شيء فتح مجال جديد للرأسمال الكبير والشركات المتعددة الجنسية الاحتكارية لتحقيق أرباح إضافية وتوسيع مجالات التراكم الرأسمالي. ولقد سبق للعديد من الباحثين/ات ومؤسسات رسمية مثل المجلس الأعلى للحسابات والمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي الوقوف على الاختلالات الكبيرة التي صاحبت تجارب التدبير المفوض بالمغرب.

وما دمنا نناقش تجربة الدار البيضاء الكبرى، فمن المفيد التذكير بأن مجلس المدينة قد قام بفحص لحسابات شركة "ليدك" المفوض لها في إطار مراجعة العقد الذي يربطه بهذه الأخيرة. وقد خلص هذا الافتتاح الذي شمل الفترة من 1997 إلى 2006 إلى العديد من الاختلالات تبين عدم احترام شركة "ليدك" لالتزاماتها، نذكر منها على الخصوص عجز مهم في مستوى الاستثمارات الملتزم بها، وتوزيع مسبق للأرباح سنة 2003 عوض 2008 كما هو منصوص عليه

# من أجل تدبير ديمقراطي للمرفق العمومي

• محمد سعيد السعدي، اقتصادي وعضو مجلس مدينة الدار البيضاء سابق

ذات الامتياز المناط بها مهمة "إعداد السياسة العامة والمراقبة والمتابعة فيما يتعلق بالنقل الحضري والتطهير وتوزيع الماء والكهرباء".

أمام هذا الفشل البين للتدبير المفوض لقطاع الكهرباء، والماء والتطهير، يطرح باستعجال سؤال البدائل الممكنة لضمان حق المواطن/ة في هذه الخدمات الأساسية والحيوية. في هذا الصدد، يمكن استلهام التجارب العالمية حيث لجأت عدد من المدن في العالم، في شمال الكرة الأرضية وجنوبها، نذكر من بينها باريس، برلين، بوين سيرس (الأرجنتين)، دكاكارتا (أندونيسيا)، إلى التخلي عن التدبير المفوض لهذا القطاع الحساس لفائدة الملكية

الجماعية والتدبير المرفق العمومي. ومن شأن تفعيل هذه الملكية الجماعية التحكم في فواتير الماء والكهرباء والتطهير من خلال التخلي عن منطق تعظيم الربح الذي يهدف إليه الرأسمال الكبير، وإعطاء الأولوية للأحياء الفقيرة والمهمشة، والرفع من الاستثمار في البنيات التحتية. وتأخذ عادة هذه الملكية الاجتماعية شكل شركات بين القطاع العام والجماعات المحلية، مع ضرورة الانفتاح على الفرقاء الاجتماعيين، خاصة من خلال ضمان تمثيلية الأجراء والمجتمع المدني داخل هيئات اتخاذ القرارات الاستراتيجية، والتتبع والمراقبة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يمكن للمجالس المنتخبة للدار البيضاء الكبرى أن تدخل في شراكة مع المكتب الوطني للماء الصالح للشرب والكهرباء، بالإضافة إلى صندوق الإيداع والتدبير. والحال أن المكتب الأنف الذكر لا زال يُدبّر قطاع الكهرباء، والماء والتطهير في جزء من مدينة الدار البيضاء. وبديهي أن هذا التدبير الاجتماعي للمرفق العمومي يبقى رهينا بالنضال من أجل ديمقراطية محلية حقيقية، تشاركية ومواطنة.

المنتخبة للدار البيضاء الكبرى) ذي الشرعية الشعبية المحدودة (لم تتجاوز المشاركة في الانتخابات الأخيرة 25% من المسجلين/ات في الدار البيضاء) والفاقدة للحد الأدنى من الإمكانات البشرية والمادية. أضف إلى هذا، اتسام هذه العلاقة بين الطرفين بـ"عدم تناسق المعلومات" (In-formation Asymmetry)، حيث يتطلب القيام بالتتبع والمراقبة توفير المعلومة من طرف الشركة المفروض مراقبتها! والحال أن هذه الأخيرة ليس لها مصلحة في تزويد السلطة المفوضة بالمعطيات والأرقام

"ليدك" بالإضافة إلى ممثلي وزارة الداخلية بوصفها الوصي على القطاع، في حين يقوم ممثلو السلطة المفوضة بدور يكاد يكون شكلياً. ويرجع هذا بالأساس إلى غياب الخبرة عند المنتخبين، وكذلك الرغبة في "عدم إزعاج" المستثمر الأجنبي والإضرار بـ"جاذبية" المدينة "الذكية" وانخراطها في العولمة النيولبرالية. وما يزيد الطين بلة هو افتقار ما يسمى

حيث انتقل عدد العاملين بشركة "ليدك" من 3769 سنة 1999 إلى 3491 سنة 2020! وهذا يعني بأن هذه الشركة المتعددة الجنسية رفعت معدل إنتاجيتها، وبالتالي قلصت من نفقات الموظفين بالنسبة لكل درهم من رقم المعاملات المحقق، بشكل محسوس، غير أنها احتفظت بهذا الفائض للمساهمين، في حين لم يستفد من نتائجه لا العمال، ولا المستهلك الذي أصبح ين تحت وطأة الارتفاع المستمر لفواتير الكهرباء، والماء والتطهير السائل.

وإذا كانت مسؤولية الشركة المفوض لها ثابتة فيما يخص إخفاقها في تدبير المرفق العمومي، فإن هذه المسؤولية تتقاسمها مع السلطة المفوضة، أي المجالس المنتخبة، وكذلك سلطة الوصاية (وزارة الداخلية). فالمفروض في هذه المجالس أن تحرص في المقام الأول، إن هي قررت تفويت تدبير مرفق عمومي حيوي لقطاع الكهرباء، والماء والتطهير، الحرص على ضمان حق المواطن/ة في الحصول على خدمة

عمومية ذات جودة وبأسعار تتوافق وقدرته/ا الشرائية. كما هي مُلزمة بتتبع ومراقبة تنفيذ الالتزامات المترتبة عن عقد التدبير المفوض (وهو الآلية المعمول بها في الغالب بالمغرب لتفويت تدبير المرفق العمومي المحلي) بالنسبة للشركة المفوض لها. وهنا مربط الفرس، إذ يلاحظ بأن السلطة المفوضة للدار البيضاء الكبرى تكاد تستقبل من ممارسة مهامها في هذا المجال. وهناك ثلاثة مؤشرات تدعم هذا الطرح. أولاً، لم تقم المجالس المنتخبة المعنية بفرص مراجعة عقد التدبير المفوض كل خمس سنوات كما هو منصوص عليه في هذه الوثيقة القانونية الملزمة للطرفين، إذ لم تنجز إلا مراجعة واحدة في ظرف 24 سنة! وتم ذلك في سنة 2009. ثانياً، يهيمن على لجنة تتبع ومراقبة تنفيذ عقد التدبير المفوض فاعلين أساسيين، وهما ممثلي شركة



بـ"مصلحة

المراقبة المستمرة"

للحد الأدنى من الاستقلالية والامكانيات لممارسة دورها الرقابي. فهذه المصلحة متواجدة داخل المقر المركزي لشركة "ليدك" المفروض مراقبتها، بالإضافة إلى أن "ليدك" هي من توفر ميزانية اشتغالها! وهذا الأمر يفضح تضارب مصالح خطير يفقد مهمة التتبع والمراقبة أبسط معانيها. ثالثاً، تنسم العلاقة بين المجالس المنتخبة والشركة المفوض لها بعدم التكافؤ الصارخ حيث يربط عقد التدبير المفوض بين طرف أول، وهو مجموعة خاصة متعددة الجنسيات تتوفر على إمكانيات مالية وتكنولوجية كبيرة وحنكة ودراية في التعامل مع المجالس المحلية عبر العالم، وطرف ثان (أهم المجالس

الضرورية

لمتابعة مدى التزامها

بما هو منصوص عليه في عقد التدبير المفوض، بل وقامت بتدمير مدبّر لجزء منها. وكثيراً ما تتذرع هذه الشركات بـ"حساسية المعطيات" و"خوفها" من تسريبها للشركات المنافسة لحرمان المجالس المنتخبة من الحصول عليها.

أخيراً وليس آخراً، يطرح السؤال حول الدور الحقيقي الذي تقوم به وزارة الداخلية كعضو ثالث ضمن لجنة التتبع والمراقبة، علماً أن هذه الأخيرة ممثلة بمديرية الوكالات والمصالح



التدبير المفوض هو عملية منهجية لنهب المال العام عن طريق خوصصة الأرباح وتأمين الخسار. هذا النمط من تدبير الخدمات العمومية هو نهب مقنن عن طريق أنظمة ومساطر تسهل استحواذ القطاع الخاص على المنشآت العمومية ومالية الجماعات الحضرية. المقال التالي يناقش ذلك من خلال ست نقط ويتضمن مثالا صارخا على نهب المال العام بالبيضاء وهو نموذج شركة ليدك.



## ملاحظة أولية لا بد منها: الفساد أملة استبداد

الخطاب الاستهلاكي حول "الحكامة الجيدة"، "الشفافية"، "ربط المسؤولية بالحاسبة" والتي تروج له الدولة ومعها العديد من جمعيات المجتمع المدني مدعومة من طرف المؤسسات المالية العالمية، على الخصوص البنك الدولي، لا يجب أن ينسينا أن النضال من أجل حماية المال العام هو معركة نضالية شعبية أولا وأخيرا. فلا يمكن أن نتنظر من مؤسسات يسيطر عليها الفساد أن تكون مدافعة عن المال العام.

فالى جانب عملية الخوصصة والتحرير التي عرفها الاقتصاد المغربي منذ بداية الثمانيات، قامت الدولة بإرساء مؤسسات لمراقبة المالية العمومية (مفتشيات الوزارات وعلى الأخص المفتشيات العامة للداخلية والمالية) وأسست المجلس الأعلى للحسابات ومجالسه الجهوية وأصدرت العديد من القوانين في سياق "الشفافية" وطمأنة المستثمرين الأجانب بخصوص الأمن القانوني بالمغرب. ثلاث عقود من الإصلاحات لم تحد من نهب المال العام والذي ازداد انتشارا بالمغرب.

عامل آخر يجب أخذه بعين الاعتبار عند الحديث عن المال العام بالمغرب هو عدم الفصل بينه وبين "المال الخاص". فهناك غياب للفصل بين مال رئيس الدولة (الملك) الشخصي والمال العام والتدخل بينهما يعيق حماية المال العام. الإيجابي أن الحركة الحقوقية والاجتماعية جعلت من محاربة الفساد معركة مهمة ولعل شعار حركة 20 فبراير كان محطة مهمة للتأكيد على النضال ضد الفساد وربطه بالاستبداد. فهما قضيتان مترابطتان ومثال التدبير المفوض يوضح ذلك بجلاء.

# 6 حجج لتفكيك أسطورة "التدبير المفوض"



• صلاح الدين لمميزي  
عضو جمعية "أطاك"

• صلاح الدين لمعيزي  
عضو جمعية "أطاك"

# 6 حجج لتفكيك أسطورة "التدبير المفوض"

## أولا: التدبير المفوض اختيار سياسي

التدبير المفوض ليس اختيارا تقنيا بل هو اختيار سياسي، أتي نتيجة انسحاب الدولة من تدبير الخدمات العمومية مع بداية الثمانينات. نمط تم فرضه من طرف السلطة السياسية خارج القانون. حيث تم إصدار قانون التدبير المفوض في 2006، أي تسع سنوات بعد أول تجربة للتدبير بالبيضاء (ليدك). القانون جاء على مقاس شركات التدبير المفوض وهذا هو الفساد بعينه. هذا النمط من التدبير يعتمد على بعض الأساطير المؤسسة على شعرات زائفة يتم الترويج لها من قبيل:

| القطاع العام                  | القطاع الخاص                                                               |
|-------------------------------|----------------------------------------------------------------------------|
| القطاع العمومي مكلف           | القطاع الخاص يسمح بالتنافسية وتخفيض التكلفة - العملة تحت الإنقاذ الاقتصادي |
| الموظف العمومي غير منتج       | القطاع الخاص فعال                                                          |
| الدولة لا تتوفر على الميزانية | القطاع الخاص يجلب الاستثمارات                                              |

## ثانيا: الأزمة العالمية للفوضى

بخلاف بداية الألفية الثالثة، التدبير المفوض يعيش أزمة عالمية ولم يعد هذا النمط يستهوي المدن بالعالم والتي تفكر في طرق أخرى لتدبير خدماتها ومن ضمنها التأمين. في سنة 2000 كانت قد اختارت عدد من الدول الرجوع إلى التدبير العمومي وقد كانت لا يتجاوز 3 مدن، في 2014 وصل عدد المدن التي فضلت التدبير العمومي إلى 180 مدينة في العالم.

## ثالثا: اتساع رقعة السوق على حساب الخدمة العمومية

اتسعت رقعة خصوصية الخدمات العمومية لقطاعات جديدة ومتنوعة بالمغرب. ففي المدن، شملت حركة التدبير المفوض كل القطاعات: الصحة، التعليم، إنتاج وتوزيع الطاقة، النظافة، المطارح البلدية، تطهير السائل، الإنارة العمومية، تدبير المجازر، النقل الحضري (حافلات، الطرامواي)، المحطات الطرقية، الباركينغ، الحدائق العمومية وحتى المقابر. إذن المغربي منذ ازدياده حتى وفاته محكوم عليه بالعيش تحت وطأة التدبير المفوض.

## رابعا: الفاعلون والأرباح

حسب تقرير المجلس الأعلى للحسابات الخاص بالتدبير المفوض الصادر في 2014 تتوزع استثمارات شركات هذا القطاع على الشكل التالي:

\* تدبير النفايات المنزلية : 10 في المائة.

\* النقل : 18 في المائة.

\* تدبير الماء والكهرباء (مدن الدار البيضاء، الرباط، طنجة وتطوان): 77 في المائة.

النقل العمومي مدير عن طريق الخواص في 260 جماعة حضرية بالمغرب بواسطة 40 عقدا، 17 منها أنجزت بعد 2006. الجماعة الحضرية الكبرى الوحيدة بالمغرب التي لم يشملها التدبير المفوض للنقل هي أسفي التي لم تستطع تسريح عمال الوكالة الحضرية كما تطالب به الشركات التي تريد الاستفادة من هذه الصفقة. آخر مدينة تم تفويت تدبير النقل للخواص بها هي فاس والتي خاض بها عمال الوكالة الحضرية نضالا مريرا من أجل الدفاع عن مكاسبهم. والقطاع الخاص بهاته المجالات يعرف تواجد إسبان، فرنسيين ومغاربة

تدبير النفايات المنزلية عن طريق التدبير المفوض أصبح يهم 147 جماعة بواسطة



101 عقدا، 33 منها تم توقيعه بعد 2006. هذا القطاع تسيطر عليه شركات فرنسية، إيطالية، ألمانية، لبنانية ومغربية.

66 جماعة فوضت تدبير مطارحها العمومية عن طريق 15 عقدا، استفادت منه 12 شركة.

أرباح هذا القطاع مختلف أصنافه في ارتفاع دائم. بعد 9,2 مليار في 2008، ارتفع رقم المعاملات إلى 11,2 مليار درهم في 2012. الأرباح في ارتفاع صاروخي ب28 في المائة وصافي الأرباح وصل ل23 في المائة. مؤشرات تفوق بكثير قطاعات جد مربحة كالأبنك مما يدل على أن القطاع مربح وأرباحه لا تستثمر في تحسين الخدمات بل توزع على مساهمين في الشركات.

## خامسا: ما أسباب هذا الوضع؟

هناك عوامل خارجية ساهمت في هذا الاستعمار الجديد ونذكر منها: دور المؤسسات المالية العالمية والتي تربط المديونية بفتح القطاعات الاجتماعية على الخصوصية واتفاقيات التبادل الحر والاتفاق العام للتجارة والخدمات الذي يجبر المغرب على فتح جميع قطاعات للاستثمار بما فيها القطاعات الحيوية.

ثم هناك عوامل داخلية ومن بينها: استبداد أقلية بالقرار السياسي والاقتصادي وتقاطع مصالح هاته الأقلية مع مصالح الشركات العالمية والرأسمال المحلي بدعم الرداءة في التدبير محليا وغياب دعم الكفاءات أحيانا من أجل ابتكار طرق تدبير وقبول تضامني لخدماتنا العمومية وعدم امتلاك استراتيجية فعالة في دفاع المجتمع ومختلف هيئاته (أحزاب، نقابات وجمعيات) عن الخدمة العمومية، مما يفرض حملات منظمة ومستمرة للنضال والمرافعة في هذا السياق.

## سادسا: المخر من مخطط جديد

بعد تقارير عن مدن محددة وشركات بعينها، خصص المجلس تقريرا فريدا عن التدبير المفوض وبعض اختلالاته، وهذا اعتراف ضمني بطرح مناهضي التدبير المفوض، ولكن من جانب آخر تعد هاته التقارير إعدادا للرأي العام لمرحلة جديدة يتم تجربتها بالرباط، حيث يتم تحميل الجماعات الاستثمارات والمخاطرة التجارية و يبقى دور الخواص هو استغلال المرفق العمومي. وهو مخطط جديد من خصوصية الأرباح وهو المعمول به اليوم في تدبير الاستثمارات العمومية الضخمة في مجال النقل بمدن الدار البيضاء والرباط. حيث تسيطر نفس الشركة الفرنسية على تدبير الطرامواي في العاصمة الإدارية والعاصمة الاقتصادية، مقابل عقد سخي وطويل الأمد. بينما تم تفويض النقل عبر الحافلات لشركة إسبانية-إنجليزية في أكبر المدن المغربية. حيث تدبر أنزا النقل العمومي بطنجة، الرباط، الدار البيضاء، مراكش وأكادير. مما يجعلها في وضع احتكاري حيث تتحكم في تنقل الملايين من المغاربة يوميا والمتواجدين في المدن الأساسية المحركة للاقتصاد. إنها ببساطة عودة الاستعمار من باب التدبير المفوض.



# خروقات ليدك : من يوقف النزيف ؟ و هل من بدائل ؟



• جواد مستقبل  
عضو جمعية "أطاك"

".. الماء هو مورد طبيعي، من دون ماء لا نستطيع أن نعش، وبالتالي المياه لا يمكن أن تخضع لمنطق رجال الأعمال، وإذا كانت كذلك فسوف يتم انتهاك حقوق الإنسان. يجب أن يكون الماء خدمة عمومية.. ليس من الممكن خصخصة الخدمات الأساسية. لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن للحكومات السابقة خوصصة الخدمات الأساسية، لا سيما المياه.."

من خطاب الرئيس  
البوليفي ايفو موراليس  
عند تنصيبه في عام 2006

البدائل الممكنة لتتحول من أحلام إلى واقع ملموس بينيه المواطنين والمواطنات بشكل يومي من أجل مغرب آخر ممكن أصبح اليوم ضروريا.

## خروقات ليدك من خلال تقرير المجلس الأعلى للحسابات

بعد الاختلالات و التجاوزات التي سجلها الافتتاح الذي قامت به لجنة الخبرة التي تم تشكيلها بداية سنة 2008 أي عشر سنوات بعد توقيع العقد، جاء التقرير السنوي للمجلس الأعلى للحسابات لسنة 2009 لتأكيد تلك الخروقات التي اقترفتها شركة ليدك بعد استفادتها في 28 أبريل 1997 من عقد للتدبير المفوض للخدمات المتعلقة بتوزيع الماء والكهرباء وتطهير السائل مدته 30 عاما، مرت منها إلى حد الآن ما يقارب 24 سنة. وتجدر الإشارة إلى أن هذا التفويت لم يشكل إلا عودة لسيطرة الشركات الفرنسية "المستعمر القديم/الجديد" على هذا القطاع منذ سنة 1914 وإلى غاية 1964 عن طريق شركة SMD "الشركة المغربية للماء والكهرباء" الفرنسية.

يتكون عقد التدبير المفوض من دفاتر التحملات بالإضافة إلى 14 ملحقا تمت مراجعته بواسطة عقد ملحق دخل حيز التنفيذ بتاريخ 20 ماي 2009.

يشمل تقرير المجلس الأعلى للحسابات 6 محاور هي: المشاريع، الأداء في المجال الاجتماعي، المقتضيات المالية، تسيير صندوق الأشغال، تتبع ومراقبة التدبير المفوض، نواقص تسيير المرحلة الانتقالية.

سنحاول التركيز هنا على 3 محاور الأولى الأساسية :

### الخروقات في إنجاز المشاريع والمجال الاجتماعي

وقف التقرير على تملص ليدك من التزاماتها في تنفيذ العديد من المشاريع بالإضافة إلى مجموعة من الخروقات التي صاحبت تنفيذ بعض المشاريع.

و من خلال العينة المختارة لسنة 2006، لم تنجز ليدك ما يعادل 250 مليون درهم من مشاريع البنى التحتية وأشغال تقوية الشبكة المبرمجة

موضوع التدبير المفوض في البيضاء وبالأخص ما يمكن أن نسميه فضيحة ليدك تلخص إلى حد بعيد مجموع المشاكل التي يعاني منها المواطن المغربي في علاقته بالحكام والنخبة السياسية والاقتصادية التي تسير هذه البلاد، بحيث يعتبر هذا الملف رمزا للفساد بكل أشكاله الإداري والمالي والسياسي، وكذلك رمزا لتواطؤ مكشوف لجزء كبير من هذه النخبة المتحكمة في السلطة وتقاطع مصالحها مع المصالح الاستعمارية الجديدة لفرنسا في المغرب وهو ما يفسر حرص هذه الأخيرة على التظليل وتشجيع النظام على مسلسل ديمقراطية الواجهة والديمقراطية بنظام التنقيط « Goutte à goutte »، حيث لا تردد الدبلوماسية الفرنسية في مدحه من خلال تصريحات متعددة وهو ما يبين إلى حد كبير أن المغرب شأنه في ذلك شأن مجموعة من الدول الإفريقية ما زال للأسف يشكل حديقته الخلفية.

سأحاول أن أتناول هذا الموضوع في محورين أساسيين : الأول حول الخروقات الكبيرة التي اقترفتها شركة ليدك التابعة للشركة الفرنسية المتعددة الاستيطان سوييز SUEZ وسأعتمد في ذلك على وثيقة رسمية وهي التقرير السنوي الأخير للمجلس الأعلى للحسابات لسنة 2009.

في المحور الثاني سنحاول التطرق للبدائل الممكنة، بدائل من خارج منطق السوق، لأن المشكل في اعتقادنا ليس فقط أن هناك أشخاصا فاسدين وأن الشركة قامت بالتحايل ولكن أصل المشكل هو تفويت القطاع للخواص وإخضاع خدمات أساسية لمنطق السوق ووضعه تحت رحمة شركات خاصة عالمية أو محلية لا يهمها إلا الربح أو بتعبير أدق أكبر قدر من الأرباح. البدائل التي سنتحدث عنها ستكون من خارج السوق وسنحاول أن نستعرض بعض النماذج من مدن تخلصت من "عقدة" التدبير المفوض واستطاعت أن تحصل على جودة عالية وتحسن كافة المؤشرات خاصة التقنية والاجتماعية منها.

لنختم بمقترحات عملية حول ما لعل هنا والآن من أجل بلورة هذه

# خروقات ليديك : من يوقف النزيف ؟ و هل من بدائل ؟

• جواد مستقبل، عضو جمعية " أطاك "

التعويضات ما بين سنوات 1997 و 2008 بما يقارب المليار درهم.

• مصاريف وتحملات المساعدة التقنية المباشر ومصارف المغتربين يتم فوترتها مباشرة بعد كل تدخل بطبيعة الحال ويحدد المساهمون بصفة أحادية مبلغها وحجمها وقد قدر التقرير هذه المصاريف بما يفوق 50 مليون درهم سنويا.

وتعتبر هذه التعويضات الغير قانونية تهريبا للأرباح لفائدة المساهمين وقد أكد التقرير أنها مكنتهم من استرجاع ما يعادل الرأسمال المستثمر في أقل من عشر سنوات.

وخلص التقرير إلى تجاوز المفوض له ليديك للأرباح المتعاقد عليها و قدر ارتفاع نسبة المردودية الداخلية -Taux de rentabilite interne إلى 18.5 في المائة عوض 15 في المائة المنصوص عليها في العقد والتي تشمل تحمل ليديك للمخاطر.

إن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة أمام هول هذه الخروقات هو أين كانت سلطات المراقبة من متخمين داخل مجلس المدينة وممثلي وزارة الداخلية وما الذي قاموا به من أجل إيقاف هذا النزيف ولماذا لم يتم تحريك متابعات قضائية بتبدير المال العام والربح الغير مشروع ضد هذه الشركة بعد صدور هذا التقرير. وقد ردت شركة ليديك على هذا التقرير بأن معظم التجاوزات التي وردت فيه والتي لا تنفيها كلها بالمناسبة تمت معالجتها في مراجعة 2009 وهو ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن تلك المراجعة استفادت منها أكثر ليديك بحيث تعتبرها اليوم شهادة لتبرئة ذمتها في هذه الجرائم الاقتصادية التي اقترفتها بتواطؤ مع سلطات المراقبة.

و من المثير للانتباه العجرفة وعدم المبالاة التي تتعامل بها شركة ليديك ومسؤوليها الفرنسيين مع سلطات المراقبة والمقابل نلاحظ انبطاح وخون معظم المسؤولين عن المراقبة وصمتهم بل وحتى الدفاع عنها في بعض الأحيان. فشركة ليديك لا تولي أي احترام لهذه المؤسسات وممثليها ويظهر ذلك جليا في مجموعة من المناسبات. فبالإضافة إلى القرارات التي تهم التسيير المالي للقطاع والتي اتخذتها شركة ليديك بشكل أحادي بما فيها قرار دخول البورصة، لم يكلف مدير الشركة نفسه عناء المثول أمام

أعضاء المجلس بعد الأحداث المأساوية التي عرفتها المدينة شتاء العام الماضي والتي تتحمل فيها شركته قسما كبيرا من المسؤولية.

و تجد هذه العجرفة والتعالي تفسيرهما في اعتقادنا في مستويين:

• مستوى موضوعي مرتبط بنوعية المراقبين

وتورط معظمهم في عمليات فساد مباشرة أو غير مباشرة مع الشركة بما فيها شبهات تهويل حملات انتخابية لبعض المسؤولين الجماعيين مما يعطي لمديريها الانطباع بإمكانية شراء كل الذمم والتصرف كما يشاؤون في الممتلكات العامة.

• مستوى مرتبط بما يمكن تسميته بعقدة المستعمر -Le com-plexé du colonisé» المستبطنة لدى الطرفين بما هي إحساس دفن لدى المستعمر والمستعمر بسمو هذا الأخير "الطبيعي" بالمقارنة مع سكان مستعمراته القديمة/الجديدة.

المشاريع المنجزة على قلتها هو "غياب وثائق كدراسات الجدوى والصفقات ومحاضر التسلم". كما أن التقرير سجل تحايل ليديك وعدم احترامها للمعايير المحاسبية من خلال تضخيم الانجازات المادية في البيانات المقدمة بنسبة تزيد عن 78 في المائة بالنسبة لنفس العينة المختارة لسنة 2006. دون الحديث عن إتلاف مجموعة من المعطيات عن السنوات الأولى وهو ما كان قد وقف عنده تقرير الخبرة في 2008.

و فيما يخص الربط الاجتماعي لم تحترم ليديك التزاماتها التعاقدية بحيث عوض 45 ألف ربط اجتماعي المتفق عليها خلال خمس سنوات لم تتجاوز النسبة 9 آلاف خلال نفس المدة وهو ما يعني حرمان ما يقارب 100 ألف من البيضاء من حقهم في الربط بشبكة الماء الصالح للشرب منذ مجيء ليديك.

و لم ينفع في هذا المجال العقد الإطار الذي وقعته شركة ليديك في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية حيث أن نسبة الإنجاز لم تتعدى 6 في المائة حتى تاريخ مهمة المراقبة سنة 2009 من الأهداف المسطرة والتي كان من المفروض بلوغها قبل متم نفس السنة !!

## في الخروقات المالية

قامت شركة ليديك في خرق واضح لمقتضيات عقد التدبير المفوض بتوزيع أرباح على المساهمين منذ سنة 2003 في حين أن العقد الذي وقعت ووافقت عليه ينص على عدم توزيع أية أرباح قبل سنة 2006. وما يدعوا للاستغراب بالإضافة إلى غياب أي رد فعل حقيقي للسلطات والمختصين المكلفين بالمراقبة طيلة مدة صرف هذه الأرباح هو تواجد فرع صندوق الإيداع و التدبير وهو مؤسسة عمومية من بين المساهمين في شركة ليديك بنسبة 19 في المائة واستفادته كذلك من الأرباح قبل الأوان إلى جانب الشركة المتعددة الاستيطان سوبيز التي حصلت بطبيعة الحال على حصة الأسد.

ويلخص الجدول الآتي مجموع الأرباح الموزعة إلى حدود سنة 2008 مع مقارنة مع ما كان مرتقبا في عقد التدبير الذي تم توقيعه سنة 1997:

| السنة   | مبلغ الأرباح المحدد توزيعه بموجب العقد (مليون درهم) | الأرباح الموزعة فعليا (مليون درهم) | الفارق |
|---------|-----------------------------------------------------|------------------------------------|--------|
| 2003    | 0                                                   | 100                                | -100   |
| 2004    | 0                                                   | 100                                | -100   |
| 2005    | 0                                                   | 180                                | -180   |
| 2006    | 28                                                  | 180                                | -152   |
| 2007    | 227                                                 | 100                                | 127    |
| المجموع | 556                                                 | 760                                | -204   |

ومن بين الخروقات المالية التي سجلها التقرير أيضا نجد كذلك ما يمكن تسميته ب ليديك كيت LYDEC GATE حيث أن المفوض له شركة ليديك لجأت وفي خرق سافر لمقتضيات العقد وبصفة أحادية إلى إبرام اتفاقية للمساعدة التقنية مع المساهمين المؤسسين لشركة ليديك وصرف تعويضات لفائدتهم تم تحديدها في :

• تعويض جزائي مرتبط برقم المعاملات على ما أسمته الشركة المساعدة التقنية المستمرة وقد قدر التقرير مبلغ هذه

لتلك السنة. أي ما يعادل 2.5 مليار درهم خلال عشر سنوات. و قد تبين حسب نفس التقرير أن ما يفوق 30 مشروعا لم يتم إنجازها بما فيها مشروع مكافحة التلوث بمبلغ يفوق المليار (قيمة 1996). وقد كان لعدم إنجاز هذه المشاريع وقع سيئ على جودة الخدمات وتحسين مردودية توزيع الماء التي لم تتجاوز 74 في المائة في حين أن ليديك التزمت في عقد التدبير المفوض ب 77 في المائة كهدف أدنى. كما تم تسجيل عدة حالات لأحياء سكنية يتم تزويدها بماء مشبع بالصدأ نظرا لعدم تجديد قنوات الشبكة القديمة والمصنوعة من الفولاذ الرمادي والتي بدأ استعمالها منذ 1930 ولا زالت تستعمل إلى اليوم وقدر طولها ب 672 كلم من القنوات وهو ما يشكل خطرا على الصحة العمومية للمواطنين.

في حين أن مشاريع أخرى تعرف تأخرا كبيرا ومنها من لا تزال منذ أكثر من عشر سنوات في طور الدراسات ومن بينها مشاريع معالجة المياه العادمة ومعالجة التلوث، بالإضافة إلى مشاريع لبنى تحتية أساسية لمكافحة الفيضانات (أحواض العاصفة Bassins d'orage، المحطات المطرية ...) وخاصة مشروع "قناة الصرف الكبرى الغربية لبوسكورة Super Collecteur Ouet de Bousou-oura ...) والذي من المفترض أن يساهم في تخفيف وقع فياضانات واد بوسكورة على مدينة البيضاء. و للإشارة فقد خلف فيضان هذا الواد في نونبر من العام الماضي خسائر كبيرة وصلت إلى حد قطع كل منافذ المدينة وإلحاق العديد من الأضرار بممتلكات المواطنين... وكادت النتيجة أن تكون أسوأ بكثير لولا تواجد مؤسسات كالمدرسة الحسنية للأشغال العمومية EHTP وإدارة المجمع الشريف للفوسفاط OCP ومختبر LPEE التي توجد في مدخل المدينة على محور واد بوسكورة وتتوفر على مساحات واسعة ومنخفضة مما جعلها تلعب عمليا دور "أحواض عاصفة" لكن تلك الفيضانات كلفت بالمقابل هذه المؤسسات العمومية خسائر فادحة خاصة من خلال إتلاف العديد من المعطيات والحواسيب والمعدات الالكترونية..

ويذكر أن شركة ليديك تعهدت بإنجاز هذا المشروع منذ توقيعه على العقد في 1997

بقيمة مليار سنتيم، اليوم تقدر قيمة المشروع ب 60 مليار سنتيم بعد ما أعادت ليديك دراسته لعدة مرات !!

وبالتالي فإن تكلفة التأخير في إنجاز المشاريع المبرمجة والمتعاقد حولها تكون كبيرة جدا ليس فقط

نظرا لارتفاع أسعار مواد البناء والخدمات أي تكلفة الإنجاز تكون مرتفعة، ولكن لأن "تكلفة عدم الإنجاز" والأضرار الناجمة عنها بالنسبة للمواطنين وسلامتهم الصحية وممتلكاتهم وتعطيل الحركة الاقتصادية يصعب تقديرها وهو ما عايشه البيضاءيون في شتاء العام الماضي عندما توقفت الحياة في المدينة الاقتصادية بشكل شبه كلي ولازلا نعيشه.

وإذ كان يحلو للبعض إلصاق انعدام الشفافية بالتسيير العمومي فمن بين ما سجله تقرير المجلس الأعلى للحسابات فيما يخص



# خروقات ليديك : من يوقف النزيف ؟ و هل من بدائل ؟

• جواد مستقبل، عضو جمعية " أطاق "

الإرادة الحقيقية وتعبئة كل الطاقات من أجل إعادة تملك مصرنا وذلك من خلال:

- مواصلة النضال وتعبئة المواطنين للضغط من أجل محاسبة المفسدين والمتواطئين وطرد شركة ليديك ومطالبتها بتعويض البيضاويين عن الخسائر الناجمة عن سوء تسييرها وتهريبها للأموال سواء بشكل مباشر (توزيع الأرباح) أو بشكل غير مباشر (تحويلات مقنعة عن خدمات و نقل خبرة باسم الشركة الأم سوييز (SUEZ).

- إعادة هيكلة القطاع بتسيير عمومي تحت رقابة شعبية من خلال مجالس تسيير تضم تمثيلية العاملين والمستعملين والاستفادة من التجارب الناجحة في العالم السالفة الذكر.

- تشكيل جبهة وطنية واسعة من أجل استرجاع التدبير العمومي لهذه القطاعات وطرد الشركات المتعددة الاستيطان والنضال على المستوى:

- التشريعي والقانوني: دسترة الحق في الماء وضرورة تسيير موارده وتوزيعه من طرف القطاع العمومي تحت رقابة شعبية.

- العلمي والأكاديمي: البحث الجاد والنزاهة حول بدائل تقديمية مفعها الاجتماعي مما يخدم المستعملين والمستخدمين والايكولوجي مما يحافظ على ثرواتنا المائية ومحيطنا البيئي مع



الاستفادة من التجارب العالمية.

- النقابي: المطالبة بالمشاركة الفعلية للمستخدمين في تسيير القطاعات العمومية والنضال من أجل تحسين أوضاعهم المعنوية والمادية من أجل أداء خدمة عمومية ذات جودة لصالح المواطنين.

- النضالي والميداني : من خلال تعبئة الشارع و الوقوف إلى جانب كافة النضالات التي يخوضها المواطنون من أجل حقهم في خدمات المياه من خلال دعمهم المباشر ورفع التعطيم الإعلامي الذي غالبا ما يحيط بمعاركهم.

**ملحوظة: سيتم نشر هوامش المقالة في النسخة الإلكترونية**  
[www.attari.net](http://www.attari.net)

الخاص، كما هو الشأن بالنسبة المغرب.. من نواحي عديدة، ويعتبر المغرب "بطلا" في منطقة الشرق الأوسط وبلدان شمال إفريقيا... كما أنه استطاع اجتذاب القطاع الخاص لتوفير التمويل والخبرة الضروريين لتدبير هذا القطاع" ومن بين هذه المسلمات التي يتم الترويج لها من طرف دعاة الليبرالية الاقتصادية والمحافظين الجدد: سمو التدبير الخاص وفعاليته بالمقارنة مع التدبير العمومي، وتسويقهم لإطلاقية تفشي الرشوة وانعدام الشفافية في التسيير العمومي.

لدى من الضروري دحض هذه الأكاذيب وخوض هذا الصراع المفاهيمي والإيديولوجي الذي قاده الليبراليون لمدة عقود وخلف مجموعة من الأحكام المسبقة والمسلمات حتى داخل الأوساط المناضلة.

## في البدائل : تسيير عمومي تحت رقابة شعبية

إن حصيلة ما يقارب 24 سنة من التدبير المفوض بمدينة الدار البيضاء من طرف شركة ليديك تعد كارثية على كافة المستويات : في المجال الاجتماعي من خلال حرمان العديد من المواطنين من حقهم في الربط الاجتماعي والرفع الهستيري في فواتير الماء والكهرباء سواء بشكل مباشر أو عبر تقليص الشطر الاجتماعي وهو ما أدى إلى ضرب القدرة الشرائية الضعيفة أصلا لسكان المدينة.

- في المجال التقني و جودة الخدمات: ما عدى عمليات التجميل الخارجية التي عرفتها بعض المقررات الإدارية وخاصة وكالات الأداء وتنظيم عمليات الأداء لم تكلف ليديك نقسها عناء الاستثمار من أجل تحسين جودة خدماتها كما أوضحنا ذلك سابقا.

- في المجال المالي بتفريب مبالغ هامة من الأموال بالعملة الصعبة سواء كأرباح مباشرة أو أخرى مقنعة على شكل مصاريف للشركة الأم.

- في مجال خلق مناصب الشغل تملصت ليديك من التزاماتها اتجاه حوالي 1000 من العمال العرضيين السابقين والتي التزمت بتسليمهم كما تؤكد على ذلك رسالة الوزير الأول عبد الرحمان اليوسفي الموجهة لوزير الداخلية والتي يطالب فيها بإدماجهم.

- في المجال الإيكولوجي تبينت المردودية الضعيفة لشبكة الماء،

بالتدبير الذي تتعرض له مواردنا المائية الضعيفة أصلا والمرشحة للتراجع بفعل التغيرات المناخية وغياب أي مجهود حقيقي من أجل تدارك الأمر بالإضافة إلى مواصلة قذف الجزء الأكبر من المياه العادمة في البحر بدون أية معالجة نظرا لعدم إنشاء محطات المعالجة التي تمت برمجتها منذ سنوات.

إن تجربتنا في مدينة البيضاء مع شركة ليديك والتجاوزات والتلاعبات التي عرفها تدبير هذا القطاع بعد تفويته يسقط المسلمات الليبرالية التي تنبأها مسئولونا وأبدعوا في تنفيذها حتى أصبح المغرب مثالا تطلب المؤسسات المالية العالمية من الدول الأخرى اتباعه.

و يمكننا أن نلاحظ ذلك بشكل جلي في تقرير البنك الدولي لمارس 2008 حول منطقة MENA حيث يؤكد التقرير أن :

## ما العمل هنا و الآن ؟

إن التجارب السابقة تهرن بشكل ملموس أنه بمقدورنا نحن كذلك التخلص من هذه الشركات التي تمتص خيراتنا إذا توفرت

"بلدان كثيرة شرعت أيضا في تدبير مواردها المائية بشكل أكثر عقلانية، من خلال إجراء اللامركزية على مستوى اتخاذ القرار أو حتى من خلال تطوير شركات بين القطاع العمومي والقطاع

# المنتخبون والتدبير المفوض

## تواطؤ أم عبث



• صلاح الحسني - الكاتب المحلي للحزب الاشتراكي الموحد، ابن مسيك مولاي رشيد.

المجالس المنتخبة في المدن الكبرى برلمانين أيضا، لكنه لم يسجل إلى اليوم أي تحرك لطرف منهم لتصحيح الوضع سواء بمبادرات تشريعية أو عبر مساءلة الحكومة وخاصة وزارة الداخلية.

### عقود التدبير المفوض:

معظم عقود التدبير المفوض التي تم توقيعها نهاية التسعينات لم تكن الجماعات الترابية هي المفاوض الرئيسي فيها، بل كانت مرتبطة أكثر بعلاقات المغرب الدولية وتدبير هواجس لا علاقة لها بالخدمات العمومية بالمدن.. ففي حالة لديك بالدار البيضاء مثلا، سبق لرئيس الحكومة السابق عبد الإله بن كيران التصريح بأن ملفها أكبر منه، كما أن معظم منتخبي الدار البيضاء لم يتوفروا على نسخ من عقود لديك كما صرحوا بذلك أكثر من مرة، ولم يصرح عمدة المدينة بتوزيع نسخة من العقد سوى في الدورة الاستثنائية الأخيرة لمجلس المدينة، أي بعد 24 سنة من توقيع عقد لديك..

### الالتزامات المالية والاستثمارات:

رغم أن عقود التدبير المفوض تشير بوضوح إلى التزامات مالية للجماعات والشركات، لعل أبرزها تحويل جزء من الأرباح إلى الاستثمار في البنية التحتية، إلا أن معظم هذه الالتزامات لا تعرف طريقها إلى التطبيق فمن جهة، يتهاون أو يتواطؤ رؤساء الجماعات في القيام بالاستثمارات المبرمة في العقد، مما يوفر ذريعة للشركات المفوض لها لعدم الوفاء بالتزاماتها المالية والاستثمارية كما فعلت شركة لديك مؤخرا حيث صرحت علنا بأنها لم تقم



أسيرة له، حيث لم يبق لمجالسها ومنتخبها أي سلطة حقيقية في مواجهة شركات تقوم بكل ما تشاء دون حسيب أو رقيب وفي بعض الأحيان بهبات واستثمارات مصدرها أموال الشعب المغربي. الحكم بالفشل على نمط التدبير المفوض ليس مرتبطا فقط بفشله في تحقيق وعوده وأهدافه، وليس مرتبطا فقط بانتهاء مستوى الخدمات العمومية والخصائص الكبير في التجهيزات والبنية التحتية التي وعد بتعزيزها، بل أيضا هو حكم مستتب من تقارير رسمية كشفت الكثير من عيوبه وأبرزت أسباب فشله، لعل أبرزها تقرير المجلس الأعلى للحسابات لسنة 2014، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي لسنة 2015، وأيضا دراسات كتلك المنجزة من طرف فيدرالية اليسار الديمقراطي بكل من الدار البيضاء (2019) والقنيطرة

### الإطار القانوني للتدبير المفوض:

إذ رغم توقيع عقود مع شركات خاصة بدء من سنة 1997 بالدار البيضاء و1998 بالرباط وسلا فإن الإطار القانوني لهذه العقود لم يصدر سوى سنة 2006 عبر القانون 54.05، كما أن مراسيمه التطبيقية لم تصدر بالكامل إلى اليوم، كما أشار إلى ذلك بوضوح تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي ! هذا مع الإشارة إلى أن معظم مسيري وأعضاء

تحت وعود وشعارات تحديث تدبير المرافق العامة والاستفادة من قدرات القطاع الخاص في الضعالية والابتكار انخرط المغرب نهاية التسعينات في نمط جديد/ قديم من التدبير على مستوى الجماعات الترابية، خاصة بالمدن الكبرى، يهدف إلى الاستعانة بشركات خاصة من أجل تدبير مرافق أو خدمات عمومية، وهو ما اصطلح عليه التدبير المفوض. فبعد مرور أكثر من 24 سنة على توقيع أول عقد تدبير مفوض في المغرب بمدينة الدار البيضاء، صار جليا أن هذا النمط قد أثبت فشله في كل الملفات التي اعتمد فيها، بدء من توزيع الماء والكهرباء، مروراً إلى النقل العمومي والنظافة و مواقف السيارات وغيرها... إذ أنه مع مرور الوقت تبخرت وعود النجاعة والفاعلية والابتكار ووجد المواطن نفسه رهينة لهذا النمط، بل إن مدنا كاملة صارت



# المنتخبون والتدبير المفوض

## تواطؤ أم عبث



• صلاح الحسني - الكاتب المحلي للحزب الاشتراكي الموحد، ابن مسيك مولاي رشيد.

بينها : التشغيل (مع استغلاله انتخابيا)، علاقات تجارية مع شركات ومكاتب دراسات مملوكة لهذا النوع من المنتخبين، بل حتى استغلال ممتلكات وتجهيزات هذه الشركات كما وقع مؤخرا بحي مولاي رشيد بالدار البيضاء، حيث تم ضبط استعمال سيارة تابعة لشركة مفوض لها في مجال النظافة من طرف أسرة أحد المسؤولين المنتخبين في أعمال إجرامية. كل هذه العوامل وغيرها تشير بوضوح إلى أن المنتخبين وطيلة عشرين سنة امتنعوا عن لعب الدور الذي انتخبوا من أجله في الدفاع عن مصالح الساكنة في مجالات التدبير المفوض، رغم أنها مجالات حيوية ومرتبطة بشكل مباشر بمستوى وجودة معيشة المواطنين كالنظافة وتوزيع



الماء والكهرباء والتطهير. هذا الامتناع لم يكن بالمرة حتميا نظرا لما يوفره القانون، على عله، من صلاحيات وآليات، تمكن المنتخبين من محاسبة ومعاينة الشركات المفوض لها. زد على ذلك أن بعض الأحزاب، كحزب العدالة والتنمية، يتوفر على أكبر أغليات في تاريخ المغرب، سواء في البرلمان، أو في معظم المدن الكبرى كالدار البيضاء وفاس، مما ضيع فرصة تاريخية لتوفير أحسن مستوى ممكن من الخدمات للمواطنين، الأكثر من ذلك، ليس هناك فقط فرصة ضائعة وحسب، بل إن بعض الاختيارات تهدد بخنق ميزانية المدن على المدى البعيد، كالدار البيضاء التي تواجه دعوة من شركة مدينة بيس تهدد بتخريم المدينة المنكوبة 4 مليارات درهم، لفائدة شركة لم تحترم في الأساس جل تعاققاتها مع المدينة تحت صمت وتواطؤ غريب من المجالس المتعاقبة..

قاربة 800 مليون درهم من الدعم العمومي للاستثمار في الحافلات وفي البنيات، كما أن لجنة تتبع الشركة التابعة لمجلس المدينة لم تنعقد لـ 8 سنوات كاملة من 2008 إلى 2016، حتى أن اجتماعها لسنة 2016 جاء تحت ضغط شعبي عارم بعد المحاولة الشهيرة لاغتصاب قاصر داخل الحافلة... نفس الشيء كذلك بالنسبة لبيدك التي لم تجتمع لجنة تتبعها لسنوات ولم تجتمع سوى مؤخرا بعد فضيحة الفيزانات الأخيرة في المدينة

### الفساد و تضارب المصالح:

جزء من السلوك الغريب لمعظم المنتخبين لا يفسر فقط بغياب الإرادة السياسية أو بضعف أحزابهم في مواجهة السلطة، بل هناك أيضا منتخبون ارتبطوا بمصالح لدى هذه الشركات، من

### التتبع من طرف المنتخبين:

يشير القانون المتعلق بالتدبير المفوض إلى تشكيل لجان للتتبع مكونة من أعضاء السلطة المفوضة (المجالس المحلية)، وذلك من أجل مراقبة وضبط عمل الشركات المفوض لها، مع إتاحة عدة آليات للمنتخبين لمحاسبة ومعاينة الشركات المفوضة في حالة إخلالها بالعقود، لكن رغم ذلك، ولأسباب مجهولة، يتغاضى معظم المنتخبين عن ممارسة هذه الصلاحية المهمة. كمثال على ذلك، خلال 15 سنة من تديرها للنقل عبر الحافلات، لم تشغل شركة مدينة بيس في أقصى حالة أكثر من 70% من الخطوط والحافلات المنصوص عليها في العقد، كما أن 89 في المائة من أسطولها كان مشكلا من حافلات مستعملة خلافا للعقد الموقع مع المدينة، ومع ذلك، استفادت من

باستثمارات معينة في البنية التحتية نتيجة عدم احترام الجماعة لالتزامها المالي الموقع معها، رغم أن الشركة تجني أرباحا مهمة من جيوب المواطنين البيضاءويين. ومن جهة أخرى، تنجح الشركات في فرض أو تحيين الشروط الاستثمارية والمالية. وخير دليل هو ما قامت به شركة ألزا للنقل حيث تمكنت نهاية 2020 من فرض شروط مالية وضريبية جديدة على مجلس مدينة الدار البيضاء بعد أقل من سنة من توقيع عقدها الأول أكتوبر سنة 2019. وحتى كتابة هذه السطور، لم يصرح مجلس المدينة إلى اليوم عن الشروط والامتيازات الجديدة التي منحها لشركة ألزا للنقل خلافا لتوقيع العقد الأولي والذي تم الإعلان عن تفاصيله الكاملة مما يطرح العديد من علامات الاستفهام..

# التدبير المفوض

## وضعية احتكارية وخروقات تعاقدية

• البكاي  
محمدي

دكتور باحث في  
الاقتصاد وأستاذ  
بجامعة محمد  
الأول بوجدة.



3. المكتب الوطني لتوزيع الماء الصالح للشرب والكهرباء ONEE.

تجدر الإشارة أنه في استغلالها لقطاعات التوزيع، تستفيد شركات التدبير المفوض من استثمارات سابقة وقائمة (تتسلم إمكانيات هائلة). بنية وقاعدة مادية (رأسمال أولي) مجانية من إنجاز الوكالات والجماعات المحلية (المالية العمومية)، التي تقدر قيمتها بملايير الدراهم (بنيات تحتية للشبكات، بنايات...) بعملية حسابية بسيطة تظهر لنا الادعاءات حول جلب الاستثمارات. مثلا، إذا أخذنا حجم الاستثمارات بالنسبة لشركة ريزال 13.7 مليون درهم (والتي لا تشارك الشركة بأموالها الخاصة إلا في حدود 21%)، وإن افترضنا أن ساكنة الرباط - سلا تقدر بمليونين تقريبا، فيعد إذن معدل الاستثمار/الفرد لمدة 30 سنة هو 6,85 درهم (0,23 درهم سنويا للفرد).

هكذا عبر ثلاث مدن كبرى (مدينة الدار البيضاء والرباط وطنجة - تطوان) تستحوذ ثلاث شركات - أو قل شركتين - على أكثر من 55% من توزيع الماء الصالح للشرب و 62 % بالنسبة للتطهير.

### - مؤشرات و مقارنات على الهامش

ففي الوقت الذي أنجز فيه المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب خلال الفترة 2006-2012 استثمارات بمبلغ 33.171 مليون درهم، (ص.58)، تقدر الاستثمارات التعاقدية لشركات التدبير المفوض مجتمعة خلال كامل مدة العقود بـ 47.374 مليون درهم.

إذن أنجز المكتب الوطني في 6 سنوات ما ستحققه الشركات في 30 سنة تقريبا من التدبير المفوض، وتقريبا 3 أضعاف Triple ما ستحققه ريزال طيلة مدة العقد المبرم. علما أنه أقل الزبناء ويتدخل في الأغلب خارج المداير الحضرية بمجالات ترابية واسعة (612 مركزا مقابل 46 مركزا. أي أكثر من 83% من المجال الترابي من تغطية المؤسسات ذات الطابع العمومي مقابل 17% للشركات).

### تدبير سيء ووابل من الخروقات التعاقدية

ميدانيا، أظهرت تجربة التدبير المفوض في مجال التوزيع عن اختلالات ونواقص فظيعة سواء تعلق الأمر بالاستثمارات

### شركات احتكارية لخدمات عمومية

لقد عرف المغرب عملية التدبير المفوض منذ عقود طويلة، حيث يضرب بجذوره في زمن الاستعمار المباشر عبر ماسمي بعقود الامتياز (اتفاقية الجزيرة الخضراء 1906...). واستمرت مع نهاية التسعينات ابتداء بأول تجربة بالدار البيضاء ليدك Lydec سنة 1997، متميزة بحجم المرافق المفوضة والمجال الترابي والديمقراطي المرتبط بتدخلها وكذلك المدة الزمنية للتدبير المفوض (30 سنة).

منذ هاته التجربة، أخذت عملية التدبير المفوض تنتشر في العديد من المدن وتكتسح العديد من القطاعات، بل أصبح التدبير المفوض الخيار الأول للدولة والمؤسسات العمومية والجماعات المحلية. هكذا، انخرطت الجماعات المحلية (بلديات ومجموعات حضرية) في تفويض تسيير المرافق العمومية وكان أضخمها بعد الدار البيضاء، الرباط عقد Redal التابعة لسويز Suez وطنجة-تطوان (Amendis) التابعة لفيوليا Veolia.

انسجما مع إستراتيجيتهم، أصبحت الشركتين سويز Suez وفيوليا Veolia، تتفاسمان أعظم القطاعات (ميدان توزيع الماء والكهرباء والتطهير، قطاعات منطقيا لا تقبل متدخلين كثر (سمات ما يسمى بالاحتكار الطبيعي). قطاعات حيوية ضرورية للعيش الكريم والحياة المستقرة، مدرة للربح الكبير (أي أسواق الاستهلاك - الربح الواسع وسوق - طلب كل الناس)؛ محتكرة أكبر المدن المغربية (ذات الاستقطاب الديمغرافي الكبير والمستدام) بخاصية ساحلية (الدار البيضاء، الرباط وطنجة-تطوان) وعقود ترهن هاته الأقطاب عشرات السنين.

استنادا لتقرير المجلس الأعلى للحسابات لـ 2014 وصل، خلال سنة 2012، عدد عقود التدبير المفوض 186 عقدا أهم قطاعات منها النقل العمومي، جمع النفايات، تدبير المطارح العمومية، مراكز لإنتاج الكهرباء (و تناسى مجالات التهئة وعقود المناولة التي لا تعد ولا تحصى).

وبطبيعة الوضع الاحتكاري تتحكم شركات التدبير بمصر مؤسسات وأقطاب حضرية وترهن مواطنين (Pris en otage) لسنين. ليبقى السؤال بكل سذاجته : ماذا بقي أو تبقى لجماعات فوضت هكذا شؤونها الأساسية وما الجدوى من برامج أحزابها ومخططات التنمية المحلية ؟؟؟

ففي مجال الكهرباء، الماء والتطهير السائل تتدخل ثلاث أماط من التدبير:

1. أربع شركات مفوض إليها التوزيع في الحقيقة، تمتلكها شركتين أساسيتين Veolia و Suez؛
2. اثنا عشرة وكالة مستقلة (سبع وكالات لتوزيع الماء والكهرباء و التطهير) وخمس وكالات لتوزيع الماء الصالح للشرب و التطهير السائل.

إن الخباز الذي يصنع  
الخبز و يجهد نفسه في  
تحضيره لنا ليس رعاية  
منه لتأكله بل ليبيعه لنا،  
هو يبحث على مصلحته  
الخاصة وفقط.

• آدام سميث

تعتبر الجماعات الترابية ركيزة أساسية في التدبير اللامركزي وفي إدارة المصالح والخدمات العمومية المحلية، باعتقاد التدبير الحر كحرية عامة وحق أساسي، يهدف إلى ضمان استقلاليتها وحرية تصرفها وتدخلها من أجل الصالح العام.

فالتدبير المفوض يؤطره القانون 05-54 المؤرخ بتاريخ 14 فبراير 2006، باللبجوء إلى شركات القطاع الخاص لتدبير مرافق حيوية كتوزيع الماء والكهرباء والتطهير.

وهذا النموذج من التدبير المفوض طرح و لازال العديد من الإشكاليات: • انزياح وانزلاق المرفق العام من عقاله العمومي لمجال التدبير المخصوص .

• سيادة منطق القطاع الخاص، السوق والخصوصية (الربح مقابل الخدمة العمومية) يعرض المرافق العمومية للتمييز بين المواطنين - المرتفقين وضرب مبادئ المصلحة العامة.

• تحويل احتكارات عمومية طبيعية وقانونية (Monopole légal et naturel) (شريعنها مبدأ التدخل لخدمة الصالح العام) لخواص هاجسهم الربح والمردودية القصوى. • التحول من مرفق عمومي وخدمة عمومية منوطة بالقطاع العام إلى خدمة خاضعة لمنطق الشركة وعوائد مردودية الرأسمال المستثمر.





# التدبير المفوض

## ومذعية احتكارية وخروقات تعاقدية

• البكاي  
محمدي

دكتور باحث في  
الاقتصاد وأستاذ  
بجامعة محمد  
الأول بوجدة.



وفيما يدعي المدافعون عن كون التدبير المفوض هي الصيغة المثلى التي تبنتها جل وأعظم الدول. نورد أسفله (أنظر الجدول) ت جارب دول رأسمالية متقدمة :

إن كانت تظهر  
فرنسا و المملكة  
المتحدة  
متزعمي خصوصية  
هذه القطاعات،  
إلا أنه في السنين  
الأخيرة، عرفت  
هذه الدول تحولا  
جذريا و ذلك

باسترجاع هذه المرافق إلى  
حظيرة الجماعات المحلية. و قد  
تم رصد 180 حالة استرجاع  
لحظيرة التدبير العمومي ما  
بين 2000 و 2014 أغلبها همت  
Suez و Veolia.

| الدول                      | تسيير القطاع العام | قطاع خاص (التدبير المفوض) |
|----------------------------|--------------------|---------------------------|
| ألمانيا                    | 96%                | 4%                        |
| فرنسا                      | 20%                | 80%                       |
| المملكة المتحدة            | 12%                | 88% (100% en Angleterre)  |
| هولندا                     | 100%               | 0%                        |
| الولايات المتحدة الأمريكية | 85%                | 15%                       |

المصدر : [www.bipec.fr](http://www.bipec.fr) معطيات سنة 2001

| الماء الصالح للشرب |              |                |
|--------------------|--------------|----------------|
| القطاع العام       | القطاع الخاص | القطاع المشترك |
| 55 %               | 6 %          | 39 %           |
| 100 %              | -            | -              |
| 48 %               | 36 %         | 16 %           |
| 100 %              | -            | -              |
| 80 %               | 10 %         | 10 %           |
| 95 %               | 5 %          | -              |
| 11 %               | 89 %         | -              |
| 100 %              | -            | -              |
| 99 %               | 1 %          | -              |
| 27 %               | 72 %         | 1 %            |

المصدر جمعية أورو : [www.eureau.org](http://www.eureau.org) معطيات سنة 2008

### خاتمة

في الأخير، يجب أن نعلم أن رفض هاته  
الممارسات الاحتكارية الفاسدة للتدبير  
المفوض هم العديد من الدول التي  
اعتمدت هذا الشكل، وتعتبر أمريكا  
اللاتينية نموذجا حيا للاستفادة منه في

التدبير الجماعي لهاته المرافق.

كما أنه تم تسجيل أن التقارير الصادرة عن مجلس الحسابات ومجلس المنافسة  
بفرنسا والتي تتهم هاتين الشركتين (فيوليا و سوز) وقفت على ارتكاب خروقات  
كثيرة وسلوكات غير قانونية وغير شريفة من طرف الشركتين. فقد سجل المجلسان  
أنهما تمارسان الاحتكار وتتقاسمان وتوزعان العقود فيما بينهما، في العديد من المدن  
الفرنسية ودخل نفس المدن، عبر تحالفات ضمنية فيما بينهما لمنع تدخل فاعلين  
آخرين...

وإذا كانت طريقة التدبير المفوض قد أثارت العديد من الانتقادات، فإن آلية شركات  
التنمية المحلية قد دخلت حيز التنفيذ  
كبدل للتدبير المفوض لإنجاز  
المشاريع والمخططات الترابية والمرافق  
الجماعية.

ونظرا لحيز هذا المقال، الذي يحول  
دون الخوض في التجربة الناشئة  
لشركات التنمية المحلية، السؤال الذي  
سيتركز: لماذا لا تعمل الجماعات  
الترابية على الاستفادة من تجاربها  
أثبت نجاحها واستطاعت بتجاربها  
(الإيجابية أو السلبية) المتنوعة من  
الإعتماد على طاقاتها باستقلالية  
إدارة مرافق حيوية هي من صلب  
مسؤولياتها رغم الافلاسات الذي  
يؤكد الاعتماد على الخواص.

المنجزة، الأهداف المحددة، التعريف المطبقة... لكن الأفطع في ذلك، تهريب الأموال،  
التهرب الضريبي، التلاعب بالحسابات والصناديق... وللوقوف على هذه الاختلالات  
نستند على إفادات تقرير المجلس الأعلى لسنة  
2009 و 2014 وبعض معطيات البحث التي تؤثر  
على :

- تستغل شركات التدبير المفوض 46 مركزا، ريزال  
لوحدها 13 مركز (ليديك 11 وأمانديس طنجة 8  
وأمانديس تطوان 14).

- أما المكتب الوطني للماء والكهرباء فيتولى  
تدبير 612 مركزا.

بينما يغطي هذا الأخير 30% من الجماعات  
القروية، الوكالات الجماعية 68% تقريبا بينما لا  
تغطي شركات التدبير المفوض سوى 2%.

- يقدمان المكتب الوطني و الوكالات خدمات التطهير السائل  
لـ 5,4 مليون نسمة وعقود التدبير لـ 9 مليون نسمة (أي 62%).  
خلال سنة 2012 بلغ حجم مبيعات الماء الصالح للشرب ما قدره  
781 مليون م3. بنسبة 37% للشركات المفوض إليها (بينما تغطي  
فقط 33%)، الوكالات المستقلة 33% والمكتب الوطني 30%.

كما بلغت مبيعات الطاقة : 51% للمكتب الوطني، 16% للوكالات  
و 33% للشركات المفوضة.

يظهر جيدا حجم استحواد الخواص على قطاع التوزيع أمام 12  
وكالة ومكتب الوطني يغطي 612 مركزا.

وحسب تقرير المجلس الأعلى للحسابات لـ 2014، فإن الشركات  
المفوض إليها سجلت تأخرا كبيرا في إنجاز الاستثمارات، وفوارق  
مهمة بين الاستثمارات المنجزة وتلك المتعاقد بشأنها. بل تم  
إدراج تكاليف غير واردة ضمن التوقعات الأولية للعقد لتضخيم  
الإنجازات المالية.

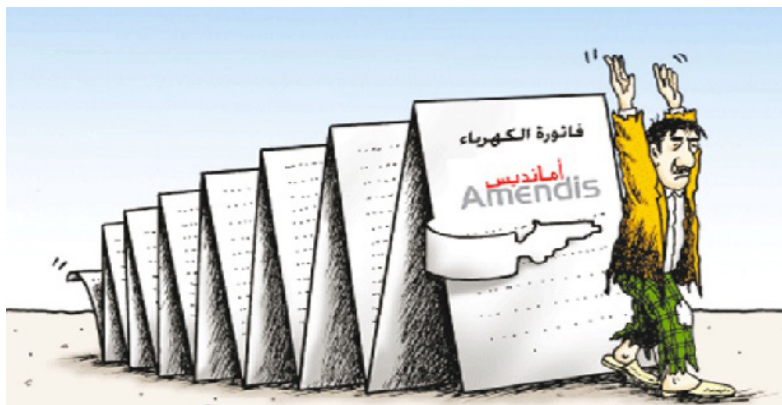
- بحيث لم تصل نسبة الإنجازات إلا في حدود 57 % فقط بالنسبة لتمويل المفوض  
إليه؛ أما تمويل التجديد فقد بلغ الفارق 571 مليون درهم عوض 300 مليون درهم  
المحدد من طرف اللجنة المشتركة، وبالنسبة لتمويل عبر صندوق الأشغال فقد حث  
المجلس على أنه يتعين على الشركة استرجاع 371 مليون عوض 99 مليون درهم كما  
زعمت الشركة.

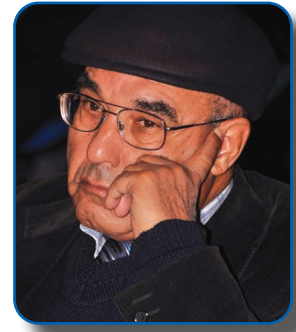
- التحرير المتأخر للرأسمال، التوزيع الاستباقي لحصص الأرباح، تحويلات غير قانونية  
للأموال للشركة الأم وكذا مصاريف العمالة مرتين المستخدمين الأجانب ضد على  
مقتضيات العقد.

- تركيبات مالية غير شفافة.

- استهلاكات تقديرية وهامش  
غير تعاقدية، فواتير كميات غير  
مستهلكة، خدمات غير مقررة  
بدفاتر التحملات أو عقود  
الاشتراك:

فمنذ يوليو 2014 أصبحت  
التعاريف عند البيع للماء،  
التطهير السائل والكهرباء تخضع  
لشروط جديد و بنية تعريفية  
جديدة (أنظر الجريدة الرسمية  
عدد 6275 مكرر)، مما جعل  
التدبير المفوض يتمتع بمرونة  
مهمة في الزيادة (الرفع من  
قدراته التمويلية والربحية).





♦ البدالي صافي الدين

## مدينة

## الدار البيضاء

## من الشموخ

## إلى الغرق

التعاليق وعاد كل من المسؤولين إلى موقعه دون أن تتم زحزحة أي منهم من موقعه و دون محاسبة ولا مساءلة و دون الإعلان الصريح عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى الكارثة. فمن المسؤول على هذا الوضع ؟ هل الطبيعة البيئية للمدينة أم الأمطار ؟ أم المسؤولون عن التخطيط المعماري للمدينة ؟ أم المجالس المتعاقبة عليها ؟ أم شركة التدبير المفوض للماء الصالح للشرب و الكهرباء ؟ إنها اسئلة نطرحها وهي تحتاج إلى الإجابة من خلال تحليل علمي و واقعي للآزمة التي عاشتها وتعيشها مدينة الدار البيضاء، من الشموخ الذي استمدته من تاريخها الثقافي والإنساني والنضالي والسياسي والدبلوماسي، إلى الحكرة التي هي من فعل سياسة المسؤولين على الشأن المحلي.

جفت عيون الدار البيضاء من مياه الفيضانات التي غمرت جل أحيائها على إثر التساقطات المطرية، التي عرفتها الأيام الأولى من شهر يناير 2021، ولكن لم تجف دموع الأسر التي فقدت أهلها تحت أنقاض البنايات التي انهارت مع نزول المطر، ولا جفت عيون الأسر التي بقيت بلا مأوى، ولا استعادت الأحياء السكنية القديمة الطمأنينة بعد أن أقلعت السماء أمطارها وابتلعت الأرض ماءها، لأن المنازل تستمر في السقوط في الأحياء الشعبية، لقد استمر الخوف من عودة الكارثة وظل يهيمن على الجميع. لقد تحولت أمطار الخير إلى كارثة بفعل البنية التحتية المهترئة. بنية عنوانها الغش وسوء التخطيط والعشوائية في التدبير. فبعد عودة الهدوء المحفوف بالخطر سكت الجميع و أنزلت سبورة



## مدينة الدار البيضاء من الشموخ إلى الغرق

♦ البدالي صافي الدين



الدار البيضاء، وضريح سيدي عبد الرحمان بن الجيلالي الذي يوجد ضريحه على صخرة بشاطئ عين الذئاب وهو من أصل عراقي، مما يعني أن الدار البيضاء ظلت محج الثقافات والديانات منذ أن أعلن عن تأسيسها إلى اليوم.

## الدار البيضاء.. ملتقى أنفا

ورغم وجود المغرب تحت وطأة الاستعمار الفرنسي والاستعمار الإسباني، وفي أوج الحرب العالمية الثانية كانت الدار البيضاء مركز اهتمام دولي، إذ تم فيها عقد مؤتمر أنفا التاريخي في يناير سنة 1943 بالدار البيضاء، والذي حضره كل من محمد الخامس وبجانبه ابنه ولي عهده الحسن الثاني والرئيس الأمريكي "فراكلين روزفلت" ورئيس الوزراء البريطاني "نستون تشرشل"، الذين اجتمعوا لتوحيد الخطة العسكرية ضد محور ألمانيا النازية وحلفائها من تركيا وإيطاليا واليابان. لقد كرس هذا المؤتمر دور الدار البيضاء الاستراتيجي في ظل الأزمات التي يعرفها العالم.

## الدار البيضاء.. تفدي شهداءها

استمرت الدار البيضاء تفدي شهداءها ضحايا الحروب أو الاستعمار بروحها وبدمها. فلما طغى الاستعمار الفرنسي أخرجت من بين ضلوعها شابا يحمل السلاح من أجل تحرير الوطن والانتقام لشهداء الذين سقطوا من أجل التحرير وفي مقدمتهم الشاب محمد الزرقطوني ابن درب السوينة في المدينة القديمة. لقد قام هذا الشاب بعملية تفجير السوق المركزي في الدار البيضاء "مارشي سنطال". فكان من رموز المقاومة الذين أسسوا لانطلاقتها وتحديد أهدافها وتقوية تنظيماتها وامتداداتها. مع رفاقه في الكفاح المسلح، حتى استشهد يوم 18 يونيو 1954، حينما ألقت القبض عليه سلطات الاستعمار الغاشم، ففضل الشهادة حفاظا على أسرار المقاومة والتضحية من أجل استمرار نشاطاتها. تلك هي الدار البيضاء مهد المقاومة وانطلاق حركة التحرير الشعبية.

## الدار البيضاء.. التاريخ

لقد أجمع عدد من المؤرخين على أن تأسيس مدينة الدار البيضاء، أي كازابلانكا المغربية (أنفا)، على أنها من تأسيس أمازيغ مملكة بورغواطة سنة 768م، وأنفا هي تعبير أمازيغي. وحسب الزياني المولود سنة 1734م "المدينة أسسها الأمازيغ حيث حينما انتقل الزيانيون أو بنو زيان، سلالة قبيلة زناتة الأمازيغية إلى تامسنا وتادلة قاموا بتأسيس أنفا في تامسنا ومدينة داي في تادلة". لقد كان لبنائها اختيار وأهداف من المؤسسين، أي الاختيار الاستراتيجي على مستوى الاقتصادي والصناعي والتجاري وأيضاً لمراقبة شواطئ المغرب على المحيط الأطلسي. وبحكم التحولات السياسية والثقافية والاقتصادية عبر التاريخ، خضعت الدار البيضاء لحكم عدد من الدول من الأمازيغ والرومان والعرب والبرغواطيين والمرابطين والموحدين والبرتغاليين والإسبان والفرنسيين والإنجليز، لما لها من مكانة مهمة في شمال إفريقيا وفي المغرب بصفتها مدينة ميناء، مما جعلها هدفا مهما للغزاة في تاريخها. وكانوا يعرفونها بـ "منحدر"، مصطلح يستعمله المحليون، والمندوبون الناطقون باللهجة البونيقية التي كانت منتشرة في جنوب حوض البحر المتوسط وتسمى كذلك بالقرطاجية أو بالفينيقية. ولما دخلها جيش الاحتلال الفرنسي في عام 1907، عندها تبني الاسم الإسباني أي كازابلانكا، لكن استمر الكثير يسميها بأنفا ومعناه "منحدر".

## الدار البيضاء.. محج الثقافات

لقد ظلت محافظة على شموخها بالتصدي لكل محاولة استعمار أو غزو. فلم يفلح البرتغاليون سنة 1715م في السيطرة عليها، حيث تمت هزيمتهم على يد المرينيين. بعد أن دمرها زلزال كبير في 1755م. وهو الزلزال الذي عرفته لشبونة البرتغالية في نفس الآن. فنهضت من رمادها كالفنيق وأعيد بناءها لتستمر في لعب دور المبادلات التجارية الكبرى بالنسبة لحوض البحر الأبيض المتوسط. ويبدو أن "أنفا" قد اندثرت بدون أن تترك أي أثر سوى ضريح "سيدي علال القيرواني"، وهو من أصل تونسي من مدينة القيروان. ويقع ضريحه بالسقالة أمام ميناء

## مدينة الدار البيضاء من الشموخ إلى الغرق

♦ البدالي صافي الدين

### الدار البيضاء.. الطبقة العاملة

انضمت الطبقة العاملة بالدار البيضاء، مهد المقاومة، مع بداية تأسيس منظماتها النقابية الاتحاد المغربي للشغل في بداية الخمسينيات من القرن العشرين إلى صفوف المقاومين للاستعمار الفرنسي، فكانت الرافعة المعول عليها من أجل مغرب مستقل ينعم بالديمقراطية وبالحرية وبالمساواة. الدار البيضاء التي كشفت عن محنة البروليتارية وعمّا تتعرض له من استغلال، وعبأتها لتكون في قيادة الصراع الطبقي الرامي إلى الحسم مع الاستغلال والاستبداد والحركة.

### الدار البيضاء وفلول الاستعمار

فبعد أن دمرها البرتغاليون وقصفها الفرنسيون سنة 1907 وسقوط مئات الشهداء خلال مقاومة الاستعمار، جاءها أذنان الاستعمار على إثر الإعلان على الاستقلال الشكلي ليقوموا بالسطو على الأراضي والمنشآت الاستراتيجية وعلى الشركات. ولتنفيذ عملياتهم خلقوا الفتنه بين الناس حتى لا يهتموا بما يجري. كما تحركت المنظمة الإرهابية اليد الحمراء (La Main Rouge) لتنفيذ عمليات من شأنها حماية الفرنسيين بالدار البيضاء وعمالهم من المغاربة، تكون مهمتها تصفية نشطاء الاستقلال في كل من المغرب والجزائر وتونس. هذه المجموعة السرية قامت يوم 11 من يونيو سنة 1955 باغتيال الناشط السياسي الفرنسي المدافع عن استقلال المغرب جاك ليمايي دوبرويل، وقد تم اغتياله في الساحة التي تحمل اسمه الآن، عند سفح مبنى الحرية الذي كان يعيش فيه. أمام هذه

الحركات المشينة الهادفة إلى إسقاط الدار البيضاء من عيون العالم تنتفض مرة أخرى شامخة لتفرض هيبتها على الكل مستمرة في الشموخ. لكن رغم ذلك لم تسلم من كيد الاستعماريين الجدد الذين جعلوا منها بقرة حلبوا وأخذوا يطمسون معالمها التاريخية من أسوار وحدائق ومنتزهات والتي كانت تشهد لها بالمدينة المندمجة، مدينة ملتقى الثقافات والحضارات. ثم عملوا على أن يجعلوا منها مدينة سلبية دون أي حس نضالي أو سياسي أو اجتماعي. لكنها خرجت في 23 مارس

1965 في انتفاضة عارمة ضد السياسة التعليمية التي أقرها النظام المخزني، هذه الانتفاضة التي ووجهت بالرصاص، فسقط شهداء كثيرون على يد السفاك أفقر. لم تستلم البيضاء لسياسة القمع ولا للاستغلال، بل ظلت صامدة في وجه الفساد فقررت الاستجابة لنداء الإضراب العام الذي دعت إليه الكنفدرالية الديمقراطية للشغل في يونيو 1981، فعرف هذا الإضراب خروج أبناء الدار البيضاء مرة أخرى للتعبير عن سخطهم وعن سخط الجماهير الشعبية في البلاد مما جعل قوات الأمن والجيش يتدخلون لإخماد هذه الانتفاضة بالرصاص والقتل العشوائي لتعيش المدينة ومعها جميع المغاربة حدادا لم ينته بعد، لأن أسرا عديدة لم تعرف مصير جثث أبنائها الذين سقطوا في ذلك اليوم.

### الدار البيضاء والفضائح

لقد عرفت الدار البيضاء سلسلة من الفضائح بدءا من فضيحة شركة بان أمريكان BAN AMERICAIN سنة 1970 حيث تعرضت للإنتزاز من طرف وزراء وموظفين سامين كانوا ينعمون بعطف الملك، لما أرادت إنشاء سلسلة من الفنادق بالدار البيضاء، الشيء الذي تم ضبطه من طرف المخابرات الأمريكية وأخير به الملك الراحل الحسن الثاني، والذي كان لا يزال تحت وطأة الانقلابين العسكريين (1971-1972)، وفي سياق تدمير شعبي بفعل القمع والفقر والأمية وفي سياق التحولات التي تعرفها دول العالم، أمر باعتقال ومحاسبة المتورطين في كل عمليات الفساد والرشوة. بالإضافة إلى هذه الفضيحة جاءت فضيحة مشاريع تم نهب مالها والتي كانت موضوع محاكمة النقابي والبرلماني السابق ورئيس

جماعة عين السبع الحي المحمدي، عبد الرزاق أفيلال، في ملف يتعلق بجناية "المشاركة في تبديد أموال عمومية"، كما كان يتابع إلى جانبه (21) متهمًا، في حالة سراح، بينهم مسؤولون سابقون في جماعة عين السبع الحي المحمدي، ومهندسون ومقاولون وممونون، ومنعشون عقاريون، بتهمة "المساهمة في تبديد أموال عمومية والمشاركة في استغلال النفوذ". وتوبع كذلك عبد العزيز العفورة، العامل السابق لعمالة عين السبع الحي المحمدي في الدار البيضاء والسليمان ومن معه من أجل تهمة «استغلال النفوذ والمساهمة والمشاركة في تبديد واختلاس أموال عمومية وتزوير محررات رسمية واستعمالها وتزوير أوراق تجارية وبنيكية والارتشاء». و يستمر استنزاف الدار البيضاء و جيوب أهلها بعد إفلاس شركة النقل الحضري دون مسائلة أو متابعة عن سبب الإفلاس لشركة رأسمالها من المال العام، وأيضاً عملية التدبير المفوض الذي فوت إلى شركة ليديك، في إطار صفقة موجهة، دون الوقوف عل أسباب فشل الوكالة الحضرية للماء والكهرباء.

### مدينة الدار البيضاء الممزقة

على إثر أحداث 1981 قرر النظام المخزني تقسيم الدار البيضاء إلى عمالات في إطار مقاربة أمنية، على حساب المقاربة الاجتماعية التي من شأنها إنقاذ انائها من البطالة والفقر. وتم عزل أحياء عن بعضها البعض وإسراف أموال طائلة لبناء عمالات ومقاطعات إدارية وأمنية، وبقيت الدار البيضاء تتناسل فيها الجرائم والفساد ونهب المال العام. وتحت ذريعة التحديث في إطار برنامج "الدار البيضاء تحرك"،

رصدت له أموال طائلة تناهز 6.402 مليار درهم سنة 2014، ولم يظهر منها ما يفيد بأن الدار البيضاء تحركت، بل لقد تم عزل الأحياء الشعبية عن باقي الأحياء في إطار عملية التوسيع فكانت المدينة القديمة ضحية الإهمال من حيث البنية التحتية والمحافظة على هياكلها التراثية من الدمار، فأصبحت كلما جادت السماء بأمطار الخير إلا وكانت الأحياء القديمة تعرف انهيار منازلها تباعاً، في دروب المدينة القديمة حتى أصبحت تشكل خطراً على سكانها.

لقد غابت شركة لديك أيام الكارثة، فهذه الشركة التابعة ل "سويز" الفرنسية والمتعددة الجنسيات، حصلت على عقد من قبل إدريس البصري في عام 1997 لمدة 30 عاماً، وهي تشغل في ظروف مثيرة للجدل، فق قدرت أرباحها في نهاية ديسمبر 2015 إلى 6934 مليون درهم، وقوتها العاملة 3600 موظف. وتتضمن نشاطات الشركة الكهرباء، المياه، والصرف الصحي في مدينة الدار البيضاء، إلا أن التكلفة الذي يؤديها المواطن جد مرتفعة مقارنة بنوع الخدمات وستكشف أمطار بداية السنة الجديد هشاشة البنية التحتية وغياب الصيانة المستمرة وإنشاء قنوات بديلة وأخرى مساعدة لتصريف المياه العادمة والمياه الشتوية. لقد تكالبت على مدينة الدار البيضاء لوبيات الفساد ونهب المال العام من سماسرة العقار وشركات البناء فحولوا الساحات العمومية والمناطق الخضراء ومجاري المياه الشتوية إلى عمارات عشوائية وأحياء من الإسمنت مما جعل تصريف المياه العادمة أو المياه الشتوية أمراً مستحيلاً، مما أدى إلى اختناق المصارف الصحية ومجاري المياه. لذلك وبناء على ما عرفته الدار البيضاء من استنزاف ومن نهب وفساد منذ بداية الاستقلال، لا بد من محاسبة كل من ساهم في تحويل الساحات والحدائق والمناطق الخضراء إلى بنايات عشوائية، ومحاسبة الشركات المسؤولة على التدبير المفوض ووزراء الداخلية والولاية والعمال والمجالس التي تعاقبت على تدبير شؤون مدينة الدار البيضاء حتى نذر الأمطار من جرائم ارتكبتها المسؤولين في حق هذه المدينة الشامخة المناهضة للحركة.





# التدبير المفوض يقتل من طنجة إلى الفنيدف



♦ ساجي عبد الرحمان

شهدت طنجة قبل أيام في مشهد درامي مأساوي كارثة بكل المقاييس حيث توفي أزيد من 25 عاملة وعامل، أغلبهم في مقتبل العمر، مشهد يثير، كما في التراجيديا، الكثير من الانفعالات لدى الجمهور مثل الخوف والشفقة، انفعالات تهدف، في سياق المسرح، إلى تطهير نفوس الجمهور، غير أن مأساة طنجة هي حقيقة واقعة ومختلفة لا تطهر النفوس وإنما تعكر صفوها وتفرّض سوداوية معينة على الأمزجة وتفطر الأفئدة.

الحديث عن السرية في ظل كل هذه المعطيات؟ إنها سرية متفق عليها لأنها مدرة للدخل الفاسد وأساس للإثراء غير المشروع باستغلال بشع لوضعية العمال المزرية وعلى حساب أرواحهم الطاهرة، ومن يريد تكذيب فكرتنا فليقدم شرحا واضحا يبين أسباب عدم إبداء اللجنة المختلطة لرأيها وملاحظاتها وفق القوانين ومختلف النصوص الجاري بها العمل لاسيما المتعلقة بشروط الصحة والسلامة!

لا يمكن أن يقنعنا أحد بوجود أمر سري في مغرب "التركيبية السخونة" التي تشكل جوهر فلسفة عمل الملحقات الإدارية والأجهزة الأمنية باختلاف أنواعها، فالذنب المنفرد بمجرّد شروعه في التحضير لعملياته الإرهابية الجبانة يجد نفسه مطوقا بعشرات عناصر أمن مكافحة الإرهاب، وكم أشاد المنتظم الدولي بجهود المغرب الكبرى في مكافحة الإرهاب الداخلي والدولي من خلال استراتيجية الاستباق في مواجهة الذئاب المنفردة وعناصر الخلايا وتفكيكها قبل التنفيذ، وتقديم المعلومات عنها في إطار التعاون الدولي في هذا المجال. فمتى ستأخذ الدولة بمقاربة الاستباقية لمنع وفاة عشرات العمال داخل معمل يفترض ألا يكون سريا وأن يكون خاضعا للقوانين المعمول بها؟ استباقية لا تغض الطرف عن فساد وحوش الرأسمال ووكلائهم بالمدن الصناعية، وتقيم الدنيا ولا تقعدها عن تواطؤ عديمي الشرف والمخلصين بمبادئ العمل الإداري، كل هذا في ظل إدارة يفترض فيها تجسيد مضامين الخطة الوطنية لإصلاح الإدارة 2018-2021 المرتكزة على تحولات مهمة أهمها التحول التخليقي.

وعلى غرار مسؤولية السلطات المحلية التي خول لها القانون سلطة الرقابة، فإن وزارة الشغل والإدماج المهني ينبغي أن تثار مسؤوليتها في الفاجعة، على اعتبار أن قطاع مفتشي الشغل والمصالح الطبية للشغل لم تخضع لأية تقوية أو تطوير وتحديث، وهنا تظهر كذلك الحاجة الملحة لإعادة النظر في قوانين طب الشغل والصحة والسلامة في العمل وإصدار

إنها واقعة مثل سابقتها وربما لاحقاتها تزيد منسوب عدم الثقة لدى المواطن في وقت مطلوب فيه من الدولة كسب رهان المصالحة والثقة خصوصا في سياق اشتداد الأزمة الاجتماعية، هي فاجعة لها عناصرها المادية ومسبباتها السياسية والاقتصادية والإدارية المنظومة يخطط الفساد المتعدد. نعتت السلطات المحلية طنجة في بلاغ لها المعمل الذي شهد أطوار الكارثة بـ "السري"، والحال أن هذا النعت من جهة هو مجرد محاولة للتوصل من المسؤوليات التي نعتقد أنها ثابتة في حق السلطات المحلية، بحكم التقصير الظاهر والممارسة المختلة لاختصاصات المجالس المحلية والسلطة الإدارية في مجال الشرطة الإدارية ومقتضيات هذه الأخيرة المتعلقة بالتدبير المفوض للمرافق العامة. ومن جهة أخرى فقد تبين أن المعمل "السري" يتوفر على سجل تجاري وعقد كراء مبرم ما بين المكثري باعتباره صاحب المعمل والمكثري باعتباره مالك المسكن الواقع بتجزئة إناس بطريق الرباط، حرر بتاريخ 26 يناير 2017 وسجل لدى مصلحة التصديق على الإماءات.

وينص العقد صراحة على استغلال الطابق الأرضي من أجل مزاولة خياطة الملابس الجاهزة مقابل سومة كرائية شهرية محددة في 12 ألف درهم، أما السجل التجاري للشركة، حسب ما صرح به شقيق صاحب المعمل، فيحمل اسم A&M Confection ويشير إلى نوعية النشاط الصناعي المزاولة. هذا بالإضافة إلى وثيقة الاشتراك الكهربائي المهني التي بمقتضاها يتم تزويد الشركات من قبل أمانديس بالتيار المرتفع الضروري لتشغيل الآلات النشاط الصناعي، بعد تقديم عقد الكراء والسجل التجاري.

وقد عرف المصنع أيضا معاينة اللجنة المختلطة المكونة من أقسام الجماعة المتعلقة بحفظ الصحة وبالتعمير والشؤون الاقتصادية ووكالة المداخل المعنية وممثل الوقاية المدنية وممثل السلطة المحلية. فكيف يستقيم

# التدبير المفوض يقتل من طنجة إلى الفنيدف

استهلاك الكهرباء ولم تعد قادرة على تسديد الواجبات الكرائية والأشعث من ذلك العديد من العائلات وجدوا في الصوم ملجأً يحتمون فيه من الآثار النفسية للقرع الاجتماعي.

وهنا لابد من الوقوف على مظاهرات أزمة الفنيدف بالأرقام، فبعد إغلاق معبر سبتة وتوقيف التهريب المعيشي، عاد أكثر من 9000 مواطن دون مورد رزق و3600 عامل وعاملة يعقود قانونية بسبتة المحتلة مهددون بالطرد.

وأفلست حوالي 30 في المائة من المقاهي والمطاعم والمخابز، وأغلق 600 محل تجاري (300 بسوق المسيرة الخضراء) وشلت حركية سيارات الأجرة والأنشطة البنكية، وعلى مستوى آخر ارتفعت حالات الطلاق وفقدان الشغل. أما على مستوى التعليم فقد غادر 900 تلميذ وتلميذة المؤسسات الخصوصية نحو التعليم العمومي مما دفع هذه المؤسسات إلى تقزيم رواتب موظفيها بنسبة 10 في المائة.

إن احتجاجات الفنيدف ليست طيشاً أو مغامرة يقودها فصيل سياسي معين ولكنها تعبير حقيقي وبديهي عن معاناة الساكنة التي سئمت من تردي الأوضاع وخرجت للتنديد بالأوضاع الاقتصادية المؤسفة.

تحل بعد أيام الذكرى العاشرة لحراك 20 فبراير الذي أحدث رجة داخل دوائر القرار السياسي وتوج بعد احتجاجات عارمة بدستور جديد أعطى للحقوق والحريات الأساسية باباً بأكمله وجعل منها إلى جانب الاختيار الديمقراطي ثابتاً من ثوابت المملكة، ولكن يتضح جلياً أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للبلاد مازال لا يرقى إلى أبسط تطلعات المغاربة، ولعل وفاة أزيد

من 25 عاملة وعامل في ظروف بشعة خير تعبير عن طعن الدستور وهريغ أنف سيادة القانون. في الذكرى العاشرة لحراك شعبي واسع قدر له أن يخدم لابد لحكام مربع الحكم أن يبصروا ما تبعث به حركة المجتمع من إشارات واضحة وفيهموا أن خمود البركان لا يعني عدم إمكانية ثورانه من جديد.



خدماته والاستعانة بخبرات القطاع الخاص وإضفاء نوع من النجاعة في تسيير المرفق العمومي، إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك، حيث أن شركات التدبير المفوض وخصوصاً الأجنبية منها لا يكون هدفها الأساسي هو خدمة مصالح الساكنة ولا يهمها البعد الاجتماعي والإنساني للمواطنين بل تحركها أهداف ربحية محضة أكثر من أي أمر آخر، فتتاهى مع فساد الواقع في ظل غياب المحاسبة القانونية، حيث يكون ذلك على حساب كرامة المواطن ومصلحه



احتجاجات الفنيدف، كانت نتيجة تراكمية لسنين من انعدام أي مخطط تنموي بديل عن التهريب المعيشي.

وحقوقه الأساسية. وغير بعيد عن مدينة طنجة شهدت مدينة الفنيدف في الأيام القليلة الماضية خروج مواطناتها ومواطنيها رفضاً للأزمة المهولة التي أصابها بسبب التهميش التاريخي للمنطقة وإغلاق معبر سبتة المحتلة والظروف التي فرضتها الوضعية الصحية. معظم الساكنة أصبحت عاجزة عن أداء فواتير

نصوصها التطبيقية، وسن قانون أساسي مستقل متعلق بمفتشي الشغل والارتقاء بوضعيتهم المهنية وظروفهم المادية.

وارتباطاً بنفس النقطة فإن الفرع الجهوي الرباط - الشمال للجمعية المغربية لحماية المال العام قد شدد في بيان الصادر بتاريخ 09 فبراير الماضي على تقصير مصالح مفتشية الشغل في ممارسة مهامها المتعلقة بإحاطة السلطة الحكومية المكلفة بالشغل علماً بكل خرق للمقتضيات التشريعية والتنظيمية (الفقرة 3 من المادة 532 من مدونة الشغل)، زيارة كل مؤسسة تخضع لمراقبة المفتشية بحرية ودون سابق إعلام (المادة

533)، معاناة المخالفات المتعلقة بأحكام مدونة الشغل وتبنيها في محاضر يوجهها المندوب الإقليمي المكلف بالشغل إلى المديرية الشغل بالمصالح المركزية والمحكمة المختصة.

كما أن شركة أمانديس المفوض لها تدبير قطاع الماء والكهرباء بالمدينة والتي لها باع حافل في افتراس جيوب الشعوب خصوصاً في الدول التي لا تتوفر على نظم قوية لحماية المستهلك مثل

المغرب لها جزء أوفر من المسؤولية في حدوث هذه الفاجعة، فانفجار المجاري وعدم تحمل القنوات لصيب الأمطار يساءل من وقع دفاतर التحملات، ويستوجب افتتاح العقود ومدى وملاءمة المنجز للالتزامات المبرمة، وكذا نصيب المسؤولية لدى السلطات المخول لها مراقبة هذا المرفق، وكذا الإدارات ذات الاختصاص، إن أرواح العمال والذين سقطوا ضحية هذا الجشع المنظم يلزمنا بتقديم الجناة للمحاسبة.

إن عدم التزام أمانديس

بمضمون دفاतर التحملات وتراجعها عن تنفيذ بنود الاتفاق مع لجنة الداخلية الصادر إثر الاحتجاجات الكبيرة التي شهدتها طنجة هو ما أصبح يفرض فك الارتباط بالشركة لأنها باتت تهدد أكثر من أي وقت مضى السلم الاجتماعي بمدن الشمال ولاسيما طنجة. من المعلوم أن دواعي لجوء الجماعات الترابية إلى تفويض تدبير المرافق العمومية تتمثل في تحسين



# جذور امتيازات التدبير المفوض الأجنبي

## الحماية القنصلية بالمغرب

حازت الدول الأوربية من الدول الإسلامية في القرون الفاربة على تنازلات تهم سيادتها الوطنية تمثلت في نظام سياسي قضائي غريب دعي بالحماية القنصلية والذي قام على أساس منح الممثلين الدبلوماسيين لأوروبا الممتددين في بلد ما حماية دولهم لرعاياه فيمضون وهم يحملون جنسيته غير خاضعين لقوانينه ومعفون من أداء الضرائب وما يلزمهم من خدمة وطنية. و هذا نظام غريب لأنه يتنافى مع سيادة الدولة وانسباط سلطتها وقوة قوانينها وأحكامها فوق ترابها على جميع المقيمين بها سواء كانوا محليين أو أجانب.



♦ يوسف رزين



# جذور امتيازات التدبير المفوض الأجنبي

## الحماية القنصلية بالمغرب

♦ يوسف رزين

المغربي والقنصل السويدي يفصلان نازلتهم إلا إذا أدى الخصام إلى الجرح فيرفع الأمر حينئذ إلى السلطان". و كما هو واضح فإن هذه المعاهدة تعطي للسويد حق اختيار سماسرة من الرعايا المغاربة مع إعفائهم وكل من انضاف إليهم من المستخدمين والأعوان من جميع الضرائب والتكاليف باستثناء الجزية عن أهل الذمة كما تسمح هذه المعاهدة بإنشاء محاكم قنصلية تفصل فوق أرض المغرب بين السويديين بقوانين بلدهم وبمشاركة الولاة المغاربة في الحكم إذا كان الخصام بين السويديين وغيرهم.

وقد أبرم المغرب في سنة 1767 المعاهدة المغربية الفرنسية وورد في الشرط الحادي عشر منها "إن من استخدمه قناصل فرنسا من كتاب و ترجمان و سماسير وغيرهم لا يتعرض لهم في وجه من الوجوه ولا يكلفون بشيء من التكاليف في نفوسهم و بيوتهم كيفما كانت هذه التكاليف ولا يمنعون من قضاء حاجة القنصوات والتجار في أي مكان كان".

وقد عمل الفرنسيون على تأويل هذه المعاهدة حسب هواهم حيث جعلوها تعني إعفاء مستخدميهم من التكاليف المفروضة على الأنفس كالخدمة العسكرية والزكاة مثلا كما اشترطوا تأسيس قضاء مشترك في النزاعات التي تحدث بين الفرنسيين والمغاربة وعدم التقيد بعدد محدد من المستخدمين وحق حماية السماسرة.

وأمنى المغرب أيضا المعاهدة المغربية الدانمركية لسنة 1767 التي فتحت أبوابه أمام التجار الدانمركيين دون قيد أو شرط وأعطت الامتيازات القضائية لهم بأن يتقاضوا أمام قاض دانمركي إذا كان الخصام بين دانمركيين وأمام قضاء مشترك إذا كان الخصام بين دانمركي ومغربي وبأن لقناصلهم حق منح الحماية لخدمهم المغاربة مع ما تفيده من إعفائهم من التكاليف المخزنية. وفي سنة 1773 أبرم المغرب المعاهدة البرتغالية حيث اعترف فيها أنه باستطاعة التجار البرتغاليين المجيء إلى المغرب والاستقرار في موانئه وانفراد القناصل بالحكم بين رعاياهم وإذا حدث الخصام بينهم وبين مغاربة يتم اللجوء إلى القضاء المشترك. وأمنى المغرب كذلك سنة 1856 المعاهدة المغربية البريطانية والتي حصلت بريطانيا بموجبها على عدة امتيازات من قبيل حق نائب ملكة بريطانيا العظمى في اختيار من يترجم عنه ويخدمه من المسلمين وغيرهم وإعفائهم من المغارم ونصت المعاهدة أيضا على حق البريطانيين في السفر والاستقرار حيث شأؤوا بالمغرب دون تعرض من أحد وإعفائهم من الضرائب واحترام ديارهم وعدم تفتيش سجلاتهم التجارية ورسائلهم. كما اعترفت المعاهدة بقضاء قنصلي فيما يخص المنازعات بين البريطانيين والمغاربة بالإضافة إلى وجوب قيام ولاة المغرب باعتقال من يأمر القناصل البريطانيون باعتقاله ونقله إلى الجهة التي يريدون نقله إليها.

وأما إسبانيا فقد أبرم المغرب معها معاهدتين، الأولى سنة 1860 والثانية سنة 1861، فبالنسبة للأولى فكانت جراء هزيمة تطوان حيث تخلى على

ظهر هذا النظام أول مرة بالدولة العثمانية منذ أواخر القرن السادس عشر ثم انتشر في القرن السابع عشر كنتيجة للمعاهدات التي أبرمتها تركيا مع فرنسا سنة 1607 والأقاليم المتحدة سنة 1612 والنمسا سنة 1615 وإنجلترا سنة 1675 ودول أخرى. وقد تطلعت الدول الأوروبية آنذاك بصرامة الأحكام الإسلامية من رجم للزاني وقطع يد السارق وجلد شارب الخمر مع وجود فوارق طبقية بين مواطني الدولة العثمانية تجعل بعضهم سادة والآخرين عبيدا بالإضافة إلى انعدام نزاهة القضاء التي تحمي الأجانب وخلصائهم من ظلم القضاء والحكام والأعيان. وهذه أمور نظر إليها الأوروبيون على أنها تعرقل حرية التجارة ونموها وتهدد إقامة الأجانب في البلاد الإسلامية ومصير أموالهم و أمتعتهم.

و قد فعلت الدول الأوروبية نفس الشيء مع المغرب فيما طلبته من امتيازات كلما عقدت معه معاهدة سلم وصداقة أو اتفاقية تعاون وتجارة، ولكن سلاطينه كانوا يرفضون هذه الطلبات لما فيها من انتقاص من سيادته، لكن بوفاء المولى إسماعيل ساءت أحوال المغرب، فبدأ مسلسل منح الحماية القنصلية للدول الأجنبية غير مدرك لتبعاتها الوخيمة.

تعتبر المعاهدات التي أبرمت على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أقدمها حيث أعطى للأجانب الحق في المجيء إلى المغرب والتجول في أسواقه والاستقرار به دون حاجة إلى الحصول على تأشيرة، ومن فصولها أيضا ما سمح لهم به أن يختاروه من الوطنيين كسماسرة في

ترويج تجارتهم. وضمنت هذه الاتفاقيات لهؤلاء السماسرة وكل من يخدم القناصل التوقير والاحترام والإعفاء من كل المغارم والتكاليف المخزنية، كما تعترف هذه الاتفاقيات أيضا بقضاء قنصلي يفصل فيما ينشأ بين الأجانب من خصام حسب شرائع بلدانهم وقضاء مشترك يحكم فيه القناصل إلى جانب الولاة المغاربة فيما إذا كان الخصام بين مغاربة وأجانب. لقد نمت الحماية القنصلية بالمغرب كبذرة صغيرة ما فتئت تكبر حتى استفحل أمرها وأدت بالمغرب إلى فقدان سيادته وعجزه أمام الأطماع الأجنبية وهو ما سنتناوله بالشرح في المحاور التالية :

## ( 1 ) نشأة الحماية القنصلية وتطورها:

كانت أولى المعاهدات التي أبرمها المغرب في هذا المضمار هي المعاهدة المغربية السويدية سنة 1763، والتي نص فصلها الخامس عشر على ان "للسويديين أن يجعلوا من القناصل ما يريدون ويختاروا بأنفسهم كما أن لهم أن يجعلوا من السماسرة ما يحتاجون إليه وكل من انضاف إليهم من أهل الذمة وغيرهم ممن يقضون لهم أغراضهم لا يكلفون بوظيف ولا مغرم إلا الجزية فإنها لا تسقط عن أهل الذمة"، كما نص فصلها السابع عشر على "أن القنصل السويدي هو الذي يفصل في الخصومات التي تنشأ بين رعايا دولته حسب شريعة بلده وإذا حدث الخصام بينهم وبين غيرهم فالحاكم



تهافت الأعيان على الحماية القنصلية.



# جذور امتيازات التدبير المفوض الأجنبي

## الحماية القنصلية بالمغرب

♦ يوسف رزين

احتجاجات السلطان وكيف أن الحماية القنصلية تطورت تطورا مزعجا وخرجت عن مسارها المعقول بسبب تعسفات القناصل، فقامت هذه الأخيرة بمساع لدى وزارة الخارجية الفرنسية للبحث عن طريقة مرضية لاجتناب الاستغلال المتعسف لاتفاقيات الحماية.

وهكذا شرع كاتب السلطان سيدي محمد السيد ادريس بن ادريس مع نائب السلطان المقيم بطنجة السيد محمد بركاش بإثارة هذه القضية مع القناصل الأوروبيين ومعهم نسخ من الوثائق القديمة المتعلقة بالحماية القنصلية، ولكن لم يستحب للمفاوضة من السفراء إلا السيد بيكلارد وزير فرنسا المفوض حيث بدأت المفاوضات بين الطرفين المغربي والفرنسي في منتصف شهر يونيو 1863.

وخلال المفاوضات قسم المفاوضات الفرنسي الحماية إلى ثلاث أقسام وهي: حماية تمنح للبلديين المستخدمين بدور السفراء والقناصل كالكتاب والحراس والخدام، و حماية تمنح للمسامرة الوطنيين الذين يتوسطون بين التجار الأوروبيين والتجار المغربية، وحماية تمنح للمتخاططين من سكان الأرياف مع قناصل الدول الأجنبية في غير التجارة.

ولم يكن القسم الأول محل جدال بين المتفاوضين وأما القسم الثاني فإن المغرب وقف موقفا متشددا من ادعاء التجار الأجانب أن لهم الحق في منح حماية دولهم للمسامرة والمتخاططين معهم من الأهالي، وإما القسم الثالث وهو حماية سكان الأرياف فإن المفاوضات الفرنسي أبدى استعدادا للتخلي عنه بشروط. وقد بذل

المفاوضان المغربيان طيلة شهرين كل ما في وسعهما لحمل المفاوضات الفرنسي على تقديم تنازلات لصالح المغرب. وهكذا في 19 غشت 1863 تم إمضاء الوفاق كما اقترحته فرنسا وهو في ظاهره يضيّق من سعة الحماية القنصلية ولكنه في واقع الأمر يرسم لفرنسا بعبارات واضحة امتيازاً جديداً.

لقد اعترف الطرف الفرنسي بأن الحماية مؤقتة تنقطع بانقطاع المحمي عن خدمتهم لكن يمكن أن تبقى لبعض الأشخاص طيلة حياتهم، وأنها لا تشمل من أقارب المحمي إلا زوجته وأولاده وأنها لا تورث ماعدا موسى بن شيمول، ونجح المفاوضات المغربي في حصر فئات المستخدمين بدور السفير بالنص على صفاتهم مثل الكتاب والحراس والخدام ونجح المفاوضات الفرنسي في إقحام كلمة وشبههم ونجح المفاوضات المغربي في النص بإسقاط الحماية عن مخالطي قناصل فرنسا من سكان الأرياف ونجح المفاوضات الفرنسي في توقف متابعة هؤلاء المخالطين قضائيا بعد إسقاط الحماية عنهم على إخبار السفير الفرنسي الشيء الذي يجعل هؤلاء المخالطين محبيين في الواقع وإن لم يحملوا بطاقة الحماية. وهكذا فإن ما ربحه المغرب من هذا الوفاق خسره من جهة أخرى بدرجة أهم.



معاهدة الحماية الوجه الآخر للكونيالية الاقتصادية

إثرها عن جزء من أراضيه وألزم بأداء غرامة حربية. ثم تأتي المعاهدة الثانية سنة 1861 التي نصت موادها الأربع والستون على اعتراف المغرب لإسبانيا وقناصلها ورعاياها القاطنين بالمغرب على نفس الامتيازات التي منحت لبريطانيا، بل أضافت إليها حق الرعايا الإسبان في تملك العقار بالمغرب والترخيص لهم بقطع أخشاب الغابات المغربية وتصديرها وحق الأسطول الإسباني بصيد السمك وقطع الإسفنج والمرجان بشواطئه لقاء ضريبة سنوية رمزية.

و لقد أثار إمضاء المعاهدات مع بريطانيا وإسبانيا وحصولهم على امتيازات كبيرة غير فرنسا نظرا لأن لم تحصل عليها في معاهدة 1767 فبدأت تدعو إلى عقد معاهدة جديدة، لكن في الجهة المقابلة فإن المغرب بسلطانه ولاته شعبه بدأ يتذمر من عواقب هذه المعاهدات حيث صار الأجانب يقدمون عليه بدون إذن ويستقرون حيث شاؤوا كما مدوا نشاطهم التجاري إلى القرى والأرياف الداخلية بعد أن كان محصورا في الموانئ، مما زاد في عدد المتمردين على السلطة الشرعية وتهربهم من القيام بالخدمات الوطنية الشيء الذي بدأ يعطل الأحكام ويضعف سلطة الولاة ويهدد الأمن ويقلل من مداخيل بيت المال فبدأ السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يعبر عن مخاوفه للدول الأجنبية ويعلن استنكاره وتحفظاته من الحماية غير القانونية التي يمنحها مبعوثوها وقناصلها لرعاياه، وكلف كاتبه في الشؤون الخارجية ادريس بن محمد بن ادريس العمراوي أن يلفت نظر وزير فرنسا المفوض الى تردّي الأوضاع بسبب ذلك، كما كلف الفقيه محمد الشامي أن يفعل نفس الشيء مع وزير بريطانيا المفوض السير جون دريموند هاي، فاستغرب كلاهما الأمر واستكرا التعسف وتبرأ من كل حماية تعطى مخالفة للأوقاف. وبلغ السير جون دريموند هاي وزارة الخارجية بلندن

## (II) آثار الحماية القنصلية على المغرب:

إن ما يثير الانتباه هو أن نظام الحماية رغم تضرر المغرب منه فإن المغاربة قد تسابقوا عليه سواء كانوا يهودا أو مسلمين مما يكشف الهشاشة الإدارية



# جذور امتيازات التدبير المفوض الأجنبي

## الحماية القنصلية بالمغرب

♦ يوسف رزين

من كل الأجناس الحق في تملك العقار بالمغرب لأن جميع ما يعترف به لدولة من الدول من امتياز يستفيد منه ساورها. لقد كان الواحد منهم لا يكاد يحصل على رسم تملك حتى تمتد عينه ثم يده إلى ما يجاور ملكه الجديد من أملاك الناس ويدخل مع جيرانه بسبب طمعه في معركة من الخصام والاحتكام يخرج منها في الغالب منتصرا و يخرجون منها في الأكثر منهزمين، سيما إذا كانت الأرض التي يختصمون عليها من أملاك الدولة أو أملاك الأوقاف أو من الأملاك الجماعية كأمالك القبائل وأملاك الكيش، بل وحتى الأملاك الخاصة الثابتة برسومها مغاربة أحياء حاضرين لم يكن أصحابها ليسلموا من غبن يقع عليهم وظلم يلحق بهم ساعة الاختصاص بسبب وقوف

القناصل وراء رعاياهم و محميهم وأيضا بسبب ضعف التوثيق فيما يخص الرسوم العقارية وشدة الخلل في تسجيلها.

لم تكن العقارات حين تباع تقاس طولاً أو عرضاً وينص على عدد ما في مساحتها من هكتار و أروستينار ولم تكن تثبت في أطرافها معالم محكمة بمعرفة المهندس بل فقط أن متبايعين كانا يحضران شاهدين يشهدان أن الواحد باع للآخر أرضاً يحدها من الشرق بلاد فلان ومن الغرب عزيب فلان الخ.. وهذا التحديد والقياس كما نرى تقريبي لا يعطي صورة قطعية عن مساحة العقار المشتري ويجعله عرضة للاختلاف بشأنه والتنازع على حدوده، ومن هذا الضعف التوثيقي والخلل الوصفي التسجيلي كان

الأجانب ومحميهم ينطلقون للتطاول على أملاك الناس العقارية مع عجز المغاربة عن البرهنة على ملكيتهم لأراضيهم لأن الواحد منهم لا يملك رسم الملكية وعقد الإرث، وإذا كانت الملكية ثابتة ثبوتاً صحيحاً بوضوح لم يعد الأجنبي أو المحمي حيلة للاستيلاء على أرضه إلا برشوة الشهود والقاضي نفسه وأشخاص ذوي ديانة ومروءة يعملون له بيئة مستفيضة مبنية على العشرة وطول المخالطة يثبتون بها دعوى الأجنبي أو المحمي وينفون بها دعوى المغربي. كل هذا والسفير يواصل مساعيهم والقنصل يوالي توسطاته المشوبة بالتهديد بإحضار الأسطول. وبهذا الأسلوب تمكن الأجانب ومحميهم من الاستيلاء بالباطل على أراض شاسعة وتحويل ملاكها الأصليين وإلى زراع لحبوبهم ورعاة لمواشيهم.

و لم يتوقف ضرر الحماية القنصلية على العقار بل تعداه إلى القضاء ذلك أنه كما سبق ذكره فقد حصلت الدول الأوروبية على حق إنشاء محاكم قنصلية أو مشتركة واستثنى رعاياها أو محميها من سريان حكم الدولة المغربية عليهم. وبهذا ظهر في الجهاز القضائي اختلال اتسع خرقه مع الزمان، حتى كاد يعطله بالمرّة بعد أن ذهب ذلك الاستثناء بهيبة الدولة وجراً للأجانب

والاقتصادية والقانونية للدولة المغربية، فالمغربي آنذاك لم يكن يشعر بالانتماء لدولته ووطنه لذلك بمجرد ما سحنت له الفرصة في التحرر من واجباته تجاه وطنه لم يتأخر عن ذلك وهرب نحو الحماية القنصلية. لقد كان يفضل منح جزية للقنصلية الأوروبية لقاء حمايتها له على أن يؤدي الضرائب الواجبة عليه لخزينة دولته مما يوضح أن التماسك الداخلي للمجتمع المغربي كان في أدنى مستوياته ولهذا عملت الدول الأوروبية على التسرب إلى المغرب من هذه الثغرة عن طريق سياسة منح الحماية القنصلية للرعايا المغربية. لقد كانت سياسة خطت بإتقان في أندية أوروبا السياسية لنشر الفوضى في المغرب وتوهين قواه استعداداً لاحتلاله ولهذا عهد إلى

الوزراء المفوضين بطنجة والقناصل في سائر المراسي بتنفيذها كما أن هؤلاء الأخيرين خلطوا سياسة دولهم بمصالحهم الشخصية فطفقوا يتاجرون في الحماية القنصلية وبيعونها جهارا نهارا كما تباع أي سلعة في السوق ونفس الشيء فعله التجار الأوروبيون بموجب الحق الذي صار لهم بمنح الحماية القنصلية فعمدوا إلى فتح متاجر وهمية بكل ميناء من موانئ المغرب يبيعون من خلالها بضاعة الحماية التي تدر أرباحاً دون تعب أكثر بكثير من أرباح ماكينة تورود أو جلدّة تصدر .

وأمام عجز الولاة المغربية عن إنصاف المظلومين من مظالم الحماية القنصلية حيث استطال المحميون على الناس وأمعنوا في إهانتهم و سلب أموالهم والاحتياال عليهم دون أن

تطالبهم يد القضاء المغربي فإنه لم يكن أمام المظلومين من هذه الحماية إلا أن يطلبوها بدورهم. لكن يبقى أهم سبب من أسباب شيوع الحماية القنصلية هو اختلال الإدارة المغربية وفسادها حيث كان المغرب يحكم بواسطة أجهزة حكومية وإدارية عتيقة يسيرها أشخاص شبه أميون ولم تكن الحكومة تنفق مستندة على ميزانية يتراجع فيها الدخل والخرج أو الموارد والتنفقات بل كانت الأمور موكولة للمشينة الربانية وجل الموظفين لم يكن يتقاضى عن عمله الحكومي أو الإداري راتباً إدارياً معلوماً مما كان يدفع الكثير منهم إلى الالتجاء إلى ممثلي الدول الأجنبية ليتوسطوا لهم لدى المخزن لصرف رواتبهم المتأخرة بل إن الجيش نفسه إذا عجز عن الثورة كان ينظم مظاهرات سلمية يطوف من خلالها على السفارات والقنصليات طالبا التوسط له لدى حكومته لصرف رواتبهم. لقد صار المغرب في هذا الوضع مشلول اليد أمام ظاهرة الحماية القنصلية والتي كانت لها آثار وخيمة على ممتلكات الناس وحقوقهم وهو ما سنوضحه كالتالي:

لقد رخصت المادة الخامسة من الاتفاقية التجارية المبرمة سنة 1861 بين المغرب وإسبانيا للرعايا الإسبان أن يشتروا في المغرب بموافقة ولاته عقارات ويتصرفوا فيها تصرفاً مطلقاً بعد الشراء. ويحكم هذه المادة صار للأجانب



30 مارس 1912 توقيع معاهدة الحماية، كمقدمة للاستعمار المباشر.



# جذور امتيازات التدبير المفوض الأجنبي

## الحماية القنصلية بالمغرب

♦ يوسف رزين

بالمغرب يطالبهم فيها بحصر حق الحماية القنصلية في حدوده الحقيقية. كما أشار السلطان مولاي عبد الرحمان إلى مساوئ هذا النظام وعبر للسير جون دريموند هاي ممثل بريطانيا العظمى عن تخوفاته من عواقبه وتحفظاته من تعسفات القناصل في ممارسته خلال المحادثات التي سبقت إمضاء المعاهدة الودية والاتفاقية التجارية بين المغرب وبريطانيا سنة 1856.

وحاول أيضا السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان معالجة قضية الحماية القنصلية وطلب سنة 1870 من السير ج. د. هاي أن يساعده في محاولته. ولما تولى السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1873 عمل أيضا نفس

الشيء ولذلك قرر أن يتصل مباشرة ومن غير واسطة بالدول الأوروبية فأرسل في شهر ماي 1876 أمينه محمد الزبدي الرياطي سفيراً متنفذاً إلى فرنسا وبلجيكا وبريطانيا العظمى وإيطاليا بغية لفت نظرهم إلى قضية الحماية القنصلية بهدف إصلاح نظامها إصلاحاً يحول دون استغلالها بهذا الشكل المتعسف فلم يعد إلا بوعود من فرنسا وبريطانيا عن استعادتهما لطرح قضية الحماية القنصلية على بساط المناقشة الصريحة مع جميع الدول الأجنبية الممثلة بالمغرب.

واعتماداً على ذلك أصدر السلطان المولى الحسن أمره إلى نائبه في الشؤون الخارجية السيد محمد بركاش الذي سلم يوم 10 مارس سنة 1877 إلى رؤساء البعثات الدبلوماسية الأجنبية بطنجة مذكرة من 19 نقطة سرد فيها اعتراضات المخزن وبين الإصلاحات التي يجب إدخالها داعياً إياهم إلى الاجتماع في مؤتمر خاص بذلك. ومن أهم النقاط التي تضمنتها هذه المذكرة رفض المغرب لاستخدام محميين من طرف القناصل يكونون موظفين عند الحكومة المغربية أو متابعين من طرف العدالة كما أن الحماية لا تورث مع وجوب حصر أسرة المحمي في زوجته وأولاده فقط وضرورة دفع السماسرة العاملين لحساب الأجنبي الضرائب وأن يؤدي الأجنبي ومحميهم من المغاربة الممارسين للفلاحة الضرائب على محاصيلهم وقطعانهم ورفض الحكومة المغربية خروج المغاربة المتجنسين عن طاعتها وضرورة امتثالهم لقوانينها الخ..

وقد رد رؤساء البعثات الأجنبية على هذه المذكرة يوم 9 يوليوز 1887 حيث عقدوا عشرة اجتماعات أدارها السير ج. د. هاي دامت إلى 10 غشت، ناقشوا خلالها النقاط التي تضمنتها المذكرة المغربية. وبفضل تعاطف السير ج. د. هاي مع مطالب المغرب أبدى جميع الممثلين استعدادهم لاتخاذ بعض التدابير لترضية المغرب وإن كانت على المستوى الشكلي كترية الخزائير التي أصبحت محدودة في راسين لكل أسرة أوروبية وحماية غابة طنجة من النهب وتسليم قوائم المحميين في كل سنة إلى السلطات المغربية، أما المسائل الجوهرية كحق الحماية والشروط التي يمارس بها فلا.



كان تغل نظام الحماية تدريجياً عن طريق الامتيازات الضريبية للأجانب ومحميهم.

والمحميين عليها، فإذا تشاجر محميان في قاعة الطريق وتعرضت من جراء هذا الخصام أملك الناس وأنفسهم للأذى فإن السلطة المغربية لا يمكنها التدخل إلا بعد استئذان القنصل وفي هذه الحالة تصير تأتمر بأمر القناصل و تنتهي بنهيهم. وإذا كان الخصام بين أجنبي أو محمي وغير محمي فإن القضية تحكم لصالح الأجنبي أو المحمي خوفاً من قنصليته وبذلك ساهمت القنصليات في خلق فوضى قضائية استغل المجرمون بها لارتكاب جميع أنواع الجريمة من غصب متاع الناس وهتك أعراضهم و تهديد أمنهم.

وبذلك تكون الحماية القنصلية قد ذهبت بهيبة الدولة وقللت من موارد الخزينة و أحدثت انقساماً وشرخاً عميقاً في المجتمع المغربي وشلت قدراته.

## III رد فعل المغرب:

وجد المغرب نفسه أمام هذا الوضع المستفحل لمشكل الحماية القنصلية مجبراً على التحرك لدرأ أخطارها. لقد عمل حكومة وشعباً على الحد من مظاهرها. وفي هذا الصدد أعلن عدد من الفقهاء المغاربة موقفهم الحازم من المحميين فأصدروا فتاواهم الدائمة لهم والمحرمة للتعامل معهم كالقاضي الحاج العربي بن علي المشرقي الحسيني دفين فاس المتوفى بها سنة 1895 حيث ألف فيهم سنة 1873 قبل اجتماع مدريد بسبعة أعوام رسالة سماها "الرسالة في أهل البصير الحثالة" أفتى فيها بمقاطعة المحميين قائلاً "ومن أعان المحتمي أو عاشره أو خالطه أو أرضته حالته فهو فاسق ملعون"، وقد ألف علماء مغاربة آخرون رسائل عديدة في هذا الصدد تحت المغاربة على مقاطعة المحميين وعدم مصاهرتهم والمتاجرة معهم كالعالم المامون بن عمر الكتاني الذي ألف "هداية الضال المشتغل بالقليل والقال" وعلال بن عبد الله الفاسي الذي ألف "إيقاظ السكارى المحتمين بالنصارى" وكتاب "الويل والثبور لمن احتتمى بالبصير" الخ.. وهي كتب تبين وعي المجتمع وطبقته المثقفة آنذاك بخطورة ظاهرة الحماية القنصلية وضرورة التصدي لها.

أما من ناحية الحكومة المغربية فقد بدأت تصطدم بالمشاكل المترتبة عن نظام الحماية القنصلية كاختلال الأمن وضعف السلطة وقلة الموارد وتدخل السفراء والقناصل في الشؤون الداخلية للدولة المغربية لذا بدأت لديها أول المحاولات لإعادة النظر في قضية الحماية، حيث بعث السيد محمد الخطيب نائب السلطان في الشؤون الخارجية المقيم بطنجة رسالة دورية في شهر مارس سنة 1854 إلى جميع رؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدين



# جذور امتيازات التدبير المفوض الأجنبي

## الحماية القنصلية بالمغرب

♦ يوسف رزين

والبرازيل لحضور المؤتمر الذي تبدأ أشغاله يوم 15 من شهر مايو 1880. والحقيقة أن أغلبية الدول كانت تميل إلى ترضية المغرب بالقدر الضروري اللازم لاستقراره ونمو التبادل التجاري معه باستثناء فرنسا وإيطاليا وألمانيا. هذا وقد أجابت معظم الدول عن دعوة الحكومة الإسبانية بالقبول وعينت الدول سفراءها أو وزرائها المفوضين بمديرين ليمثلوها في المؤتمر وعزز بعض هؤلاء الممثلين بخبراء في الشؤون المغربية ومعهم ملفات كاملة تتعلق بكل ما راج في موضوع الحماية القنصلية. في المقابل فإن الوفد المغربي عانى من عدة مشاكل أهمها مرض السيد

بركاش وعدم توفره

على المال

الكافي لمواجهة

نفقات السفر

إلى إسبانيا

والمقام بعاصمتها

هو والوفد

الذي سيسافر

معه والذي قدر

بألف ريال، كما أنه

فهم مما اقترحته

بريطانيا أن ممثلي

الدول بمؤتمر مدريد

يكونون من غير ممثليها

في طنجة والحال أنه

منهم وبالتالي لا يجوز

له حضور المؤتمر. وهذا

كان سوء فهم منه لأنه

ليس ممثلاً لدولة أجنبية

بلده بل هو نائب السلطان

والواسطة بينه وبين الممثلين

الأجانب ولقبه الرسمي

عند حكومته النائب والذي

يعني وزير الشؤون الخارجية

أو السفير، لكنه عاد في النهاية

يرسله شعورا منه بالمسؤولية لما

رأى الوقت يمر دون أن يعين الوفد وخشي أن يجتمع المؤتمر دون حضور

ممثل المغرب وهكذا فقد سافر الوفد المغربي إلى مدريد مكونا من السيد

بركاش والحاج عبد الكريم بريشة ولده الحاج محمد وصهره السيد المكي

البطاوي والمهندس السيد الزبير سكيح.

عقد المؤتمر اجتماعا تمهيدا بقصر رئاسة الحكومة بمدريد يوم السبت

16 ماي كما كان مقررا بحضور ممثلي جميع الدول التي قبلت حضوره

ثم اتفق الحاضرون على أن يؤجل الاجتماع إلى يوم الأربعاء 19 ماي كما

سويت خلال هذه الجلسة بعض القضايا الشكلية كاعتبار الفرنسية لغة

للمؤتمر. ومنذ هذا التاريخ عقد المؤتمر ستة عشر جلسة كانت آخرها يوم

3 يوليوز. وافترض في البداية أن على المؤتمرين بمدريد أن يصادقوا بدون

مناقشة على جميع النقاط التي صودق عليها خلال الاجتماعات التي

وقعت في طنجة بين ممثل الحكومة المغربية وبين الممثلين الأجانب، أي

أن السيد محمد بركاش لم يكن عليه إلا أن يقدم مطالب سنة 1879 مع

التعديلات التي أدخلت عليها وتتلخص هذه المطالب المعدلة في أن الشروط

التي تقوم الحماية القنصلية على أساسها هي المستخلصة من المعاهدة

المبرمة بين المغرب وبين إنجلترا سنة 1856 والاتفاقية المعقودة بينه وبين

إسبانيا سنة 1861 والتسوية التي توصل إليها مع فرنسا سنة 1863 وأن

تراجمة الممثلين الأجانب وخدامهم من العرب لا يلزمهم أداء أي ضريبة

وأن الوكلاء القنصليين بالموانئ لكل واحد منهم الحق في استخدام ترجمان

وحارس وخدامين لا يؤدون هم أي ضريبة وأن أحد رعايا السلطان إذا عينته

دولة أجنبية وكيلا قنصليا لها تشمله وأسرته حمايتها ولكنه لا يستطيع

و استمرت المفاوضات ببقية سنة 1877 وطيلة سنة 1878 بين الممثلين الأجانب تارة وبينهم وبين ممثل الحكومة المغربية تارة أخرى. وقد كانت فرنسا وإيطاليا متفقة في الدفاع عن تقديم أي تنازل، أما إسبانيا إلى إدخال إصلاحات جذرية على نظام حمايتها القنصلية خوفا من حدوث انهيار داخلي في المغرب فجأة تعجز عن التعامل معه. وفي نهاية شهر ماي كلف الممثلون الأجانب لجنة بإعداد ملخص لجميع المحادثات التي استمرت أكثر من سنتين والتي كان من الواضح أنها بعيدة كل البعد عن الوصول إلى نهايتها.

وأمام هذا الوضع اقتنع السير ج. د. هاي أن إجراء مداولات فوق التراب المغربي لن تؤدي إلى حلول حقيقية وأنه من الأجدي انعقاد مؤتمر خارج المغرب يتداول فيه عن الدول الأوروبية مندوبون غير ممثلينها المعتمدين بطنجة وتكون جلساته علنية وتنتشر مداولاته في الصحافة الدولية مما سيرغم الدول المناوئة لإيطاليا وفرنسا على الاقتراب من موقف بريطانيا المساند للمغرب، فأخبر السيد بركاش بذلك والذي بدوره أخبر السلطان مولاي الحسن فوافق على الفور، ومنه نشأت فكرة عقد مؤتمر مدريد الدولي.

مؤتمر مدريد 1880، مؤامرة ترسيخ الحماية القنصلية.

مؤتمر مدريد 1880، مؤامرة ترسيخ الحماية القنصلية.

## (IV) مؤتمر مدريد الدولي

تم توجيه رسائل من طرف المركز سلزبوري وزير خارجية بريطانيا يوم 7 أكتوبر سنة 1879 إلى سفراء بريطانيا العظمى المعتمدين لدى الدول التي يهمها أمر الحماية القنصلية والدبلوماسية بالمغرب، وقد أخبرهم بفشل مذكرات طنجة التي عقدتها الحكومة المغربية مع رؤساء البعثات الدبلوماسية والقنصلية حول موضوع الحماية القنصلية. وذكر المركز سلزبوري أن حكومة صاحبة الجلالة البريطانية تقترح عرض المسألة في اجتماع يعقده الممثلون في مدريد نظرا لقربها النسبي من المغرب واستعداد حكومة إسبانيا إظهار وجهة نظر معتدلة بخصوصها تبشر بالوصول إلى تسوية عادلة.

وقد قابلت إسبانيا الاقتراح بالارتياح وشكرت بريطانيا عليه وأوفدت السيد رينالدي إلى فاس ليطمئن السلطان على حسن نياتها قبل انعقاد المؤتمر، كما أوفدت بريطانيا السير ج. د. هاي إلى السلطان في أبريل 1880 ليؤكد له حسن نيته ووقوفه إلى جانبه. وهكذا بدا أن دول المغرب وإسبانيا وبريطانيا العظمى تعمل في انسجام كبير ووافق تام، بينما كانت بقية الدول تقف في الاتجاه المعاكس للمصالح المغربية وعلى رأسها فرنسا وإيطاليا.

وعليه وجهت الحكومة الإسبانية يوم 10 أبريل الدعوة إلى كل من المغرب والبرتغال وفرنسا وإنجلترا وبلجيكا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية



# جذور امتيازات التدبير المفوض الأجنبي

## الحماية القنصلية بالمغرب

♦ يوسف رزين

وهكذا انفض المؤتمر يوم 3 يوليوز 1880 بعدما وقع مفوض المغرب ومفوضو الدول التي شاركت فيه على اتفاقية دونت قانون الحماية والتجنيس في فصولها الثمانية عشر ولم يحصل المغرب على شيء مما كان يرغب فيه ويتمناه، فأنجلت المداوولات عن اتفاقية جمعت شتات ما تفرق فيما سبقها من معاهدات واتفاقيات تخص الحماية القنصلية واستوتت ما كان من شروطها وموادها غامضا متشابها، وكل ما اعترفت به للمغرب هو حق حكومته في استخلاص الضرائب الفلاحية ورسوم الأبواب من التجار والسماسة والمحميين ولكن مقابل ثمن باهظ وهو اعتراف المغرب بحق الأجانب في شراء العقار بالمغرب.

### (V) أهم فصول اتفاقية مدريد:

نص فصلها الأول على أن الأسس التي يقوم عليها نظام الحماية هي المنصوص عليها في الأوفاق المبرمة مع الإنجليز سنة 1856 والإسبان سنة 1861 والتسوية التي أبرمت مع فرنسا سنة 1863 وقبلت بها الدول الأخرى إلا التعديلات التي أدخلها عليها هذا الوقف. ونص الفصل الثاني على حرية الممثلين الدبلوماسيين في أن يختاروا من بين المسلمين وغيرهم تراجمة

وخدما تشملهم حماية الدولة التي يستخدمها ممثلها فلا يؤدون أية ضريبة كيفما كان نوعها إلا ما هو مقرر في الفصلين الثاني عشر والثالث عشر. وتجدر الإشارة إلى أن عدد التراجمة والمستخدمين العاملين عند رؤساء البعثات الدبلوماسية لم يحدد برقم فيمكنهم أن يستخدموا منهم ما فيه كفايتهم وما هو فوق حاجتهم أما القناصل ونواب القناصل والوكلاء القنصليون المستقرون بالموانئ فلا يختارون إلا ترجمانا واحدا وحارسا واحدا وخادمين اثنين وكاتبين عربيا عند الحاجة ويعتبر هؤلاء المستخدمون أيضا محميين لا يؤدون أية ضريبة إلا ما نص عليه في الفصلين الثاني عشر والثالث عشر (الفصل الثالث).

وإذا عينت دولة أجنبية أحد رعايا السلطان وكيلا قنصليا فإن حمايتها تشملها هو وأهله الساكنين معه بداره ولكنه لا يستطيع أن يمنح حماية الدولة التي ينوب عنها إلا لحارس مغربي واحد ويتمتع نائب القنصل بما يتمتع به الوكيل القنصلي من الحقوق خلال ممارسته لعمله (الفصل الرابع). وتعترف الدولة المغربية بحق السفراء والوزراء المفوضين ونواب الدول في استخدام من يشاؤون من المغاربة لأنفسهم أو لدولهم ولكن من

حماية مغربي آخر وأن مستخدم الممثلين الأجانب لا يمكن اختيارهم من بين موظفي الحكومة المغربية ولا من بين الناس المتابعين قضائيا وأن قائمة المحميين ترسل كل سنة إلى وزير خارجية السلطان وإلى الولاة المحليين وأن الحماية تشمل أسرة المحمي ولكنها ليست وراثية وأن مستخدم الكتاب والتراجمة الوطنيين لا يتمتعون بالحماية وكذلك مستخدمو المستوطنين الأجانب لكن هؤلاء لا يمكن حبسهم دون إخبار القنصل الذي ينتمي إليه مستخدمهم وكذلك الحال بالنسبة للسماسة وللسماسرة وأن السماسة يؤديون الضرائب على الأنفس أو على الأموال ولا يمكن اعتقالهم إلا بعد إعلام القنصل إلا إذا كانوا ساعة الاعتقال متلبسين بالجريمة وأن الرعايا الأجانب والمحميين العاملين في الفلاحة يؤدون الضرائب الفلاحية وأن المغاربة المتجنسين بجنسية دولة أجنبية يخضعون لحكم السلطان عند رجوعهم إلى المغرب.

لقد كان هناك اتجاهان داخل المؤتمر، اتجاه يمثل السيد محمد بركاش الذي كان يسعى إلى إخراج السماسة من حظيرة المحميين بحيث يؤدون الضرائب ويخضعون لسلطة المخزن، كما سعى في أن تكون حرية التجار محدودة فلا يختارونهم من بين موظفي الحكومة ولا من بين سكان البادية والمدن الداخلية. وكان يؤازر ممثل المغرب في مطلبه هذا مؤازرة كلية أو جزئية ممثلا بريطانيا وإسبانيا. أما الاتجاه الثاني فمثله الفيس أميرال جوريس ممثل فرنسا الذي كان يتصرف طبق التعليمات الدقيقة التي تلقاها من وزارة الخارجية بباريس

وخلصتها عدم التنازل عن الامتيازات التي اكتسبتها فرنسا من معاهدات أمضيت بينها وبين المغرب مباشرة أو عن تلك التي اكتسبتها مما عقده المغرب مع غيرها من الدول. وأشار ممثل فرنسا أن التنازل الوحيد الذي يمكن أن يقبله هو أداء السماسة للضرائب الفلاحية مقابل الاعتراف الصريح بحق الأجانب في تملك الأراضي، وكان يؤازره في ذلك ممثلا إيطاليا وألمانيا.

وفي النهاية كان واضحا رجحان الكفة الفرنسية، فقد كان يؤازر فرنسا في وجهة نظرها الخاصة بحماية السماسة وحرية التجار الأجانب في اختيارهم ومساءلة المتجنسين عدد من الدول بمنتهى الحماسة أما المغرب فبذلت كفته مرجوحة من البداية لأن وفده كان عاجزا عن فهم ما يدور في المؤتمر بسبب جهل رئيسه وأعضائه للغات المشاركين فيه، فكانت تدخلاته قصيرة ردوده مقتضبة وطلباته لا تكون مجرد توصلات إلى الدول المشاركة.



مؤتمر الجزيرة الخضراء، الذي انعقد من 16 يناير حتى 7 أبريل 1906، بتحول الحماية إلى تدخل استعماري مباشر في المغرب.



# جذور امتيازات التدبير المفوض الأجنبي

## الحماية القنصلية بالمغرب

♦ يوسف رزين

في فصول تالية (الفصل العاشر) وتتعترف الدولة المغربية بحق التملك وتتم إجراءات شراء الأملاك والحكم فيها طبق القانون المغربي (الفصل الحادي عشر).

و يؤدي الأجانب والمحميون والسماصرة الضرائب كل سنة على يد قناصلهم كما يؤدون حقوق الأبواب لكن طريقة الأداء وتاريخه وتقدير المبالغ المؤداة يوضع لها نظام (ترتيب) يتم تحضيره من طرف وزير الخارجية ونواب الدول ولا يزداد في المبالغ المقدرة إلا بموافقتهم (الفصل الثاني والثالث عشر) ولا يتوسط مستخدمو القنصليات لفائدة غير المحميين إلا إذا استظهروا برسائل السفراء والقناصل (الفصل الرابع عشر). وإذا حصل مغاربة على شهادات تجنيس في الخارج ورجعوا إلى المغرب فبعد إقامتهم به مدة تساوي المدة التي أقاموها في الخارج للحصول على تلك الشهادات يخيرون بين قبول أحكامه أو الخروج منه، أما المتجنسون وقت إمضاء هذه الاتفاقية فيحتفظون بالجنسيات التي أعطيت لهم (الفصل الخامس عشر).

ولا تمنح في المستقبل حماية ضدا على هذه الشروط لكن يقع الاعتراف بجميع ما أعطي من الحماية حتى الآن تعسفا ويمكن للدول أن تمنح حماية استثنائية لبعض المغاربة الذين أدوا لدولة أجنبية خدمة عظيمة على أن لا يتجاوز عدد المحميين استثنائيا لكل دولة اثني عشر إلا إذا أعم السلطان عليها بعدد أكثر (الفصل السادس عشر). وتعترف الحكومة المغربية بصفة الدولة الفضلى لجميع الدول الممثلة في المؤتمر لتنعم مجتمعة بكل امتياز يمنح في المستقبل لإحداها منفردة (الفصل السابع عشر). أما الفصل الثامن عشر فيعلق بتبادل وثائق التصديق على الاتفاقية الذي يقع بطنجة في أمد قريب.

وهكذا نرى أن هذه الفصول لم تحقق شيئا مما كان المغرب يأمله ويتمناه وإنما وضعت حول عنقه بإحكام طوقا مازال يضيق ويخنقه حتى أفقده توازنه وشل حركته بعد 32 سنة. كما أنها وضعت حدا للعشوائية والفوضى اللتين كانت تعرفهما سوق التعسف وخرق القوانين وأحل محلها النظام والاستقرار حتى كان الشاعر لم يقل فيها إلا بيته الشهير :  
لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى صار ظلما منظما.

### خاتمة :

كان العصر في القرن 19 عصر المد الاستعماري للعالم الغربي المتسلح بالعلم والحدأة والتقنية على العالم الآسيوي الإفريقي المتخلف والفقير في التقليد والإقطاع لذلك كان طبيعيا ومقدرا أن يخضع للهيمنة الغربية سواء بشكل مباشر عن طريق القوة العسكرية أو بالتدريج عن طريق الحماية القنصلية، وهو القدر الذي تسلط على المغرب ولم يكن له بد من التقهقر أمامه والخضوع له سيما وأنه بلد تقليدي عتيق لا يمكنه أن يصمد أمام الآلة الغربية الحديثة.

إن مشكل الحماية القنصلية الذي تعرض له المغرب يكشف بجلاء ضعف المغرب المركب والمتعدد على جميع الأصعدة سواء كانت عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو إدارية أو فكرية أو دبلوماسية، بعبارة أخرى كان المغرب خلوا من المؤسسات التي يمكن أن تقوي بنيانه الداخلي وتمكنه من الصمود أمام الأطماع الأجنبية وهو ما يحتتم عليه الاهتمام بالمؤسسات على شتى أنواعها لأن في ذلك صونا لسيادته على المستوى البعيد.

مرجع :

ابن منصور، عبد الوهاب ، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، الطبعة الثانية، 1985، المطبعة الملكية، الرباط.



### كان القياد والأعيان مدخل الخيانة، بتسهيل الحماية والتغلغل الاستعماري.

غير أن يكونوا من شيوخ القبائل وسائر موظفي الحكومة كالجنود إلا المخازنية اللأزمين لحراستهم كما لا يمكنهم إعطاء الحماية لمغاربة مدعى عليهم في المحاكم أو متهمين بجريمة قتل قبل أن يحكم عليهم (الفصل الخامس). ويحترم منزل الحمي وأهله الساكنون معه كالأقارب والأبناء والأقارب القاصرين ولا تورث الحماية باستثناء أسرة ابن شيمول، نعم إذا أعم السلطان باستثناء آخر فلجميع الدول الممثلة في المؤتمر الحق في طلب مثل ذلك (الفصل السادس).

و يخبر ممثلو الدول كتابيا وزير الخارجية بكل موظف يستخدمونه و يبعثون إليه سنويا بقوائم محميينهم (الفصل السابع) كما يبعث القناصل والوكلاء القنصليون المقيمون في الموانئ قوائم محميينهم بها إلى ولايتها المغاربة كل سنة (الفصل الثامن). ولا يعتبر محميا من يخدم مع مستخدمي السفارات والقنصليات ولا من يخدم مع الأجانب والمحميين، ولكن الولاة المغربية لا يمكنهم اعتقال واحد منهم دون إخبار قنصل مستخدميه إلا في حالة تلبسه بجريمة القتل أو الجرح أو التعدي عليه فيعتقل و يعلم رئيس البعثة الدبلوماسية أو قنصله بعد ذلك (الفصل التاسع). وتطبق أحكام تسوية 1863 المتعلقة بالسماصرة إلا التعديلات المتعلقة بالضرائب المنصوص عليها





**في تأريخ احتجاجات  
المغاربة**  
♦ سعاد قجي



**حركة 20 فبراير  
تفكيك أكاديمي**  
♦ محمد سموني



**حركة 20 فبراير..  
سيناريوهات التلغيم**  
♦ عبد الرحيم ازبيدة



**جدلية السياسي  
والاجتماعي في 20 فبراير**  
♦ رشيد المشهور



# حركة 20 فبراير | بين التحول والاستنهاض

20 فبراير 2020  
Mouvement 20 février

من إنجاز : منعم وحتى

مرّ حوالي عقد من الزمن على انطلاق حركة عشرين فبراير الاحتجاجية بالمغرب، ماذا تبقى من هذه الحركة؟ وهل أشكال الاحتجاجات التي عرفها المجتمع المغربي منذ نشأتها إلى اليوم نسخ متجددة منها؟ وبأي حلة ستمود الحركة الفبرايرية؟ ثمة قاعدة سوسيولوجية تنطلق من أن التغيير، في المجتمعات المعاصرة، باعتباره ظاهرة اجتماعية، لا يمكن فهم معانيه وكشف دلالاته وتحليله بدقة وتفسيره بالعامل الوحيد، بل تسهم فيه عديد العوامل المركبة والمتداخلة أبعادها الطبيعية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

بعيدا عن نظرية المؤامرة، انطلقت حركة 20 فبراير في شروط سياقية خاصة عاشتها دول ومجتمعات منطقة شمال إفريقيا (تونس وليبيا والجزائر) والشرق الأوسط (سوريا ومصر واليمن وغيرها)، إذ نتيجة تراكم الضغوط السلطوية للأنظمة السياسية والأزمة المالية التي جعلت الأغلبية من داخل تلك المجتمعات تعيش حياة صعبة تنتقص من كرامتها، أفرزت وعيا حادا، ودفعت بالفاعلين الاجتماعيين والمدنيين والسياسيين، إلى التوقيع في الصراع من جديد والتعبير عنه في حركات احتجاجية متفاوتة في أشكال التعبير والتمظهر وطرق تصريفه وأساليب تنظيمه، من قطر إلى آخر؛ متفاوتة في الشكل واللون والحجم والثقل.



# حركة 20 فبراير:

## دراسة حول منطق الفعل الاحتجاجي في المغرب

• محمد سموني



دكتور في علم الاجتماع السياسي

في 20 فبراير 2021 يكون قد مر على بروز حركة 20 فبراير عشر سنوات. شباب مغربي من مختلف المشارب والمناطق خرجوا لينتفضوا ضد "الحركة" والتسلط، برؤايات الشباب الذين ملؤوا الساحات العامة والشوارع تختلف من حيث المرجعية إلى حد التناقض الهوياتي، "الأخ" رفقة "الكامراد" داخل مقرات أحزاب يسارية ونقابات يناقشون ويحاججون فيما بينهم للإعداد لمسيرة أو وقفة يوم الأحد وإكمال سيرورة الاحتجاج ضد "الفساد والاستبداد". هذه هي الصورة التي كانت عليها السيرورة النضالية لحركة 20 فبراير طيلة 7 أشهر من الاحتجاج، توجت في أقل من ثلاثة أسابيع من الحشد وتعبئة مختلف شرائح المجتمع المغربي بخروج الملك محمد السادس، بدون أي مناسبة، على غير عادة القصر، للإعلان عن حل الحكومة والدعوة لانتخابات تشريعية جديدة بعد مراجعة الدستور المغربي للمرة الأولى خلال حكمه الذي بدأ سنة 1999 وللمرة السادسة منذ استقلال المغرب سنة 1956. في هذه الورقة ساقدم أهم خلاصات أطروحة الدكتوراه التي نوقشت يوم 10 أكتوبر 2020 بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الدار البيضاء بعنوان: "الفعل الاحتجاجي بالمغرب: مساهمة سوسيولوجية لدراسة منطق الفعل الاحتجاجي لدى نشطاء حركة 20 فبراير".

انخراط مجموعة من نشطاء الحركة في عملية الفعل الجماعي وتراجع الحركة.

■ أثرت الاختلافات السياسية والإيديولوجية داخل حركة 20 فبراير بشكل كبير، على الفعل الاحتجاجي للحركة، وأدت زيادة على استجابة السلطة السياسية لبعض مطالبها، إلى تراجع الاحتجاجات وعملية التعبئة.

تروم هذه المحاولة إلى فهم وتفسير ظاهرة الحركات الاجتماعية الاحتجاجية، خصوصا في الحالة المغربية مجسدة في حركة 20 فبراير، ومحاولة فهم منطق اشتغالها سواء على مستوى طرق تعبئة أفرادها أو من خلال تحليل خطابها

السياسي، سيما وأن هذه الحركة أقامت معارضة قوية للنظام السياسي وذلك بحثه على الاستجابة إلى بعض مطالب الإصلاح التي رفعت في العشرين من فبراير 2011، عبر إعادة صياغة دستور جديد للبلاد والإعلان عن انتخابات سابقة لأوانها. فعلى الرغم من إقدام السلطة السياسية في المغرب بالعديد من الإجراءات الإصلاحية سواء في المجال الاجتماعي أو السياسي، إلا أن الديناميات الاحتجاجية الشبابية مازالت تبرز من خلال الاحتجاجات والمسيرات والوقفات الاحتجاجية في العديد من المناطق بالمملكة مما

يتيح تساؤلات عن مدى قدرة حركة شبابية مطلبية عن الاستمرار؟

في كثير من الأحيان طبيعة الموضوع البحثي هي التي تحدد نوعية المنهج. وانطلاقا من ذلك ومن كون

محرك الاحتجاج في منطق نشطاء الحركة؟ وهل يمكن أن تظهر حركة احتجاجية جديدة للاحتجاج في الشارع المغربي؟ وما هو محرك أي حركة احتجاجية جديدة؟ هل سيكون العامل السياسي أم الاجتماعي، أو كلاهما، هو محرك أي حركة احتجاجية ستظهر مستقبلا؟

للإجابة على هذه الإشكاليات المطروحة، انطلقت الدراسة من الفرضيات التالية:

■ يخضع منطق الفعل الاحتجاجي في المغرب بالأساس، إلى عنصر التعبئة الجماعية على المطالب الاجتماعية أساسا، بحيث كلما كانت الشعارات المعبئة تنطلق من

**إشكالية البحث الأساسية تتحد في محاولة فهم منطق الفعل الاحتجاجي عند نشطاء حركة 20 فبراير، والقناعات وأيضا المطالب التي قد تدفع بنشطاء حركة 20 فبراير للمودة إلى الاحتجاج.**

الجواب عن سؤال عام إشكالي، لا يمكن أن يتأتى إلا بالرجوع إلى أسئلة فرعية أخرى، تنهل "مشروعية"

طرحها من الرجوع إلى النظرية العامة للحركات الاجتماعية وأيضاً البراديغمات المفسرة للفعل الاجتماعي.

فهل حركة 20 فبراير، حركة اجتماعية أو حركة سياسية؟ هل الدافع الأساسي لانخراط النشطاء المحتجين فيها، يتركز على تبنيتها للمطالب السياسية أو الاجتماعية أو غيرها من المطالب الاقتصادية أو الحقوقية أو الدينية؟ وأيضاً يطرح سؤال هل يمكن تصنيف حركة 20 فبراير ضمن "الحركات الاجتماعية الجديدة"؟، وما إن كانت استطاعت أن توحد جميع المتناقضات التي يعرفها المجتمع المغربي داخل فعلها الاحتجاجي؟ هل استطاعت الحركة أن



المطلب الاجتماعي كلما كانت عملية التعبئة داخل الحركة الاحتجاجية ناجحة.

■ تدخّل التنظيمات السياسية الداعمة لحركة 20 فبراير في عملية اتخاذ القرار داخل الحركة، أدت إلى تراجع

تنظيم سيرورتها النضالية عبر إحداث هياكل وظيفية داخل تنسيقياتها المحلية؟ ولماذا لم تختز هذا النوع من التنظيم على المستوى الوطني؟ ماهي سيرورة اتخاذ القرار داخل الحركة؟ وهل أثرت الاختلافات السياسية والإيديولوجية على سيرورة عملها الاحتجاجي؟ وما هو



# حركة 20 فبراير:

## دراسة حول منطق الفعل الاحتجاجي في المغرب



محاولة بعض التيارات خلق هذا النوع من التنظيم من خلال مجلس "دعم" الحركة. وأيضاً غير فهم سيورة اتخاذ القرار داخل الحركة وما إن كان يخضع لقرارات الهيئات السياسية الداعمة؟ وفي الأخير، حاولنا فهم تأثير الصراعات السياسية والإيديولوجية على سيورة الحركة النضالية.

أيضاً في فصول هذا البحث حاولت دراسة منطق الفعل الاحتجاجي بعد حركة 20 فبراير، وذلك من خلال التطرق إلى الدينامية الاحتجاجية التي ظهرت بعد زمن الاحتجاج، مع حركة 20 فبراير إلى حدود انطلاق مجموعة من الحركات الاحتجاجية مثل "حراك الريف" واحتجاجات "جرادة" التي لا تدخل في نطاق البحث بشكل أساسي، سواء من خلال الديناميات التي اتخذت من الثقافة والفن وسائل للاحتجاج في الفضاء العام أو عبر الاحتجاج الافتراضي.

أيضاً مقارنة موضوع الهوية والاحتجاج، وذلك عبر استحضار براديجم "الهوية الجماعية" لمحاولة تحديد القيم التي يرى النشطاء أنها تعبر عن هويتهم الجماعية. كما تم التطرق في هذا الفصل إلى مسألة الثقة في المؤسسات السياسية والوسيلة للمجتمع المغربي، وكيف يمكن لعدم الثقة بشكل عام أن يكون حافزاً لحركة احتجاجية في الفضاء العام.

وفي آخر هذا الفصل قمت بمحاولة لتحديد مستقبل الاحتجاجات في المغرب، من خلال إمكانية بروز حركة احتجاجية جديدة في المغرب، وهل ستكون مطالب هذه الحركة تظهر ملاحظة تطور الاحتجاجات في المغرب وأيضاً في باقي العالم بشكل عام، أن المحدد الأساسي الذي أصبح محركاً لأي احتجاجات "جماعية"، هو المحدد الاجتماعي والاقتصادي، فبعد حركة 20 فبراير التي كانت تعتمد في عملية التعبئة بشكل أساسي على المطلب السياسي، برزت مجموعة من الحركات الاحتجاجية "المحلية" في كل من

مجموعة من الباحثين في الأعمال المنجزة - رغم نذرتها - حول "حركة 20 فبراير" اختلفوا في تصنيفها، فإن دراسة موضوع الفعل الجماعي الاحتجاجي بالمغرب من خلال دراسة حالة الحركة المذكورة، اتجه إلى الاعتماد على مقاربات ميدانية كيفية وكمية، وذلك بالارتكاز على تقنيات: الملاحظة بالمشاركة، التحليل الوثائقي وتقنية الاستمارة التي وزعت على 120 من النشطاء الذين شاركوا في حركة 20 فبراير وأساساً قاموا بالمشاركة في الاجتماعات التقريرية التي تحدّد فيها الحركة مختلف الخطوات الاحتجاجية ومواقفها السياسية.

تمت معالجة استمارة المقابلات، بعد جمع أجوبة النشطاء الذين وافقوا على إجراء المقابلة معهم، عبر تطبيق SPSS Statistics النسخة رقم 25، ما ساعدنا على تحليل مختلف مؤشرات هذه الدراسة وربط المؤشرات ببعضها لتحديد التقاطعات الممكنة وللوصول إلى نتائج رقمية تساعدنا على فهم توجهات الفعل الاحتجاجي وكذلك تأثير هذا الفعل بمجموعة من المؤشرات الأخرى.

ولمقاربة هذا الموضوع من مختلف جوانبه، حاولنا دراسة تمفصلات السياسي والاجتماعي في الفعل الاحتجاجي لحركة 20 فبراير للوقوف على المكونات المشكّلة للحركة وأيضاً الهيئات السياسية والاجتماعية الداعمة لها. ورصد العلاقة بين الفعل الاحتجاجي والانتماء السياسي، وذلك من خلال، وقف الانخراط السياسي بعد زمن الاحتجاج وأيضاً الانتماء السياسي بعد خفوت الاحتجاج. وفي الأخير، تم القيام بمحاولة لتحديد طبيعة الحركة، هل هي حركة اجتماعية أو سياسية؟

وفي فصل آخر قمنا بمحاولة رصد وفهم الاستراتيجيات والسلوكات النضالية داخل حركة 20 فبراير عبر مسألة سيورة نضال الحركة من خلال التنظيم والهيكلية خصوصاً على مستوى تنسيقيات الحركة المحلية، وكذلك اختيار الحركة عدم هيكلية نفسها على المستوى الوطني ورفض خلق أي مجلس أو هيكل وطني للحركة، رغم



# حركة 20 فبراير:

## دراسة حول منطق الفعل الاحتجاجي في المغرب

الكريم الخطابي. كما بدا الاعتماد على هذه "الهوية الجماعية" من خلال حراك جرادة عبر الاعتماد على "الهوية الوطنية" المغربية، داخل عملية التعبئة والاحتجاج عبر استعمال المكثف للراية المغربية داخل الفعل الاحتجاجي.

بالعودة إلى تصاعد الاحتجاجات التي عرفها المغرب من سنة 2011 إلى سنة 2017، حسب الإحصائيات التي حصلنا عليها بشكل عام وليس بتفاصيل نوع الاحتجاجات وموضوعها.. إلخ، يظهر أن وثيرة الاحتجاجات التي عرفها المغرب تتصاعد في السنوات القليلة الأخيرة، حيث انتقلت من معدل 27,91 احتجاج في اليوم سنة 2014 إلى 47,97 احتجاج يومي في سنة 2017، والتي تحمل في غالبيتها مطالب اجتماعية مفتوحة محضة (والتي بدأت تظهر كثيرا في الهوامش وفي المجال القروي) أو مطالب مغلقة مثل: احتجاجات المعطلين التي تطالب بالإدماج في الوظيفة العمومية أو احتجاجات الأساتذة المتعاقدين.. وغيرهم من الحركات الاحتجاجية التي تشكلت من أجل مطالب مغلقة أو محددة.



لقد تميزت الاحتجاجات التي عرفها المغرب منذ سنة 2011، وقبلها بسنوات قليلة، باعتماد السلمية كخيار أساسي في الاحتجاج، حيث عبرت حركة 20 فبراير، منذ اليوم الأول الذي نادى فيه بالخروج للاحتجاج ضد ما أسمته "الفساد والاستبداد"، بالسلمية كمبدأ في التعبير على مطالبها، وذلك تماشيا مع مختلف الاحتجاجات التي عرفتها المنطقة في ذلك الوقت، لكن رغم ذلك عرفت بعض الاحتجاجات التي عرفها المغرب بعد خفوت حركة 20 فبراير، خصوصا في كل من مناطق الريف المغربي وجرادة، بعض أعمال العنف التي حوّلت الاحتجاجات السلمية إلى شبه "تمردات" des émeutes من خلال المواجهة بين المحتجين ورجال الأمن.

### اتخاذ القرار في زمن الاحتجاج

كان اتخاذ القرار داخل حركة 20 فبراير، أحد الرهانات الأساسية لمختلف التيارات السياسية وأيضا الاجتماعية (النقابات) الداعمة لحركة 20 فبراير وكذا مجموعات الأفراد المستقلين الذين شكلوا وحدة "تنظيمية" داخل الحركة، بحيث كان يعتبر القرار داخل الحركة من بين الأمور الأساسية التي يراهن عليها جميع الفاعلين بما فيهم الأفراد، حيث كانت تعرف الجموع العامة والاجتماعات، على الأقل في مدينتي الدار البيضاء والرباط التي قمنا بملاحظتها طيلة زمن الاحتجاج، الكثير من النقاشات وفي بعض الأحيان الصراعات بين "الجماعات السياسية" وأيضا الأفراد المستقلين بخصوص اتخاذ القرار داخل الجموع العامة، بحيث كان يصر أغلب الأفراد غير المنتمين سياسيا بإبعاد القرار داخل الحركة عن التنظيمات السياسية، وإخضاعه للتداول والتصويت داخل الجموع العامة بين مختلف الأفراد المشاركين في الفعل الجماعي الاحتجاجي.

من بين المبادرات العقلانية التي استطاعت الحركة في بداياتها أن تؤسس لها، هي إشراك جميع المشاركين في الفعل الاحتجاجي في اتخاذ القرار بعيدا عن سطوة الأحزاب والتنظيمات السياسية المشاركة في حركة 20 فبراير، والتي

الريف (الحسيمة والناظور وغيرها من مناطق الريف) أو جرادة التي تحمل المطلب الاجتماعي بشكل أساسي. لكن طريقة تعامل الدولة مع هذه الاحتجاجات، من خلال الاعتقالات والتدخلات الأمنية، حول الحراك الاجتماعي المحلي إلى قضية سياسية تلغي الجانب الاجتماعي ليتحول المطلب إلى سياسي أو حقوقي محض.

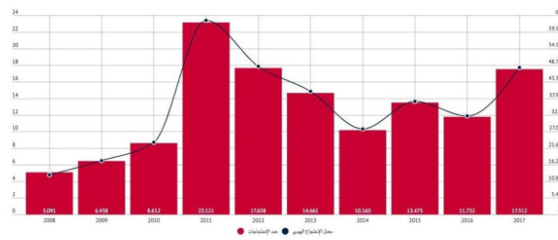
والملاحظ كذلك، أن منطق الاحتجاج السياسي في المغرب، بدأ يخضع بشكل أساسي إلى منطق (الربح/الخسارة)، بشكل كبير، فقد أصبحت عملية التعبئة بالنسبة للحركات الاجتماعية في الميدان العام تعرف صعوبة كبيرة، بسبب الاعتقالات وتدخل الدولة. كما برز بشكل متصاعد الاحتجاج السياسي أساسا، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، التي أصبحت وسيلة افتراضية للضغط على الحكومة وأيضا النظام السياسي، والتي أضحت تحقق نتائج سريعة مقارنة مع الاحتجاجات في الفضاء العام.

من المشاكل الأساسية التي برزت، خصوصا في دراسة منطق الاحتجاج لدى نشطاء حركة 20 فبراير، تأتي مسألة بناء الهوية الجماعية بين مختلف التوجهات المشكلة لهذه الحركة. فكما تم توضيح ذلك في بعض فصول هذه الأطروحة، فالضراعات الإيديولوجية والهوياتية لعبت دورا كبيرا، زيادة على استباق السلطة السياسية للإصلاحات السياسية والدستورية، في تراجع الحركة على مستوى الشارع وخفوت مطالبها الاجتماعية والاقتصادية وأيضا السياسية التي لم يستجب لها النظام السياسي المغربي.

رغم المحاولات التي تمت من قبل مجموعة من النشطاء إلى إرساء شعارات ورموز تحاول إرساء "هوية جماعية"، مثل: إطلاق وصف "كماراخ" لتوحيد النشطاء المنتمين "اليساريين" و"الإسلاميين" داخل الحركة، وأيضا إطلاق تحية موحدة بين مختلف النشطاء "تحية عشرينية"، لم تستطع الحركة على المستوى الفعلي بناء قنوات مشتركة بين مختلف التيارات التي شكلتها.

بالرجوع إلى الاحتجاجات التي ظهرت بعد حركة 20 فبراير، أساسا التي ابتعدت عن المطلب السياسي وركزت على الاجتماعي (الريف وجرادة)، يظهر أن الهوية الجماعية (الريفية) في حالة حراك الريف، لعبت دورا أساسيا في عملية التعبئة داخل كل من الحسيمة والناظور، بحيث إن "الهوية المغلقة" لهذه المنطقة بدت محددا أساسيا في كثير من خطابات "قيادات" هذا الحراك من أجل التعبئة التي تحدث عبر "الذاكرة الريفية" وأيضا الاستشهاد بأقوال محمد بن عبد

عدد الاحتجاجات التي عرفها المغرب بين سنة 2008 و 2017





# حركة 20 فبراير:

## دراسة حول منطق الفعل الاحتجاجي في المغرب



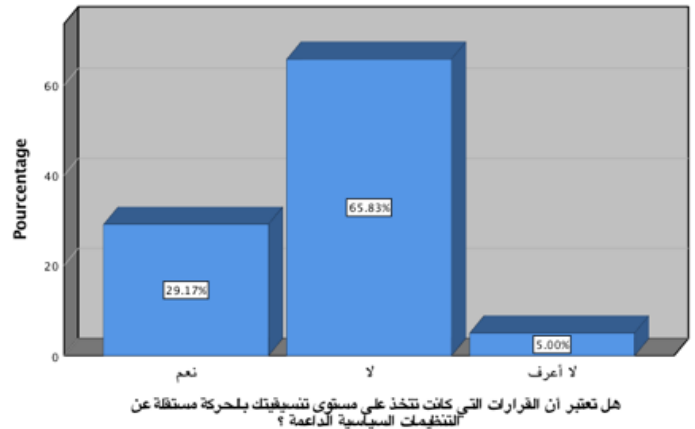
كانت تتصارع فيما بينها تارة وتحالف تارة أخرى من أجل التأثير في قرارات الحركة بالجموع العامة ومحاولة توجيهها.

فيما اختارت أغلب تنسيقيات الحركة على المستوى الوطني أن تدبر مسألة اتخاذ القرار داخل الحركة بإخضاعه أولاً وأخيراً لتداول ومصادقة الجموع العامة، اختارت تنسيقيات أخرى (الدار البيضاء مثلاً) أن تقوم بإحداث "نواة صلبة" ممثلة من قبل جميع التيارات السياسية وعلى الخصوص (أحزاب اليسار وجماعة العدل والإحسان)، تقوم بالتداول في القرارات التي يجب وضعها وحشد الدعم لها في الجموع العامة، بشكل سري، وخارج اللقاءات الرسمية لتنسيقية الحركة.

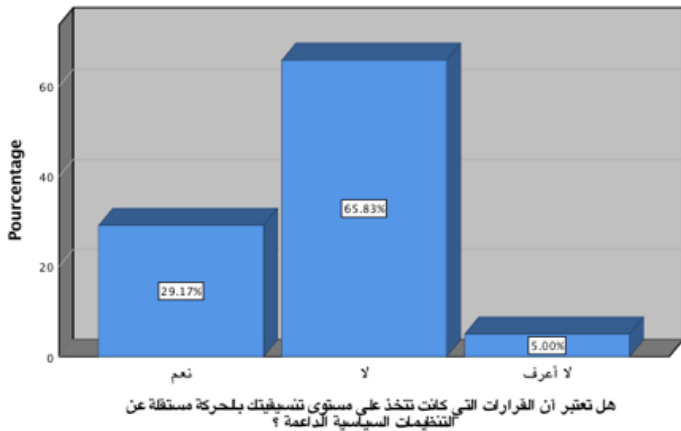
لذلك قمنا في هذا البحث بتوجيه أسئلة في الاستبيان الموجهة لنشطاء الحركة، حول مسألة استقلالية قرارات الحركة عن التنظيمات السياسية الداعمة والمشاركة في حركة 20 فبراير؟ وأيضاً في محاولة لفهم منطق اتخاذ القرار في الحركة، تم توجيه سؤالين آخرين عن مسألة اتخاذ القرار: الأول حول القرارات التي كان يدعمها

المستجوب داخل اجتماعات وجموع الحركة العامة، والثاني عن القرارات التي كان يرى النشطاء الآخرون داخل الجموع العامة أنهم يدعمونها بشكل أكبر هل هي القرارات التي طرحها التنظيمات الداعمة للحركة أو قرارات اتخذت أو طرحت من قبل جماعة أفراد داخل الحركة أو قرارات أفراد؟

### رسم بياني: استقلالية قرارات الحركة عن التنظيمات السياسية الداعمة لها



### رسم بياني: مصدر القرارات التي يدعمها النشطاء داخل تنسيقيات الحركة



كما لا يمكن فهم تفاصيل اتخاذ القرار داخل مختلف تنسيقيات حركة 20 فبراير في زمن الحراك السياسي والاجتماعي، وخصوصاً مسألة تأثير التنظيمات السياسية الداعمة للحركة، بدون ملاحظة جموع الحركة العامة، عبر طريقة طرح مقترحات فعلها النضالي والتصويت عليها، ودعمها داخل اجتماعات الحركة. وهكذا، كانت أغلب التنسيقيات تضم داخلها مجموعات، سواء منها تلك التي تنتمي إلى نفس التنظيم السياسي أو التيار السياسي، وأيضاً مجموعات أخرى تدفع باختياراتها "المستقلة" عن التنظيمات السياسية الداعمة لكنها تدفع بتوجه معين داخل الحركة.

فالتوافق "السياسي" كان يسود في أغلب التنسيقيات بين شباب التنظيمات اليسارية "الحزبية" وشباب العدل والإحسان، ففي حين اختارت بعض التنسيقيات (الدار

# حركة 20 فبراير:

## دراسة حول منطق الفعل الاحتجاجي في المغرب

### الهوية والاحتجاج

من بين المواضيع الأساسية التي كانت ومازالت تطرح في دراسة الحركات الاحتجاجية الجديدة منها والقديمة في المغرب بالخصوص، هيمنة القيم الجماعية على الفعل الجماعي بكل أشكاله بما في ذلك الفعل الاحتجاجي على سيرورة الديناميات الاجتماعية، بشكل ربما يستحضر القيم الفردانية في خطبه، برامجه..

طيلة ملاحظة دينامية 20 فبراير وخصوصا تنسيقتي الدار البيضاء والرباط، كانت دائما الصراعات الأيديولوجية ذات البعد الهوياتي، تبرز داخل تنسيقيات الحركة، بين التيارين الإسلامي واليساري ومع تيار يمثل الحركة الأمازيغية داخل الحركة. ولدراسة

منطق الفعل الاحتجاجي داخل الديناميات الاحتجاجية، كان لزاما طرح مجموعة من الأسئلة على النشطاء المستجوبين المتعلقة بالصفات التي يرونها ضرورية بالنسبة لأفراد الدينامية الاحتجاجية، مما يوضح سؤال هل الحركة الاحتجاجية الجديدة، التي عرفها المغرب، من خلال حركة 20 فبراير أو أن الديناميات الاحتجاجية الجديدة يجب أن تكون حركة "أفراد" أم أنه من الضروري توفر مجموعة من القيم الجماعية داخل مثل هذه الحركات؟

ومن الأسئلة التي تم وضعها سؤال حول الصفات التي يرى النشطاء ضرورة توفرها في أفراد الدينامية الاحتجاجية، إذ حاولنا أن نطرح فيه (السؤال) مجموعة من الصفات التي تزواج بين الصفات الفردانية وأخرى ذات بعد "جماعي".

ومن بين الصفات التي عرفت نسبة عالية من الترددات، وذلك على اعتبار أن الجواب على هذا السؤال كان متعدد الاختيارات choix multiples، نجد صفة "الالتزام" بحيث اعتبر 80,8 % من المستجوبين أن هذه الصفة من الضروري أن تتوفر في أعضاء الدينامية الاحتجاجية، فيما جاءت صفة "التسامح واحترام الآخرين" في المرتبة الثانية بنسبة 72,5 %، وجاءت صفة "الوعي" في المرتبة الثالثة بحيث اعتبر 70 % من النشطاء أنه من الضروري توفرها في أعضاء الدينامية الاحتجاجية، وصفة "الشعور بالمسؤولية" جاءت في المرتبة الرابعة بنسبة 68,3 %، بعدها كل من صفتي "الاستقلالية الفردية" و"الكفاءة التنظيمية" في المرتبة الخامسة بنسبة 52,5 %، وبنسبة أقل جدا اعتبر 6,2 % ضرورة توفر صفة "الإيمان الديني" في أعضاء الدينامية الاحتجاجية، وأخيرا 5,8 % فقط من المستجوبين عبروا عن ضرورة توفر "الانخراط في حزب سياسي" في المنتمين إلى الدينامية الاحتجاجية.

### جدول: الصفات الواجب توفرها حسب النشطاء في أفراد الدينامية الاحتجاجية

| الصفات التي يرى النشطاء ضرورة توفرها في افراد الدينامية الاحتجاجية |                         |          |             |                            |
|--------------------------------------------------------------------|-------------------------|----------|-------------|----------------------------|
|                                                                    |                         | Réponses |             | Pourcentage d'observations |
|                                                                    |                         | N        | Pourcentage |                            |
| الصفات التي يرى النشطاء ضرورة توفرها                               | الاستقلالية الفردية     | 63       | 12.8%       | 52.5%                      |
|                                                                    | الالتزام                | 97       | 19.8%       | 80.8%                      |
|                                                                    | الانخراط في حزب سياسي   | 7        | 1.4%        | 5.8%                       |
|                                                                    | الإيمان الديني          | 8        | 1.6%        | 6.7%                       |
|                                                                    | الشعور بالمسؤولية       | 82       | 16.7%       | 68.3%                      |
|                                                                    | الوعي                   | 84       | 17.1%       | 70.0%                      |
|                                                                    | الكفاءة التنظيمية       | 63       | 12.8%       | 52.5%                      |
|                                                                    | التسامح واحترام الآخرين | 87       | 17.7%       | 72.5%                      |
|                                                                    | Total                   | 491      | 100.0%      | 409.2%                     |

a. Groupe de dichotomies mis en tableau à la valeur 1.

a. Groupe de dichotomies mis en tableau à la valeur 1.

أولى مجموعة من الباحثين في موضوع الحركات الاحتجاجية الجديدة، أهمية بالغة لمسألة الهوية الجماعية داخل التنظيمات الاحتجاجية، بحيث استعمل مفهوم الهوية الجماعية في دراسة الحركات الاجتماعية بمعناه العلمي منذ ستينيات القرن الماضي، وبشكل خاص في دراسة الأسس التي تقوم عليها عملية الانتقال من "الفئة على الورق" إلى "الفئة المعبأة". ولكن مفهوم الهوية الجماعية لم يظهر كموضوع الدراسة في سوسيولوجيا الفعل الجماعي سوى في سبعينات القرن الماضي. ومن خلال القطع مع نظريات تعبئة الموارد، سعى بعض الباحثين إلى تحليل أنواع من التعبئة رأوا أنها تختلف عن الأشكال الأكثر "كلاسيكية" للفعل الجماعي، أي



الأشكال التي بنيت، حتى ذلك الوقت، حول المعارك من أجل المواطن أو حول ثنائية رأس المال/ العمل.

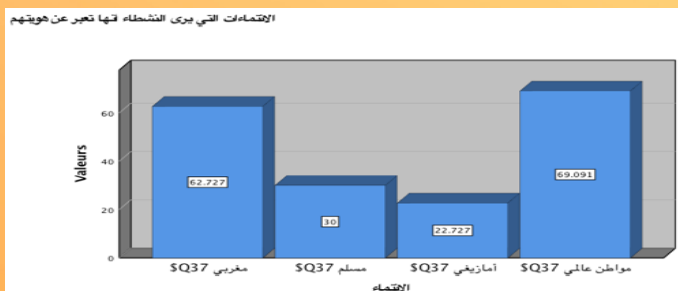
كما تعرضت التحولات الاجتماعية التي يفترضها منظرو الحركات الاجتماعية الجديدة لنقد صارم، لاسيما أن كل تعبئة جماعية تنطوي على بعد هوياتي. بيد أن الفضل يعود إلى هؤلاء المنظرين في طرح سؤال تكوين "النحن" من منظور السيرورة، محاولين على الخصوص التأكيد على أن الوحدة "هي نتيجة وليس نقطة بداية، وأن التحليل يرمي إلى تفسيرها". ويصر "ألبرتو ميلوتشي" على ثلاثة أبعاد لصياغة الهويات الجماعية داخل الحركات الاجتماعية وعبرها، وهي: أهداف الفعل من جهة (من خلال الاهتمام بالدلالات التي يعطيها لها الفاعلون)، الوسائل المتاحة للفعل من جهة ثانية، وأخيرا، العلاقات مع البيئة، منظورا إليها من وجهة نظر خارجية وداخلية (من داخل الحركات) على السواء.

فتحليل الهوية الجماعية يقتضي الالتفات في آن واحد إلى طريقة بناء تلك الهوية وإلى كونها رهانا ثابتا للمعارك سواء على الصعيد الخارجي أو الداخلي للحركة. فعلى المستوى الخارجي، تخاض المعركة في فضاءات اجتماعية تندرج فيها الحركات بغرض تعريف حدودها الرمزية، وكذلك بقصد التأثير في توجيه المعركة.

داخل حركة 20 فبراير، كانت تطرح مسألة الهوية دائما، داخل تنسيقيات الحركة بمعنى هوية "الانتماء الأيديولوجي"، أكثر من النقاش حول بناء "هوية جماعية" مشتركة داخل الحركة، لذلك كان من الضروري طرح سؤال حول الانتماءات التي يرى النشطاء أنها تعبر عن هويتهم؟

وفي تفاصيل أجوبة النشطاء المستجوبين، فقد اعتبر 69,09 % من المستجوبين أنهم يرون انتمائهم كمواطنين عالميين يعبر أكثر على انتمائهم الهوياتي. فيما اعتبر 62,72 % من المستجوبين، الذين أجابوا على هذا السؤال باختيارات متعددة، أنهم يرون أن الانتماء "المغربي" يعبر أكثر على انتمائهم الهوياتي، وفي نفس السؤال اعتبر 30 % من المستجوبين أن الانتماء للدين الإسلامي يعبر عن هويتهم بشكل أكبر، فيما اعتبر 22,72 % أن الانتماء الأمازيغي يعبر أكثر على انتمائهم الهوياتي.

### رسم بياني: الانتماءات التي يرى النشطاء أنها تعبر عن هويتهم





# حركة 20 فبراير:

## دراسة حول منطق الفعل الاحتجاجي في المغرب

### مستقبل الاحتجاج

بـ"لا أعرف".

أما فيما يتعلق بمحرك أي حركة احتجاجية مستقبلية، فقد أوضح 86 ناشطاً (71,7%) من نشطاء الحركة المستجوبين أن محرك أي حركة احتجاجية ستظهر مستقبلاً في المغرب سيكون اجتماعياً، بينما اعتبر 53 ناشطاً (44,2%) أن محرك أي حركة احتجاجية جديدة سيكون اقتصادياً، و45 ناشطاً (37,5%) اعتبروا أن محرك أي حركة احتجاجية سيكون سياسياً، ونفس عدد النشطاء 45 ناشطاً (37,5%) أوضحوا أن محرك أي حركة احتجاجية مستقبلية سيكون حقوقياً، واعتبر 11 ناشطاً (9,2%) أن محرك أي حركة احتجاجية مستقبلية سيكون نقابياً، و فقط 8 نشطاء اعتبروا أن الدين سيكون محركاً لأي حركة احتجاجية ظهرت في المغرب، بينما فقط ناشطين اثنين أجابوا على هذا السؤال بـ"لا أعرف".

تم طرح الأسئلة في الاستجواب الذي أجري مع نشطاء حركة 20 فبراير بخصوص رأيهم في مستقبل الاحتجاجات في المغرب، وجواباً على سؤال إمكانية عودة حركة 20 فبراير للاحتجاج، أوضح 56 ناشطاً (46,7%) أنه لا توجد إمكانية لعودة حركة 20 فبراير للاحتجاج، بينما اعتبر 42 ناشطاً (35%) أن هناك إمكانية لعودة هذه الحركة للاحتجاج، فيما اختار 22 ناشطاً (18,3%) الجواب على هذا السؤال بـ"لا أعرف".

### جدول: عودة حركة 20 فبراير للاحتجاج

| هل من الممكن عودة حركة 20 فبراير للاحتجاج |           |             |                    |                    |
|-------------------------------------------|-----------|-------------|--------------------|--------------------|
|                                           | Fréquence | Pourcentage | Pourcentage valide | Pourcentage cumulé |
| Valide                                    | نعم       | 42          | 35.0               | 35.0               |
|                                           | لا        | 56          | 46.7               | 81.7               |
|                                           | لا أعرف   | 22          | 18.3               | 100.0              |
| Total                                     | 120       | 100.0       | 100.0              |                    |

### جدول: محرك أي حركة احتجاجية مستقبلية:

| محرك أي حركة لاحتجاجية سيكون |          |             |                            |
|------------------------------|----------|-------------|----------------------------|
|                              | Réponses |             | Pourcentage d'observations |
|                              | N        | Pourcentage |                            |
| سياسي                        | 45       | 18.0%       | 37.5%                      |
| اجتماعي                      | 86       | 34.4%       | 71.7%                      |
| اقتصادي                      | 53       | 21.2%       | 44.2%                      |
| نقابي                        | 11       | 4.4%        | 9.2%                       |
| حقوقية                       | 45       | 18.0%       | 37.5%                      |
| ديني                         | 8        | 3.2%        | 6.7%                       |
| لا أعرف                      | 2        | 0.8%        | 1.7%                       |
| Total                        | 250      | 100.0%      | 208.3%                     |

a. Groupe de dichotomies mis en tableau à la valeur 1.

أما بالنسبة لرأي نشطاء حركة 20 فبراير في إمكانية بروز حركة احتجاجية اجتماعية جديدة فقد أوضح 110 ناشطاً (91,7%) بأن هناك إمكانية بروز حركة احتجاجية جديدة، فيما اعتبر ناشطين اثنين فقط أنه لا توجد أي إمكانية لبروز حركة احتجاجية اجتماعية جديدة في المغرب، فيما اختار ثمانية نشطاء (6,7%) من المستجوبين الجواب على هذا السؤال بـ"لا أعرف".

وبخصوص إمكانية مشاركة النشطاء المستجوبين في حركة احتجاجية جديدة في حالة بروزها، أوضح 86 ناشطاً (71,7%) أنهم سيشاركون في أي حركة احتجاجية جديدة إذا برزت في المغرب، مقابل ناشطين اثنين فقط أجابوا بعدم مشاركتهم في هذه الحركة الاحتجاجية لحظة بروزها، بينما فضل 32 ناشطاً (26,7%) الجواب على هذا السؤال





# حركة 20 فبراير:

## دراسة حول منطق الفعل الاحتجاجي في المغرب

أدبيات الحركات الاجتماعية تنطوي على العديد من التنميطات، حيث يميز بعضها بين نوعين من الآثار: قبول الحركات طرف ذي شرعية من قبل السلطة السياسية، وهي نتيجة إجرائية الطابع، والقدرة على إحداث تغييرات في السياسات العامة، وهي نتائج ملموسة متعلقة بالمحتوى. ويضاف إلى هذين النوعين من الآثار نوع ثالث، وهو تحقيق نتائج بنوية كإسقاط الحكومة مثلا، ويمكن أيضا إضافة نمط رابع إلى هذه الثلاثية، وهو إجبار السلطات العامة على تقديم تنازلات من جهة، وإحداث تغيير حقيقي فيما يتعلق بقضايا الصراع من جهة أخرى..

بالعودة إلى ما حققته حركة 20 فبراير، في أقل من ثلاثة أسابيع، من احتجاجها في الشارع، فقد قامت بإجبار السلطات السياسية في المغرب، على إيجاد مخرج سياسي عبر خطاب ملكي، أعلن فيه الملك محمد السادس عن تعديل دستوري وإجراء انتخابات برلمانية سابقة لأوانها، وهي الإجراءات التي جاءت تفاعلا مع مطالب حركة 20 فبراير، وهذا يعتبر أثرا إيجابيا لنجاح الحركة الاحتجاجية، عبر إجبار السلطات على تقديم تنازلات وهو مؤشر يمكن اعتبار أنها نجحت في تحقيقه على مستوى اللعبة السياسية من خلال المراجعة الدستورية. لكن لا يمكن المخاطرة بالقول أن التغييرات التي عرفها المغرب، على المستوى الدستوري، يعتبر نجاحا للحركة في تغيير مجتمعي حقيقي.

### مراجع مقترحة:

- تيد روبيرت، كور. 2004. لماذا يتمرد البشر؟ دي: مركز الخليج للأبحاث.
- خمليش، عزيز. 2005. الانتفاضات الحضرية بالمغرب: دراسة ميدانية لحركتي مارس 1965 ويونيو 1981. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.
- حمودي، عبد الله. 2010. الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة. ترجمة عبد المجيد جحفة. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- رشيق، حسن الطوذي محمد والعبادي محمد. 2013. الإسلام في الحياة اليومية، بحث حول القيم والممارسات الدينية في المغرب. الدار البيضاء: ملتقى الطرق.

- Bourdieu, Pierre. 1979. La Distinction. Critique sociale du jugement. Paris : Minuit.
- Bourdieu, Pierre. 1994. Raisons Pratiques sur la théorie de l'action. Paris : Édition du seuil.
- Olson, Mancur. 1978. Logique de l'action collective, préface de Raymond Boudon. Traduit de l'américain par Mario Levi. Paris : Presses Universitaires de France.
- Bennani-Chraïbi, Mounia, et Mohamed Jekhllaly. « La dynamique protestataire du Mouvement du 20 février à Casablanca », Revue française de science politique, vol. 62, no. 5-6, 2012, pp. 867-894.
- Rachi-, Abderrahmane. 2016. La Société contre L'État, Mouvements Sociaux et stratégie de la rue au Maroc. Casablanca : la croisée des chemins.
- Rachi-, Hassan. 2016. Éloge des Identités Molles. Casablanca : Éditions La croisée des chemins.
- Sharp, Gene. 2009. De la dictature à la démocratie : un cadre conceptuel pour la libération. Paris : L'Harmattan.
- Touraine, Alain. 1973. la Production de la société. Paris : Seuil.

(\*) ينشر ملخص هذه الدراسة التي نوقشت كموضوع أطروحة دكتوراه باتفاق مع موقع [mupresse.com](http://mupresse.com).



### خلاصات عامة

من الخلاصات العامة التي من الممكن أن تكون بمثابة خلاصات عامة لدراسة منطق ومستقبل الفعل الاحتجاجي في المغرب أنه:

■ من الصعب أن تعود حركة 20 فبراير إلى الشارع للاحتجاج، بحيث اعتبر غالبية نشطاء الحركة المستجوبين (46,7%) أنه من غير الممكن أن تعود حركة 20 فبراير للاحتجاج، فيما صرح (35%) من النشطاء المستجوبين أن هناك إمكانية لعودة حركة 20 فبراير للشارع.

■ هناك إمكانية بروز حركة احتجاجية جديدة في المغرب، بحيث أوضح أغلب النشطاء المستجوبين (91,67%) أن هناك إمكانية كبيرة لبروز حركة احتجاجية جديدة في المغرب.

■ أغلب نشطاء حركة 20 فبراير المستجوبين (71,67%) سيشاركون في حركة احتجاجية جديدة إذا برزت في المغرب.

■ الحركات الاحتجاجية التي من المتوقع أن تظهر مستقبلا ستكون مضمون اجتماعي، بحيث أوضح 71,7% أن أي محرك أي حركة احتجاجية سيكون اجتماعيا.

بعد مقارنة "السلمية" أو "اللاعنفية" في اعتماد الفعل الاحتجاجي، وما واكبها من تنظيرات سياسية وأو سوسيولوجية... عاد النقاش، على الأقل على المستوى النظري، وكذلك في ممارسة بعض الحركات الاحتجاجية بأوروبا، على الخصوص، كحركة "السترات الصفراء" في فرنسا، إلى سؤال جدوى الاحتجاج السلمي وما إن كان يؤدي إلى نتائج على المستوى "تحقيق مطالب" هذه الحركات الاحتجاجية ذات البعد الاجتماعي.

لذلك يبقى التساؤل مطروحا، في السياق المغربي، هل ستتصاعد الاحتجاجات ذات البعد الاجتماعي؟ فبلغة الأرقام الرسمية التي يقدمها المغرب في التقارير الدورية التي تخص حقوق الإنسان على المستوى الدولي، وكذلك في بعض التقارير الوطنية، كتقارير المجلس الوطني لحقوق الإنسان والتصريحات التي تقدمها وزارة الداخلية أمام البرلمان، هناك تصاعد مطرد لهذه الاحتجاجات في الفضاء العام. لكن هل ستبقى هذه الحركات الاحتجاجية ترفع دائما شعارات عبر الاعتماد على السلمية أو اللاعنفا؟ أم أن توجه بعض الحركات الاجتماعية الاحتجاجية الجديدة في السياق الأوروبي إلى العنف كسلاح احتجاجي، سيغير من نمط الفعل الاحتجاجي لدى الحركات الاجتماعية في المغرب لكي تتحول بدورها إلى اعتماد فعل احتجاجي جماعي يعتمد على العنف أو "التمرد"؟

وبخصوص فشل أو نجاح حركة 20 فبراير، كحركة احتجاجية، فبالعودة إلى الأدبيات السوسيولوجية لمسألة نجاح أو إخفاق الحركات الاحتجاجية، والتي لا تخلو من صعوبة إستراتيجية وتحديا يتعلق بتحديد حقل التحليل، وتكمن الصعوبة أساسا في أن مفهوم "النجاح" أو "الإخفاق" يعبران بوضوح عن نظرة ذاتية أو إيديولوجية.



# حركة 20 فبراير وسيناريوهات المخزن



## • عبد الرحيم أزبيدة

خرجت حركة 20 فبراير إلى الوجود من رحم معاناة الشعب المغربي، وفي سياق الربيع العربي، الذي حمل رياح التغيير ونسائم الحرية والكرامة، التي ميزت انتفاضة الجماهير العربية. هذا الربيع كسر كل الحدود بين البلدان العربية وأعلن ميلاد مرحلة جديدة من تاريخها، عنوانها العريض إسقاط أنظمة الاستبداد والفساد، ومحركها إرادة الجماهير الشعبية في صنع مستقبلها. هذا الربيع العربي فتح أيضا طريق الأمل أمام الجماهير المقهورة في إمكانية التغيير والقطع مع كل مظاهر اليأس والإحباط التي ميزت المرحلة السابقة.

وجاءت حركة 20 فبراير بدعم من قوى التغيير، لتكون صوت الفقراء والمحرومين في المغرب، في ظل استمرار الحكم الاستبدادي وسلطة الفساد ونهب المال العام وتزوير إرادة الشعب المغربي وحرمانه من حقه في الشغل ومن حقه في المشاركة الفعلية في تدبير الشأن العام للبلاد.

خرجت حركة 20 فبراير إلى الشارع، وحركت المخزون النضالي للشعب المغربي، وأيقظت وعيه من جديد، ورفعت مطالبه المشروعة التي لم تعد تحتل الأجيل ولا التسويف، من أجل الحرية والديمقراطية والمساواة، ومن أجل القطع مع الطابع الاستبدادي للنظام، الذي ظل يعيق إقامة الديمقراطية في المغرب، والمطالبة بتغيير شامل يؤسس لمرحلة جديدة تصبح فيها الديمقراطية يختلف جوانبها هي السائدة في تدبير شؤون الدولة والمجتمع، من خلال انتخابات شفافة ونزيهة في إطار دستور ديمقراطي يحترم سيادة الشعب المغربي، وفصل حقيقي للسلط واستقلال القضاء واحترام حقوق الإنسان،

هاته المطالب خلقت التفافا جماهيريا حول الحركة لكونها جسدت تطلعات وطموحات الشعب المغربي الذي ظل يناضل من أجلها طيلة عقود من الزمن، وقدم من أجلها تضحيات جسيمة وقافلة من الشهداء. مما جعل النظام يوظف جيوب المقاومة، وجميع إمكاناته الإعلامية والسياسية والحقوقية والأمنية لواء الحركة واستئصالها، وعرقلة نضالها، ضمن استراتيجية هجومية مضادة تجمع بين السياسة والعنف، لها أدبياتها وفكرها وأسلوبها وتوحيدها، لوضع الخطط وتنفيذها للتعامل مع وضع جماهيري ثوري قائم.

**فكيف خطط النظام لإجهاض الحركة وماهي السيناريوهات والمناورات السياسية التي اعتمدها لتحقيق ذلك ؟**

## أولا: سيناريو الاستثناء المغربي

حرص النظام المغربي من خلال أبقائه الإعلامية وأحزابه الإدارية وجل مؤسساته الطبقية، على الترويج لقاعدة الاستثناء المغربي، قبل انطلاق مسيرة 20 فبراير. ويهدف المروجون لها إلى زرع الإحباط واليأس في صفوف الشباب، واستثناء الشعب المغربي من موجة التغيير التي أطلقتها شعوب المنطقة، عبر شعاراتها التوحيدية، والتي تتلخص في إسقاط الاستبداد والفساد، حيث تشابه الأوضاع، أنظمة فاقدة لكل شرعية، حكومات فاسدة، شعوب مقهورة وكرامات وحقوق مهددة. خرج الشباب المغربي النائر في مسيرات العشرينية الأولى في كل ربوع الوطن، مفندا

الأخبار الزائفة والحملة المسعورة التي تورطت فيها الإذاعات ووكالات الأنباء الرسمية، عن إلغاء المسيرة، معلنا بذلك سقوط ونهاية أسطورة الاستثناء المغربي المزعوم، الذي تستمر الدولة وأحزابها التابعة في التبحر به.

## ثانيا: سيناريو المؤامرة

تتحدد نظرية المؤامرة ضمن استراتيجية هجومية، وضمن مناورة محكمة أخرج فصولها المخزن وبلطجيته، عبر حملة إعلامية وسياسية نيسية، للتحويل ونشر جميع أنواع الأكاذيب والشائعات والافتراءات، والتشكيك في حركة 20 فبراير، وتخبسها وتخوين بعض رموزها وتشويه سمعتهم باستعمال تقنية الفوتوشوب، ونعتهم بالعمالة للخارج والموالاة للبوليساريو والجزائر، وزعجة الاستقرار والتخريب على الفتنة، والإلحاد والمثلية وأكل رمضان، إنها حملة مسعورة ذات إخراج سيئ، تورط فيها خصوم وأعداء التغيير، لتخويف الشعب المغربي وكبح حركته وديناميته وحلمه في التغيير. متناسين أن ما يحدث في المغرب كباقي الدول العربية، هو انفجار طبيعي لتناقضات داخلية بين الشعوب وأنظمتها القائمة على الفساد والاستبداد، الذي تتعدد أشكاله ومظاهره بين القهر والقمع بكل أشكاله واحتكار السلطة. إن الخلفية التي تحكم في الترويج لسيناريو المؤامرة هي الخوف من الشباب كرمز للتغيير، والطعن في استقلالية الحركة والتلميح لقصورها العقلي والسياسي والوطني، ومن جهة ثانية إعطاء الشرعية للنظام، عبر آلهة القمع لممارسة العنف ضد نشطاء الحركة.

## ثالثا: سيناريو الشرعية

ودائما وبنفس العقلية المخزنية وفي سياق التضليل والتضييق على نشاط الحركة، الذي أصبح مصدر قلق حقيقي بالنسبة للدولة، أخرجت السلطات سلاح المنع القانوني للتشكيك في شرعية الحركة، عبر إرسال القرارات الكتابية بشكل عشوائي، إلى الإطارات الداعمة للحركة وإلى نشاطائها، ومحاصرة المقار والممنوع من توزيع نداءات الحركة. إنها إجراءات مخزنية تحمل رسالة مشفرة مفادها، أن الدولة لن تسمح باستمرار الوضع على ما هو عليه، ولكي تبرر استعمال العنف الممنهج من خطف واعتقال وترهيب. أما من حيث الشرعية القانونية، فإن قرارات المنع لا تستند إلى أي سند قانوني وتشريعي، لأنه لا أحد من الهيئات أو من شباب الحركة تقدم بطلب في الموضوع، من مؤسسات فاقدة لكل شرعية وتطالب الحركة بحلها. إنها قرارات جائرة في حق الشعب المغربي في التعبير والتظاهر والاحتجاج السلمي، وإعلان صريح بالتراجع الخطير عن التزامات الدولة المغربية في مجال الحريات والحقوق التي يضمنها الدستور والمواثيق الدولية.

# حركة 20 فبراير وسيناريوهات المخزن

بشكل رسمي، ويكون النظام بذلك دخل مرحلة الخيار الصعب غير مضمون النتائج، مما أسفر عن سقوط الشهيد كمال عماري إثر التدخل العنيف الذي تعرضت له الاحتجاجات السلمية التي دعت إليها حركة 20 فبراير بأسفلي يوم 29 ماي 2011. إن الخيار الأمني قد يؤدي إلى فتح حرب حقوقية ضده، وعزلته إقليميا ودوليا، ومحو صورة التميز الوهمية التي يحاول النظام تسويقها عبر قناع الديمقراطية المزيفة في أبشع صورها ومظاهرها.

## ملخص : سيناريو الانتخابات التشريعية

لقد شكلت الانتخابات أحد المحاور الرئيسية في تاريخ الصراع السياسي داخل المجتمع المغربي، واعتمدها التحالف الطبقي الحاكم شكلا من أشكال إخفاء اللاديمقراطية التي تميز اختياراته السياسية، وتزوير الانتخابات وإفراغها من مضمونها، وتسييد ديمقراطية الواجهة، ليتمكن من الهيمنة على الحقل السياسي ويوجهه في خدمة سيادته الأبدية. لقد أعلن النظام عن إجراء انتخابات تشريعية سابقة لأوانها وحدد تاريخها في 25 نونبر 2011، إن هذا التكتيك يندرج ضمن استراتيجية واحدة هي تصفية حركة 20 فبراير وعزلها وعزل قوى التغيير المنخرطة فيها، لحساب قوى الرجعية وأحزاب التحالف الطبقي المسيطر، لإعادة إنتاج مؤسسات النظام الطبقية، ذات الشرعية الزائفة المبنية على التزوير المباشر وتزييف إرادة الشعب المغربي. مؤسسات مزعومة لبرلمان مزعوم تطالب الحركة بحلها، يجري طبخها بنفس الطريقة التي فرض بها الدستور المنزل، على أساس الولاء المطلق للمؤسسة الملكية، وتغيب منهج لسلطة الشعب، إنها مسرحية انخرطت فيها أحزاب وتحالفات وتكتلات هدفها الأساسي والأسمي هو اغتيال الربيع المغربي ووأده في زمن التغيير. لقد بلورت حركة 20 فبراير عدة مطالب سياسية واقتصادية واجتماعية، تتمثل في إسقاط الفساد والاستبداد، وحل أجهزة المخزن وتفكيكها، وبناء مؤسسات تجسد الإرادة الشعبية. هذه المطالب في ظل زمن المد الثوري الجماهيري المغربي إذاك رفعت الحركة شعار المقاطعة كتكتيك يستجيب لسمات ومتطلبات المد الثوري في تلك المرحلة. إن حركة 20 فبراير انفجار سياسي شعبي واسع النطاق وروحها ممتدة في المكان والزمان وبأشكال أخرى ولا يمكن أن تهدأ روحها إلا بتحقيق المطالب المشروعة للشعب المغربي.

أما من حيث الشرعية النضالية فحركة 20 فبراير تستمد من السند الشعبي والالتفاف الجماهيري حولها، ولكونها حركة سلمية وحضارية بكل المقاييس.

## رابعاً : سيناريو الورقة الدستورية

تحت ضغط الحراك الشعبي والتحول التي تقع في المنطقة، وتنامي دينامية وحركة 20 فبراير، حاول النظام امتصاص غضب مسيرات الشارع المغربي، فجاء خطاب 9 مارس لتعديل الوثيقة الدستورية، ليكرس استمرار المخزن في أسلوب الدساتير الممنوحة، واحتكار السلطة التأسيسية، ومصادرة هذا الحق للشعب المغربي.

راهن النظام على إقرار الدستور الجديد، كمنافسة سياسية تحت عباءة دستورية، لإجهاض حركة 20 فبراير واحتوائها والالتفاف على مطالبها، وخلق اصطفاط طبقي وسياسي من حوله لعزل الحركة وتقويضها، وتفويت الفرصة على الشعب المغربي لتحقيق مطالبه المشروعة وحلمه في التغيير. فوجد لذلك كل إمكانياته من أحزاب ونقابات وجمعيات، وزوايا ومساجد وشماكرية وبلطجية، واحتكر الإعلام العمومي، وأوكل لوزارة الداخلية مهمة الإشراف السياسي والإداري والإعلامي والتقني على الاستفتاء. فجاءت الطبخة الدستورية مكبلة بقيود مخزنية، ومخبية للأمال بكل المقاييس، على مستوى المنهجية والمضامين.

قاطعت حركة 20 فبراير ومعها الشعب المغربي الدستور الممنوح واعتبرته دستور العبيد، ولا يستجيب لأبسط مقومات الدستور الديمقراطي، ورفعت شعارات مطالبة بإسقاط لجنة المنوفي. إن لجوء النظام لشماكرية لفرض خياراته بالقوة، واستعداده للتخالف مع الشيطان، يعكس حقيقته وجوهره اللاديمقراطي، ففقد الشيء لا يعطيه.

## خامساً : سيناريو العنف

لقد تعامل النظام المخزني مع المقاربة الأمنية بحذر شديد خوفاً من نقطة اللاعودة، ولم يراهن إلا على السيناريوهات السابقة لكبح دينامية حركة 20 فبراير، ولحسم معركة التغيير لصالحه، لكنها باءت كلها بالفشل وأدت إلى نتائج عكسية، مما جعله يخرج ورقة السهم الأمني، لإسكات الأفواه وإيقاف زحف الشارع. وجاء تاريخ 22 ماي ليعلن نهاية الهدنة الأمنية، وتبني سيناريو العنف





# نحو سوسيولوجيا تاريخانية.. الميراث السوسيولوجي لحركة 20 فبراير

فعالية انطلاقاً من ميراث حركة 20 فبراير بما هو ميراث سوسيولوجي في المقام الأول قبل أن يكون حقوقياً.

ليست المجتمعات العربية قبل الديناميات العربية الربيعية هي ما بعدها. لا ريب في أن هناك تحولات حصلت، لعل أبرز تجليات هذا التغير هو الاهتزازات التي مست تركيبة الخضوع لدى عموم مجتمعاتنا من ناحية، وزعزعت، إن لم نقل أسقطت واجتثت أنظمة وسلطويات معمرة في كيانات المعمورة من ناحية ثانية. قد يعترض علينا بعضهم، بالقول، ها نحن، وبعد عشر سنوات من الربيع حيث أضحي خريفًا، فلا تبدل أو جديد يلمس، فما نراه ليس سوى زويدة ليس إلا، واستبدال أنظمة سلطوية بأخرى ربما أكثر سلطوية من الأولى، كما هو الحال في مصر، وتحلل للدولة كما وقع في ليبيا وسوريا، أي تغيير هذا وأي تاريخانية هذه؟ لأن الأمر لا يتعلق بتبديل في الأنظمة، أو استبدالها بأخرى، بقدر ما يتعلق بتبديل ذهنيات وممارسات في المقام الأول. يمكن الرد على هذا القول بأننا لا يمكن أن نجازف بالقول إن مجتمعاتنا قطعت بشكل نهائي، مع سلطويات الفضاء العربي إلى درجة يمكن فيها الزعم بدمقرطة الفعل السياسي العربي الحالي. وعيا منا بما

قد بنجم عن هذا الزعم من انزلاق في تاويلات تفاؤلية مفرطة، لا تمت للواقع بصلة. صحيح أننا لم ننفضل بتاتا بشكل كلي وبنوي عن الماسبق، لاسيما وأن الديمقراطية ليست انتقالية بالضرورة، وإنما هي سيروية تاريخية بنائية تصاعدية، بما هي تمثلات وممارسات، تصاغ عبر الصراع ولا شيء غير الصراع، لكن لا ينعنا ذلك، أيضا، من إنكار ونفي ما آتت عليه وبه هذه الديناميات الاجتماعية، من اهتزازات غير مسبوقة، في ما يخص علاقة المجتمع بالسلطة، بل موقع المثقف بمن فيه عالم الاجتماع، ومكانته ضمن هذه العلاقة.

بعيدا عن أي نظرة ضيقة للثورة، كمفهوم وكواقعة يتم إلصاقها بالتجارب التاريخية الغربية وغير الغربية، أو اختزالها في الحركات الدعوية (المنظومات السياسية ذات الأيديولوجيا الإسلامية) عندما يتعلق الأمر بالعالم العربي، كما الحال بالنسبة للمستشرقين المعاصرين وغيرهم من مثقفينا، الذين ينظرون إلى الإنسان العربي باعتباره كائنا ساكنا وراكضا، أو دعويا متطرفا في حالة ديناميته.

على حساب تهميش الفاعلية الممكنة للإنسان العربي بعامه، والإنسان المغربي بخاصة كفاعل تاريخي. لهذا، فعوض مساهمة الباحثين في تحرر وتحرير هذا الإنسان من قبضة المنظومة، يقومون بشكل أو بآخر بمحو أي محاولة فعلية لصياغة ذات تاريخية فاعلة ممكنة.

ومن هذا المنطلق يكون لزما على عالم الاجتماع عندنا، بل من مهامه المركزية، خاصة عندنا في المغرب على سبيل المثال لا الحصر: الانتصار للمغربي كفاعل تاريخي من خلال صياغة وإذكاء وعي فعلي بالمقومات الثلاثة التي ورثناها كمغاربة عن حركة 20 فبراير: الحرية، والكرامة، والعدالة الاجتماعية. ثلاثة مقومات قادرة على هدم السلطوية الحالية، وإعادة بناء سلطة ديمقراطية فعلية من الهامش إلى المركز. الأمر نفسه ينطبق على حركات اجتماعية أخرى في مختلف الأقطار العربية الأخرى، من المغرب إلى المشرق، التي شكلت ما سمي بالربيع العربي.

ليس هذا فحسب، بل يمكن لتلك المقومات الثلاثة المعنية، التي تتقاطع



♦ عثمان لكمشي

قيل: «السوسيولوجي هو ذاك الذي تأتي الفضيحة عن طريقه»، وفي قول آخر، «السوسيولوجي هو من يُفسد الحفلات التنكّرية»، لكن السؤال اليوم هو: هل الفضيحة تنتظر السوسيولوجي لكي يكشفها؟ إن الفضيحة اليوم لا تحتاج إلى من يكشفها لأنها أضحت تكشف نفسها بنفسها. ماذا عن إفساد الحفلات التنكّرية؟ لم تعد هنالك أي حفلات تنكّرية تحتاج إلى سوسيولوجي معين لكي يفسدها، لأن الحفلات لم تعد تنكّرية بقدر ما عدت فرجوية: أعماقا مسطحة، فأى مهمة تبقى للسوسيولوجي؟ لا يتعلق الأمر هنا بالمهمة العلمية لعلم الاجتماع، بقدر ما يتعلق بالمهمة التاريخية، أو بالأحرى المهمة التاريخية للسوسيولوجيا وفاعليتها الثقافية في تحويل المجتمع والثقافة والإنسان، أي أن

الأمر يتعلق والحالة هذه بالسوسيولوجي

المثقف أكثر مما يتعلق بالسوسيولوجي العالم. من المساهمة في تجويد الحياة البشرية وتفعيلها نحو ديمقراطية مباشرة أكثر فأكثر، حيث يغدو الإنسان خالقا لذاته بذاته بوصفه كائنا خلاقا وفاعلا تاريخيا. إن السوسيولوجيا ليست علما اجتماعيا وضعائيا متخسبا، وإنما هي فاعلية تاريخية أيضا، بما هي ورؤية حداثية للعالم. أي مهمة للسوسيولوجي عندنا؟ ما يلاحظ لدى الكثير من الفاعلين في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية عندنا، في المجتمعات العربية أكثر من غيرنا، هو تحجبهم بحجاب الموضوعية المتخسبة المفقودة، والحياد المزعوم

بشكل

صريح مع أهم

أسس حقوق الإنسان المركزية

في المجتمعات الراهنة: يتعلق الأمر بالحرية والكرامة والمساواة، بما هي حقوق كونية تسهم في انبعاث الذات البشرية الفاعلة، خاصة مع تصاعد النزعات القومية المتطرفة من جهة، وكذا ظهور إمبراطوريات جديدة أكانت اقتصادية أم سياسية من جهة أخرى، من شأنها أن تهدد فاعلية الإنسان التاريخية. قلنا ثلاثة مقومات يمكنها أيضا أن تسهم في صياغة سوسيولوجيا تاريخانية





# نحو سوسيولوجيا تاريخانية.. الميراث السوسيولوجي لحركة 20 فبراير

المثقف إلا التفاعل مع حركة التاريخ، سلباً أو إيجاباً، إما بالصمت، وإضعا مسافة العالم بينه وبين الوقائع الحية، أو باتخاذ موقف منها، مؤيداً أو معارضاً أو محايداً. لعل هذه الدينامية تدعونا إلى إعادة النظر في مهمة السوسيولوجي العربي اليوم، وفي الحياض الممكنة إقامته في ظل الأنظمة السياسية الحالية، أي مهمة للمثقف السوسيولوجي العربي في تحول المجتمعات العربية وتحررها من قبضة السلطوية؟ هل مهمة السوسيولوجي والحالة هذه تقف عند الفحص والتشخيص والفهم، أم أنها تتجاوز ذلك، باعتباره فاعلاً تاريخياً واجتماعياً وثقافياً، إلى المساهمة في التغيير؟

ولأن السوسيولوجيا ليست محض علم انعكاسي، ولأنها علم حداثي بامتياز، فإنها ينبغي أن تتحمل مسؤوليتها التاريخية أمام تحولات مجتمعاتنا العربية، التي لم تعد جزيرة معزولة، أو كلية منغلقة على ذاتها. تلك التحولات التي لعبت فيها الديناميات الاجتماعية دوراً حيوياً في بعث تاريخانيتها. وعلى هذا النحو، بالإضافة إلى المهمة العلمية للسوسيولوجيا، إننا في حاجة إلى سوسيولوجيا تاريخانية تحويلية، قادرة على المساهمة في تفعيل تاريخانية الإنسان العربي بعامه، والمغربي بخاصة، وتحريك قدرته على التحويل والخلق، قدرته على البناء والهدم والتحويل، بما في ذلك هدم السلطويات العربية التي نجحت بشكل أو بآخر في التناسخ والتجديد على ضوء متطلبات العصر من سلطويات قمعية إلى سلطويات تدبيرية، كما قيل، وتشديد بنيان ديمقراطيات عربية فعلية ممكنة.



المغربي؟ بهذه الحركة يُصبح كائننا إنساناً مغربياً مُسمًى وليس فقط مسمى: يفصل هويته على مقياسه هو، ويخططها بفعل حركته وديناميته، الأمر نفسه قد ينطبق على مختلف المجتمعات العربية، مع تسجيل الاختلافات السياقية لكل قطر عن آخر.

أمام صعوبة هذا الوضع، وخصوصية المرحلة التي تحيها مجتمعاتنا، لا يملك السوسيولوجي

بعيداً عن كل تلك المواقف الجاهزة، يمكن القول، إن هناك تغييراً، لعبت فيه الديناميات الاجتماعية دوراً كبيراً، لا يمكن تجاهله. وللتدليل على ذلك، يسعنا أن نتأمل اليوم، في تجليات تطلعات الشباب العربي بالنسبة لشباب المغرب والمشارك، من كياننا العربي. وكيفينا كذلك أن نستحضر ما أصبحت تعرفه الأقطار العربية من كثافة في الاحتجاجات، إلى درجة تحول فيها الفعل الاحتجاجي إلى ثقافة، وغيرها من التجليات التي تعكس وعي الإنسان العربي بذاته؛ وعي «الشعوب العربية» بأنها مركز لكل سياسة وأصل لكل سيادة.

على سبيل المثال: إن المغربي الذي كان يتظاهر في المسجد لطلب أو قراءة «اللطيف» ليس هو الذي تظاهر في الشارع العام ضد المستعمر، وليس هو من اكتسح الشوارع ضد السلطوية، وليس هو الذي قاطع منتجات غذائية من الفيسبوك؛ فالأول كان يستنجد بالله من قساوة الطبيعة، أما الثاني فكان يستنجد باستقلاله من تغلب المحتل وبطشه، أما الثالث فإنه استنجد بذاته ضداً في السلطوية دفاعاً عن وجوده، ومن أجل الحرية، والكرامة والعدالة الاجتماعية، أما الرابع فاعلنها احتجاجاً افتراضياً ضد جشع الرأسمالية المتوحشة كما قيل. فضلاً عن حراك الريف الذي يعد بشكل أو بآخر بمثابة انبعاث جهوي لدينامية حركة فبراير. بين هذا وذاك، تتجسد السيرة التاريخية للإنسان المغربي وفعله في التاريخ أو لنقل تاريخانيته: قدرته على خلق ذاته بذاته. لكن يبقى السؤال: هل استجابات السلطة السياسية، مركزية كانت أو هامشية، لحركة التاريخ، لسيرة الكائن؟ أم زالت تنظر لنفسها كمحرك لأنطولوجيا ذلك التاريخ؛ لأنطولوجيا الكائن







## 20 فبراير حركة احتجاجية بمطالب اجتماعية



♦ رشيد المشهور

باحث في سلك الدكتوراه  
تخصص علم الاجتماع

**مرّ حوالي عقد من الزمن على انطلاق حركة عشرين فبراير الاحتجاجية بالمغرب، ماذا تبقى من هذه الحركة؟ وهل أشكال الاحتجاجات التي عرفها المجتمع المغربي منذ نشأتها إلى اليوم نسخ متجددة منها؟ وبأي حلة ستعود الحركة الفبرائرية؟**

ثمة قاعدة سوسيولوجية تنطلق من أن التغيير، في المجتمعات المعاصرة، باعتباره ظاهرة اجتماعية، لا يمكن فهم معانيه وكشف دلالاته وتحليله بدقة وتفسيره بالعامل الوحيد، بل تسهم فيه عديد العوامل المركبة والمتداخلة أبعادها الطبيعية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. بعيدا عن نظرية المؤامرة، انطلقت حركة 20 فبراير في شروط سياقية خاصة عاشتها دول ومجتمعات منطقة شمال إفريقيا (تونس وليبيا والجزائر) والشرق الأوسط (سوريا ومصر واليمن وغيرها)، إذ نتيجة تراكم الضغوط السلطوية للأنظمة السياسية والأزمة المالية التي جعلت الأغلبية من داخل تلك المجتمعات تعيش حياة صعبة تنتقص من كرامتها، أفرزت وعيا حادا، ودفعت بالفاعلين الاجتماعيين والمدنيين والسياسيين، إلى التموّج في الصراع من جديد والتعبير عنه في حركات احتجاجية متفاوتة في أشكال التعبير والتظاهر وطرق تصريفه وأساليب تنظيمه، من قطر إلى آخر؛ متفاوتة في الشكل واللون والحجم والنقل.

وما ميز حركات الربيع الديمقراطي التأطير الافتراضي، نتيجة النقاشات المفتوحة شبكات الاتصال الجماهيري (الفايسوك والتويتر والواتساب

وغيرها)، الأمر الذي كشف عن محدودية دور المثقف التقليدي ومؤسسات التنشئة السياسية والنقابية والإعلامية الكلاسيكية أو فرض عليها الانخراط في الديناميات الجديدة التي حتمتها الأحداث الصغيرة السريعة التي انفلتت من قبضة السلطويات ووسطوتها. كما تنوعت التلاوين الإيديولوجية للفاعلين، والقوى المحتجة في الفضاءين الافتراضي والواقعي (المباشرين والساحات العمومية) بين الأحزاب السياسية ذات المرجعية الإسلامية والجماعات الدعوية الإسلامية أو الأحزاب ذات المرجعية اليسارية والمجتمع المدني (من جمعيات ونقابات وإعلام رقمي بديل)، وطلاب الجامعات وفئات اجتماعية من الطبقات المتوسطة وعموم المواطنين. لكن، حركة 20 فبراير بالمغرب تمثلت في مطالبها الاجتماعية ذات الطابع السياسي "حرية كرامة عدالة اجتماعية"، رهاناتها تحقيق حلم الديمقراطية وإرساء أسسها، وضمان الحقوق والحريات بين جميع المواطنين معزل عن انتماءاتهم المختلفة. في هذا السياق يشير السوسيولوجي غي روشي إلى أن غاية الديمقراطية تحقيق حلم الحرية والمساواة، و"إنها واحد من أجمل الأحلام التي استطاعت المجتمعات السياسية أن تأتي بها خلال قرون. ولكنه في نفس الوقت، حلم يمكن أن يخفي ويحبب تفاوتات عديدة، والكثير من الظلم، باسم هذه الحرية، وباسم هذه المساواة".

لكن، منطق السلطة في المغرب كان مزدوجا في التعامل مع الحركة الاحتجاجية، فمن جانب أول تم إطلاق سلسلة إجراءات إصلاحية: تعديل الدستور والزيادة في الأجور وتغيير لغة الخطاب الرسمي الذي أصبح نقاديا لادعاء للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، ومن جانب آخر قمع الاحتجاجات ومحاولات منعها، وتهديد رموزها واعتقالهم والتشهير بهم وغيرها من أشكال العنف المادية والرمزية. ومهما تعددت إجراءات الدولة وتصريفها لاحتجاجاتها تجاه المواطنين، فإن الحق والقوة أو القانون والعنف في التعاطي مع الحركة ومطالبها، فإن الحركة اتخذت مظاهر أخرى للظهور والاستمرار في الهامش وهامش الهامش (على سبيل المثال: حراك الريف وجردة).

لم تنته حركة 20 فبراير بعد، ولم تُستنفذ إمكانات الفعل لديها بعد، حركت برك راکدة، وخلخلت بنايات مبنية ومبينة، وسرّعت من إيقاع التغيير والإصلاح، ولا زالت تتمظهر في حُلّ مغايرة، وسبغت في نسخ جديدة، ما دامت مطالبها "الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية" لم تتحقق بعد، في ظل استمرار اعتقالات الرأي، وملفات الفساد، ونقشي الفقر، وهول الفوارق الاجتماعية والمجالية، إن مطالب الحركة راهنية ومشروعة وتستمد مشروعيتها من حلم شباب وطني مغرب ديمقراطي يتسع لجميع أبنائه وفئاته على أسس الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية. كلما بقي الجهل والظلم والتسلط والفقر والبطالة والتهيمش في المجتمع، وكلما تأبدت أسس هدر الإنسان وقهره وإذلاله وتبديد ثروته المادية والرمزية، فإنه سينفجر يوما تجاه قوى التسلط وستتضخم غريزة الحياة لديه تجاه غريزة الموت البطيء، لأن التاريخ له منطق ومكره ومقابل، يلفظ المتحكمين في مجرياته، ويربك حساباتهم، ويخلط أوراقهم، وينقلب فيه السحر على الساحر! بفعل فعل الفاعلين المهمشين والمقهورين الذين أدركوا جيدا مصدر تهيمشهم وقهرهم.

ظهور في الآونة الأخيرة أحكام كثيرة، تجعل من الفشل عنوانا، يصدّق تقييم بعض المثقفين والإعلاميين لحصيلة عمل ما يسمى بالحركات الاحتجاجية للربيع الديمقراطي، سواء على مستوى التنظير والتأطير أو على مستوى التنظيم والقيادة وأشكال التعبير أو على صعيد النتائج وتحقيق المطالب والمكاسب، واستغلال الوضع العام لصالح حركات الإسلام السياسي في الوصول إلى السلطة.

حيث إن ضعف التأطير النظري في ظل تعدد المرجعيات الإيديولوجية والخضوع للواجس الريحمانية المباشرة، حول الحركات الاحتجاجية، بشكل متفاوت، إلى حركات انفعالية تتحكم فيها مشاعر الغضب والعدوان بدل مبادئ النقاش العمومي العقلاني الجاهلي. إضافة إلى ذلك، غياب قيادات ومخاطبين مباشرين باسم تلك الحركات الاحتجاجية للعب دورها الفعال في تحقيق المطالب عبر القيادة والتنظيم وفق ثنائية التفاوض الجاهلي وسلطة الاقتراح وتقديم البدائل من جهة، والضغط والاحتجاج بالفضاء الافتراضي وبالساحات والميادين العامة من جهة أخرى. كما أن النقاش حول علاقة السياسي والديني بالحركة وانعكاساته عليها في الواقع أدى إلى إضعافها، خاصة الأحزاب الإسلامية وحركات الإسلام السياسي والدعوي؛



# الظاهرة الاحتجاجية بالمغرب

## - رصد تاريخي -

بين الأفراد وبين الجهاز الحاكم. فمنذ احتلال الجزائر سنة 1830، عرف المغرب ارتجاسا مهما في بنياته الاقتصادية والاجتماعية، فبرزت في إطار ذلك العديد من الانتفاضات الاجتماعية التي استمرت في مرحلة الحماية وما بعد الاستقلال، والتي كان يطبعها غالبا الارتباط العضوي بين السياسي والاجتماعي. غير أن الاحتجاج المغربي لا يقدم نفسه بنفس الشاكلة في مختلف الحقب التاريخية، بل إنه في كل مرة ينحت ذاته بحسب ما تتيحه الشروط السياسية والاجتماعية التي أنتج فيها. لذلك سنرى أن متغيرات عدة بصمت الأفعال الاحتجاجية بالمغرب من حيث عوامل بنائها، وأشكال تصريفها، بدءا من الانتفاضات القروية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وصولا إلى الحركات الاجتماعية الجديدة.

لقد صارت الحركات الاجتماعية جزءا مهما من الحياة المعاصرة بالمغرب، ومصدرا للعديد من التغيرات الحاصلة في مجال الحقوق المدنية، والبيئية، والنوعية، والدينية. ويترجم ذلك بالتنامي الواضح الذي أصبحت تعرفه الأفعال الاحتجاجية في السنوات الأخيرة. حيث لم يعد الاحتجاج حكرا على المدن الكبرى بل امتد إلى المدن الصغرى والبوادي، بمضامين ومطالب متنوعة. بيد أن الظاهرة الاحتجاجية بالمغرب ليست وليدة الزمن الراهن، بل إن لها حضورا متجذرا في الثقافة المغربية، حضور يجد امتداداته التاريخية في العدد الهام من التمردات والانتفاضات والحركات التي عاشها المغرب منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وإلى حدود منتصف التسعينيات. إنه واقع اجتماعي يعكس تاريخا طويلا من الرفض ومن التنازع



♦ دة. سعاد قجي

## I. الانتفاضات بالمغرب من النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين



كانت انتفاضة الدباغين سنة 1873، إشارة لبداية احتجاجات مهنية منظمة.

تزايد المطالب المالية للدولة، فما كان من السلطان عبد العزيز بن محمد إلا أن أمر برفع قيمة الضرائب على مختلف القبائل المغربية. لكن امتناع عدد منها في مقابل إذعان البعض الآخر، أفرز بلادا "للسبية" في مقابل بلاد للمخزن. الحراك لم يبق مقتصرًا على البوادي كما كان معتادا، بل أصبح يمتد بين الفينة والأخرى إلى الحواضر التي كانت تعد قلاعًا حصينة للمخزن وأهم رموزه ومركز سلطته. ومن بين الانتفاضات القروية يمكن ذكر انتفاضة بوعزة الهبري، التي خرجت سنة 1874 من منطقة إيناون في الشمال الشرقي للمغرب، حيث أعلن قائدها بوعزة الهبري انطلاقه لعمليات "الجهاد"، وحصل على تحالفات من عدة قبائل كغياثة، التسول، البرانس، والحيانية وبنو وراين وكزناية وأولاد بورمية وإيت سغروشن وبنو سادن. ولم تكن للحركة مطالب محددة بل كانت تنازع في الملك برتمه. انتفاضة الجيلالي الزرهوني، دامت أكثر من سبع سنوات وتأسست أيضا على معارضة سياسة السلطان عبد العزيز. إذ نهجت الحكومة المغربية، ونظرا لتدري الأوضاع، سياسة الإصلاحات، ونتيجة لذلك كانت في حاجة إلى المال، فكان أن تم فرض ضريبة "الترتيب" على السكان سنة 1901. قوبلت هذه السياسة المالية بمعارضة وانتقادات شديدة أدت إلى انضمام عدد كبير من سكان المناطق الشمالية إلى حركة الزرهوني. ولم تكن الانتفاضات المغربية في القرن التاسع عشر محصورة في مناطق دون أخرى بل همت كل المناطق تقريبا: حركة الريسوني بإقليم طنجة، تمرد قبائل الرحامنة، تمرد قبيلة زعير، تمرد قبائل زمور، تمرد إبراهيمي يسمو باليزدي في تافيلالت، تمرد الجيلالي الروي في الغرب، وغيرها. وقد عاشت المدن بدورها على إيقاع الانتفاضات الحضرية بسبب اضطراب الأوضاع الاقتصادية. وتعتبر انتفاضة الدباغين بمدينة فاس سنة 1873 مثالا بارزا على ذلك. انتفاضة يعتبرها الباحثون أول ثورة عمالية يشهدها المغرب الحديث. فقد امتنع الدباغون عن أداء الضرائب، ودخلوا في مفاوضات مع السلطان، وقادوا ثورة شعبية وصلت إلى الهجوم على بيت الأمين المكلف بجمع المكوس. انتفاضة الخرازين مراكش سنة 1904، إذ قرر الحرفيون والتجار، يتزعمهم الإسكافيون، خلق سوق خاص بهم خارج المدينة لبيع منتجاتهم بعيدا عن رقابة المخزن وعن الأوامر السلطانية التي قضت بسك وترويج عملة نحاسية جديدة للرفع من قيمة الضرائب المستخلصة، مما دفع السلطات إلى إغلاق السوق، الأمر الذي أدى إلى تفجر الوضع وإلى اندلاع أعمال للعنف والنهب وإضرار النار. والملاحظ إجمالا هو تعدد الفورات القبلية والحضرية في مغرب القرن التاسع عشر وشمولها لجل المناطق. فبعثها جاء احتجاجا على سياسة الضرائب، وآخر تولد عن سوء الأوضاع السوسيواقتصادية، ومنها ما أخذ طابعا سياسيا انفصاليا عن السلطة المركزية. إنها محطات للتعبير الجماهيري عن قضايا نابغة من المعيش اليومي لجاعات إنسانية وعت بشكل متقدم إلى أسلوب الرفض والاحتجاج على السياسات، وإلى المطالبة بالإسماك بزمam الأمور، والتواجد والحضور في صنع القرار، هذا بغض النظر عن قدرتها الفعلية على أحداث التغيير وتحقيق أهدافها.

عرفت البلاد خلال منتصف القرن التاسع عشر أزمة سياسية اقتصادية واجتماعية قادت إلى ظهور فتن كبيرة مؤججة لفكرة التمرد والاحتجاج. فمن الناحية الطبيعية عرفت البلاد سنوات متقطعة من الجفاف أدت إلى تراجع كبير في المحاصيل الزراعية وتضرر في الاقتصاد وانتشار للجاعات والأوبئة، الشيء الذي كان يدفع بعض القبائل إلى الهجوم على جيرانها من القبائل الأخرى أو مهاجمة المدن أو ممتلكات الدولة أو الأقليات. كما نجد من أبرز الأسباب وراء تمرد القبائل المغربية في القرن التاسع عشر مسألة النظام الضريبي والجباي. فقد دخلت البلاد في أزمت مالية خانقة نتجت عن النزيف المالي الذي شهدته ميزانية المخزن بعد المعاهدة مع بريطانيا سنة 1856، والغرامة والقرض المرتبطين بحرب تطوان سنة 1860، وما بعد الانكسارين العسكريين في إيسلي وتطوان، وما بعد استثناء آفة الحماية القنصلية، واستئساد المحميين الأجانب وكف يدهم عن أداء الواجبات الجباية. لقد أدى هذا الأمر إلى



# الظاهرة الاحتجاجية بالمغرب

## - رصد تاريخي -

### II. الانتفاضات المفرية زمن الحماية

استمرت حركات التمرد في الساحة المغربية إبان فترة الحماية إلا أنها اتخذت طابعاً آخرًا مختلفًا جعلها توجه سهامها هذه المرة نحو عدو ومحتل أجنبي بعدما كانت تستهدف المخزن أو القبائل الأخرى المجاورة، وتوحد هدفها في موضوع واحد وهو مقاومة المحتل وطرده خارجا، خاصة وأن المؤسسة المخزنية أبانت عن ضعفها وعجزها عن الدفاع عن مصالح الوطن وحمائته. ومن أشهر التمردات التي عرفها المغرب الحماية وأطولها زمنا، نذكر انتفاضة زيان (1908-1921)، انتفاضة الريف (1921-1926)، حركة اللطيف في 1930، وانتفاضة البيضاء بتاريخ 08 دجنبر 1952.

انتفاضة زيان، إذ كان لقبائل زيان نصيب مهم في حركات المقاومة المسلحة التي سبقت بسنوات دخول المغرب تحت لواء الحماية الفرنسية. ولم تنتظر قبائل زيان بزعامته قائدها "موحي أوحمو الزباني" أن تصل قوات المستعمر إلى تخومها، بل خرجت في انتفاضات استباقية لمؤازرة قبائل الشاوية ومديونة (1908)، كما توجهت إلى سهول سايس للحيلولة دون وصول الجيوش الفرنسية إلى مدينتي فاس ومكناس، ودعمت المقاومة في منطقة تادلة (1913)، وقد استطاعوا أن يلحقوا أكبر هزيمة عرفها الجيش الفرنسي في الشمال الإفريقي في معركة

"الهي" الشهيرة في نونبر سنة 1914.

انتفاضة الريف، حيث عرفت منطقة الريف شمال المغرب ثلاثة هزات كبرى، كانت كلها في مواجهة الاحتلال الإسباني. كانت هناك معركة سيدي ورياش في سنة 1893،

وحركة الشريف أمزيان في سنة 1909، وأخيرا الحرب التي دامت من 1921 إلى 1926. وتعد الانتفاضة الثالثة هي الأطول زمنا والأبلغ أثرا. إنها الوثبة التي سجلها أبناء الريف في التاريخ المعاصر تحت قيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي.

لقد تصدت هذه الحركة المقاومة لمحاولات التوسع المتكررة للإسبان، وسلبتهم أنوال و طاردهم حتى لم يتبق لديهم سوى مدينة مليلية المحتلة منذ القرن السادس عشر. حركة اللطيف، في سنة 1930، وعلى إثر صدور ما سمي بالظهير البربري، ظهرت حركة "اللطيف" الاحتجاجية حيث انطلقت أول مظاهرة للوطنيين المغاربة الذين نجحوا في تعبئة عدد كبير من الساكنة وخرجوا في مدن سلا والرباط وفاس للتنديد بهذا الإجراء، فاعتصموا في المساجد وقاموا بقراءة اللطيف، وتطورت إلى مظاهرات منظمة وخطب سياسية حماسية وبرقيات تستنكر هذا الظهير.

ورغم ردود الفعل العنيفة التي واجهت بها سلطات الحماية المحتجين فقد مثلت حركة اللطيف أول احتجاج سلمي منظم ضد المستعمر، والذي أسس في الوقت ذاته لميلاد الحركة الوطنية بالمغرب.

انتفاضة البيضاء عام 1952، بعد انتشار نبأ اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد، زعيم الحركة النقابية بشمال إفريقيا، على يد المحتل الفرنسي، هبت الجماهير مهمتجة إلى الشارع للتعبير عن غضبها واستنكارها لما حدث. ولم تكن حادثة الاغتيال سوى القطرة التي أفاضت كأس الغضب والاحتقان الذي عم الأوساط الشعبية جراء مصادرة الحريات وحقوق الإنسان عامة. انتفاضة عرفت مواجهات مع قوات الأمن

التي استعملت الرصاص الحي، فكانت الفاتورة مرتفعة، حيث تعرض المئات من المحتجين للاعتقال، وتم طرد العمال المشاركين في الانتفاضات من أماكن عملهم.

### III. الانتفاضات المفرية بمد الاستقلال

شكلت مرحلة ما بعد استقلال المغرب فترة تعاقبت خلالها الاحتجاجات والانتفاضات المدوية التي اتخذت طابعا مغايرا لما كانت عليه من قبل. فإذا كانت مرحلة الحماية قد اتصفت بتوحيد صفوف المغاربة وتكتلهم، في القرى كما في الحضر، لمواجهة خطر المحتل الأجنبي فإن خروج المعمرين سيؤدي إلى تحول الصراع المفجر للاحتجاجات الكبرى إلى داخل النسق، وبالضبط بين القصر والأحزاب السياسية المنبثقة عن الحركة الوطنية، صراع خلفيات سياسية زادت من تأجيج الأوضاع الاجتماعية المحجفة أدى إلى اندلاع الانتفاضات الشعبية الدامية التي استخدمت خلالها قوات الأمن الذخائر الحية لمواجهة المتظاهرين في ما بات يعرف بسنوات الرصاص.

انتفاضة 1965، خرج المئات من تلاميذ المدارس والثانويات في مظاهرات سلمية احتجاجا على قرار وزارة التربية الوطنية الصادر في التاسع عشر من فبراير من نفس السنة، والقاضي بحرمان عدد منهم ممن تقدمت أعمارهم من متابعة الدراسة وطردهم خارج أسلاكها. غير أن الأمر لم يبق مقتصرا على التلاميذ، بل انخرط فيه الطلبة والشباب العاطلون والمهمشون، وتطور الأمر إلى مظاهرات عارمة في شوارع البيضاء. وكانت هذه الانتفاضة من أكبر الاحتجاجات الاجتماعية التي عرفها المغرب، وذلك بالنظر إلى مجموع العنف الذي تم تصريفه من خلالها.

انتفاضة 1981، سنة 1981 أعلنت الحكومة المغربية عن عزمها فرض زيادات على المواد الأساسية، منها الدقيق والسكر والزيت والحليب والزبدة، لسد العجز الحاصل في الميزانية العامة وذلك مباشرة بعد زيادات أخرى عرفتها سنتي 1979 و1980. وأعلنت إحدى النقابات (كدش) عن خوض إضراب وطني يوم عشرين يونيو استجاب له جل العاملين بالقطاعين العام والخاص. وكانت مدينة البيضاء مسرحا لانتفاضات شعبية كبيرة عرفت اصطداما بين حشود المتظاهرين وقوات الأمن، وشهدت الكثير من الضحايا والجرحى والمعتقلين.

انتفاضة سنة 1984، وتشير إلى مجموعة من الحركات الاحتجاجية التي اندلعت في التاسع عشر من يناير في مجموعة من المدن المغربية، وبلغت ذروتها في الريف والقصر الكبير ومراكش.

وجاءت الاحتجاجات في سياق اقتصادي اتسم ببداية تطبيق المغرب لسياسة التقويم الهيكلي والتي أدت إلى ارتفاع تكاليف العيش اليومي للمغاربة. وكانت عملية الزيادة في رسوم التسجيل بالمؤسسات التعليمية هي الشرارة التي أشعلت فتيل الانتفاضة. حيث انطلقت مظاهرات على صعيد المؤسسات التعليمية والتي قادها التلاميذ. وبعد خروجهم إلى الشارع، التحق بهم المواطنون الراغبون في التعبير عن تدهورهم ورفضهم لما آلت إليه الأوضاع الاجتماعية من تدهور، فحدثت أعمال عنيفة لم تتردد معها السلطات الأمنية في إطلاق الرصاص على المتظاهرين.



انتفاضة البيضاء، دجنبر 1952.



انتفاضة 23 مارس 1965.

# الظاهرة الاحتجاجية بالمغرب

## - رصد تاريخي -

العمل النقابي مجالها بامتياز.

ومع النشاط الذي عرفه النسيج الجمعي، والأدوار الجديدة والمختلفة التي أصبح يضطلع بها ( حقوق، امرأة، بيئة، وعي...) لم تعد محركات ودواعي الاحتجاج محصورة فقط في النزاعات الطبقة المرتبطة بعلاقات الإنتاج الاقتصادية (الحركات العمالية مثلا) أو المطالب السياسية (صراع القصر والحركة الوطنية)، بل توسعت النقاشات لتشمل مسائل حقوقية، لغوية، ثقافية، جنسية، وغيرها. لقد أصبحت الحركات الاجتماعية الجديدة تنظم حول مجموعة من القيم الكونية منتهية إلى أشكال أخرى من الهيمنة الاجتماعية. فلم تعد تنادي بتغيير النظام السياسي برمته، كما كان الأمر من قبل، بل غدت مطالبها متصلة بقيم المواطنة والعدالة، كالعالة، الإنصاف، المساواة، الكرامة.

وعلى النقيض من الانتفاضات في شكلها السابق والتي لم تكن تستطيع الوصول إلى تحقيق مطالب جماهيرية إلا في جزء يسير منها، فإن الحركات الجديدة، وبالنظر لأشكال تنظيمها وتطورها واستمرارها في الزمن، شكلت ضغوطات أقوى على الدولة وكانت لها العديد من المكاسب. ويمكن الإشارة على سبيل المثال إلى إصلاح قانون الحريات العامة سنة 2002، واعتماد مدونة جديدة للأسرة في سنة 2004، بعد مظاهرتين ضخمتين في كل من شوارع الرباط والدار البيضاء. كما أثمرت الحركات في شكلها الجديد، السلمي والمنظم، عن مكاسب أخرى، كإنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ونقل الحوار حول المثلية الجنسية إلى العلن، وإعطاء الحق في امتلاك الجنسية المغربية للأطفال من أم مغربية وأب أجنبي.

يبدو من خلال هذا التحقيب السوسيولوجي للظاهرة الاحتجاجية بالمغرب أن المغاربة وعوا مبكرا إلى أسلوب الرفض والاحتجاج، حيث كانوا يخرجون كلما أحسوا بحيف ما يس أحد مناحي عيشهم، ويعد توالي سنوات الجفاف والأزمة الاقتصادية وسوء تدبير الملف الاجتماعي من أبرز ما يحرك الجماهير، ناهيك عن الإرادة في مقاومة المحتل وإجلائه. غير أنهم لم يتمكنوا من حيافة ثقافة احتجاجية عقلانية وسليمة بعض الأحيان الشيء الذي جعل خرجاتهم تتخذ طابعا عفويا قويا وسريع الزوال، وتخلف الكثير من المآسي والضحايا دون أن تستطيع رفع مطالب دقيقة يمكن التعاطي معها، فهي ردود أفعال عنيفة عقابية على سياسات مجحفة ومحبطة، وليست وسائل أو أدوات للتغيير الإيجابي. ولم يبدأ الحال بالتغير إلا مع نهاية القرن الماضي، حيث برزت حركات اجتماعية جديدة سلمية، تعلى مطالبها بشكل منظم وقانوني وتصمد طويلا حتى تحقيق مآربها، وساعدها في ذلك المناخ السياسي الوطني والدولي. غير أن ما يمكن تسجيله على مستوى آخر هو غياب النخب السياسية والثقافية في الانخراط بالفضاء الاحتجاجي ودعم الحراك، وقبوعها في الظل في انتظار الخروج في حدث لا يتعارض ومصالح الدولة، وهو ما يؤكد أن الممارسة الاحتجاجية في المغرب كانت ولا زالت ممارسة جماهيرية بامتياز.

انتفاضة سنة 1990، كانت بداية الانتفاضة بإضراب وطني عام دعت إليه مركزيتان نقابيتان وذلك بعد رفض الحكومة الجلوس إلى طاولة الحوار. وبينما دعت النقابات المواطنين إلى التزام المنازل يوم الإضراب، خرجت جماهير غفيرة في مختلف المدن المغربية تطالب بتحسين ظروف عيشها. إلا أن مدينتي فاس وطنجة، على وجه التحديد، عرفتا انتفاضات قوية أدت إلى تدخل الجيش مرة أخرى.

إن المتأمل في صيرورة مختلف هذه الانتفاضات التي جاءت بعد الاستقلال بإمكانه أن يتبين العديد من ملامحها: إنها خرجات جماهيرية قوية اندلعت بشكل عفوي، ولم تكن نتاجا موضوعيا لعمل تنظيمي مؤطر ومسلح بإمكانات مادية وأيديولوجية معينة، حيث لا وجود لقادة منظمين ولا لأهداف مرسومة، حركات تنجرّف نحو أعمال العنف والتخريب والمس بالأموال العامة والخاصة. ويقابل ذلك العنف عنف مضاد أشد ضراوة وأكثر تدميرا تمارسه السلطات الأمنية على المحتجين. والنتيجة هو خمودها في ظرف وجيز لا يتجاوز بضعة أيام، إذ غالبا ما يتم تطويقها وإبطال مفعولها باللجوء إلى الأجهزة الأمنية، دون أن تتمكن من أن تفرض أو تهدد لتغيرات اجتماعية واقتصادية حقيقية.



انتفاضة 1981

## IV. الحركات الاجتماعية الجديدة بالمغرب

ابتداء من النصف الثاني من عقد التسعينيات سوف تظهر بشكل تدريجي أنماط جديدة من التعبير الجماعي، أنماط من الاحتجاج يطغى عليها الطابع السلمي والمنظم في احتلال المجال العام والتعبير عن المطالب والآراء، متمكنة بذلك من فرض نفسها في الفضاء العمومي، وحتى وإن كانت تواجه أحيانا بالرفض والتفريق من قبل السلطات، إلا أن أعمال العنف والتخريب بدأت تغيب عنها شيئا فشيئا.

وقد تزامن هذا التغير مع حالة من الانفتاح السياسي كان المغرب قد بدأ يعرفها، حيث أن الدولة لم تجد بدا من الانصياع وانتهاج سياسات أكثر انفتاحا على كل الحساسيات السياسية في محاولة للخروج من حالة الاختناق والإفلاس التي كانت تهددها. فجاء التعديل الدستوري سنة 1992، كما تم في سنة



إضراب 20 يونيو 1981

1996 إطلاق صراح السجناء السياسيين وعودة المنفيين السياسيين. وفي سنة 1998 سيتم إدخال البورجوازية المتوسطة ذات الفكر الاشتراكي الديمقراطي إلى الحكم عبر ما سمي بحكومة التناوب التوافقي.

كما تميزت المرحلة بانثاق صيرورة نشيطة للمجتمع المدني، إذ تعاظمت أعداد التنظيمات الجمعوية مختلف صنوفها: حقوقية، نسائية، دينية، لغوية، خاصة بالمعطلين وحاملي الشهادات...، وقامت الدولة بالتشجيع على ذلك وتقديم الدعم المادي للمبادرات (خاصة بعد الخطاب الملكي 1999). فظهرت بذلك فعاليات اجتماعية جديدة تحاول التغيير المنظم والسلمي، منخرطة في عمليات التعبئة الاجتماعية، فارضة نفسها في المشهد السياسي والاجتماعي ليبدأ تشكل أنوية الحركات الاحتجاجية التي ستتخذ من مجال الجمعيات والتنسيقيات إطارا للتعبئة والاحتجاج بعد أن كان





**سائحة**

♦ ندى الحجاري



**محاكاة قضبان يوسف  
الطاهري..**

♦ جواد المومني



**منمنمات سعد الله  
ونوس**

♦ مريم بوسفيان



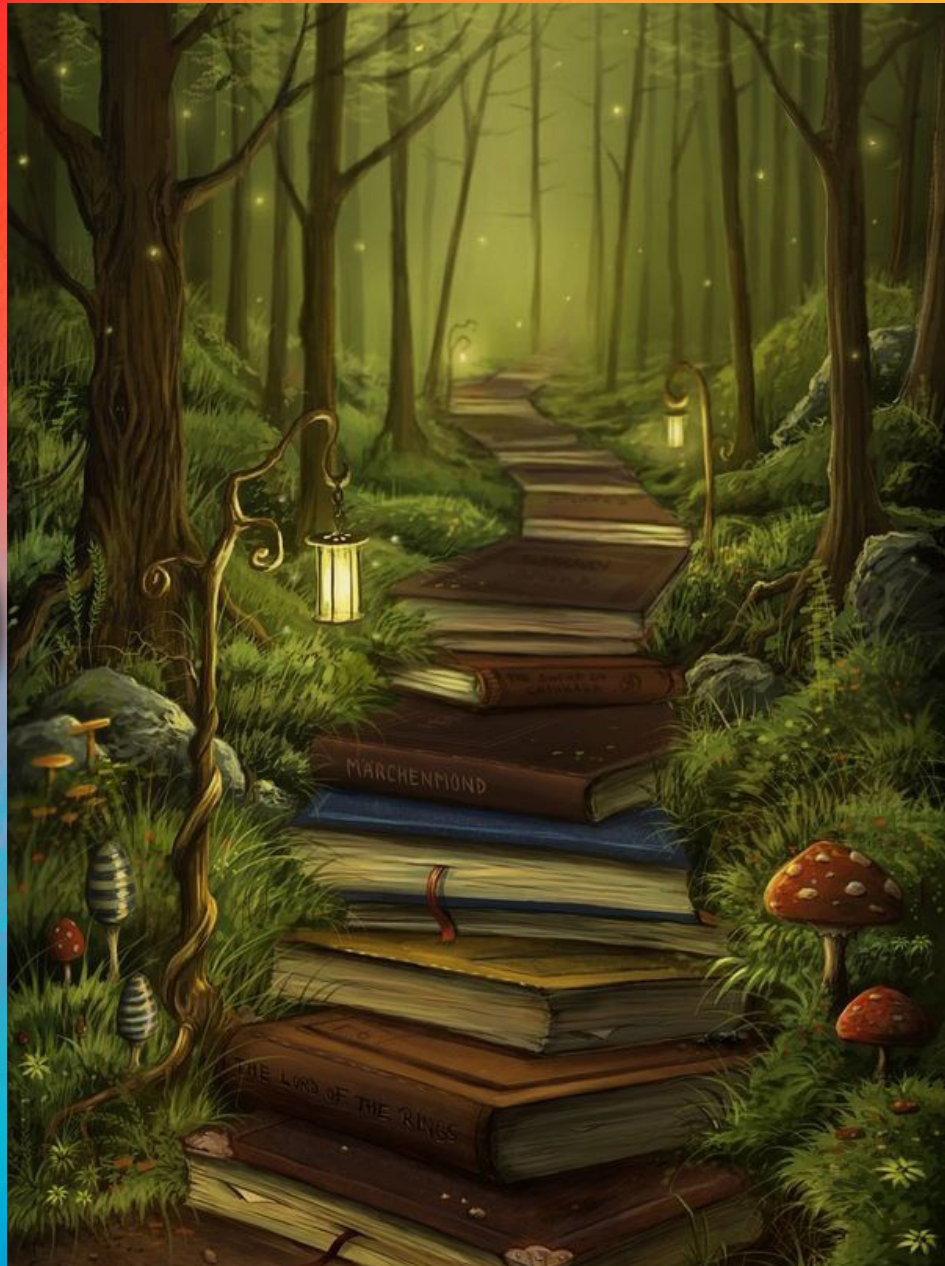
**سيرة درب السلطان**

♦ عبد الحق السلموتي

# الطريق الثقافي

## (إبداع وفنون)

♦ إعداد: عبد الغني عارف



الكتب زاد الطريق.. الذي يرسم الطريق لعالم أرحب..

## في المراجعة...

♦ ذ. عبد الغني عارف



أينك

يا شاعر

القبيلة...؟!

من المعارف التي لقنها لنا أساتذتنا، ونحن على مقاعد الدراسة، القول بأن الأديب ابن بيئته وأن الشاعر كان صوت قبيلته ولسانها، ينافح عنها وقت الحرب ومواجه الأعداء بسيف الكلمة، ويمدحها في أوقات السلم مبرزاً مناقبها وخصال أفرادها. ولعل الكثيرين منا ما يزال يرن في أذهانهم ذلك البيت الضخم بجرسه الموسيقي: (ألا لا يجهل أحد علينا \*\*\* فنجهل فوق جهل الجاهلينا). إنه قمة التعبير عن الانتماء لنسيج القبيلة ولحماتها، والاستعداد للذود عن حياضها. ونحن بالطبع نتحدث هنا عن الانتماء القبلي بمواصفاته الملائمة لتلك الفترة ولحيثياتها الاجتماعية والثقافية.

ولا شك أن أشكال التعبير عن هذا الانتماء تطورت عبر التاريخ، إلى أن وصلنا اليوم إلى مرحلة الحديث عن الأدب الملتزم، وعن أدب المقاومة في حالة التجربة الفلسطينية، وعن المثقف العضوي، فتولدت عن ذلك كتابات وممارسات إبداعية وفنية كان لها، وما يزال، إشعاع فكري وإنساني كبير، فظهرت في روسيا رواية " الأم لكسيم غوركي، وفي فرنسا رواية " جرمينال " لأميل زولا، وفي فلسطين رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني، وفي تركيا مسرحية " الرجل المنسي " لناظم حكمت، وفي التشيلي ديوان "عشرون قصيدة حب وأغنية يائسة" لبابلو نيرودا، وفي إسبانيا ديوان "حكايا عجزية" لغارسيا لوركا، وديوان " أغاني الحياة " للشابي بتونس، والجامع بين هذه الأعمال أنها جميعها صفحات مشرقة من الإبداع الإنساني الذي التقط نبض التحولات الكبرى في مجتمعات مؤلفيها، وكانت بذلك أعمالاً ضمنت الخلود لنفسها ولأصحابها، لا لشيء سوى لأنها كانت منتمة لتاريخها ووفية لتطلعات المجتمعات التي ظهرت فيها.

تري هل يمكن أن نطرح في ضوء هذا الاستحضار تساؤلاً إشكاليا يخص الأدب المغربي، فنتساءل اليوم: إلى أي حد استطاع المبدعون المغاربة، في

مختلف أشكال التعبير الأدبي والفني، التقاط زخم التحولات التي عرفها ويعرفها المجتمع المغربي، خصوصاً في العقود الأخيرة؟، ولناخذ الحدث الذي عاشه المغرب منذ عشر سنين خلت، ونقصد حركة 20 فبراير، بغض النظر عن التقييمات الخاصة لوقائع هذا " الحدث " والموقف منها.

جواباً عن هذا التساؤل، وهو في كل الحالات جواب افتراضي يحتاج إلى مزيد من التمهيد والبحث، يمكن القول إنه إذا ما تفحصنا ما أنتج في الأدب المغربي، مواكبة لحركة 20 فبراير، فسنجد أنه محدود جداً، وأنه لم يكن في مستوى ما كان ينتظر من المثقفين من دور لتوثيق هذا الحدث إبداعياً وجماالياً، بغض النظر عن طبيعة الموقف منه، ففي مجال الإنتاج الروائي مثلاً، وهو المؤهل أكثر، إلى جانب السينما، للقيام بهذه المهمة، نلاحظ أن الروائيين المغاربة لم يخوضوا تجربة مساءلة تلك المحطة الاستثنائية في التاريخ النضالي للشعب المغربي، باستثناء أعمال قليلة جداً، وفي مقدمتها رواية " الحركة " للكاتب عبد الإله بلقزيز، والتي حاولت تشريح البنية الداخلية لحركة 20 فبراير بكل تناقضاتها واصطفاقاتها، ورواية "حب فبراير" للكاتب مبارك ربيع والتي يمكن اعتبارها ملازمة خجولة لجوانب من محطة 20 فبراير، إلى حد يمكن القول إن عنوانها أكبر من مضمونها من حيث معالجة الحركة. وعلى سبيل المقارنة -مع اختلاف في السياقات- نجد مثلاً أنه في التجربة المصرية نلاحظ ظهور عدد كبير من الروايات والأعمال السينمائية والتلفزيونية واكبت وقائع ما سمي يومها بالربيع العربي بميدان التحرير، وإن بمقاربات ومنطلقات متباينة.

لذلك لا بد أن نعترف بأن هناك مناطق بياض في طبيعة تفاعل الإبداع المغربي مع هذه الحركة، ومع غيرها من الأحداث والوقائع التي وشمت جسد المجتمع المغربي في العقود الأخيرة. وهذا الإقرار لا يتماشى مع الانطباع



# أينك يا شاعر القبيلة...؟!

في المراقبة...

♦ ذ. عبد الغني عارف

المعنى يكتسب الإبداع قوة الجاذبية التي تؤثر في الأفراد وفي المجتمع ككل، فالكتابة التي لا تكون متدفقة بما ينتاب الشعور الجماعي المشترك بين أفراد المجتمع من أحاسيس وتطلعات مألها هاوية التاريخ، وما أسحقها من هاوية!

إننا بهذا لا ندعو إلى أن يكون الإبداع صورة منمطة وميكانيكية لما يجري في المجتمع، بقدر ما نتبنى فكرة أن يكون للمبدع دور في قراءة تحولات المجتمع وتفسير تناقضاته، بما في ذلك من تنمية القيم الإنسانية التي يمكن إدراجها في إطار خانة المثل العليا، وفي مقدمتها قيم العدالة والحرية والكرامة الإنسانية الشاملة، وذلك بالمساهمة في يقظة المجتمع في إطار ما يمكن أن نسميه التحريض الجمالي على التغيير. إنه ليس كافيا أن نفهم الواقع وفق مقاييس ذاتية منغلقة، بل ينبغي أن نعمل على تفسير عناصر ذلك الواقع وامتلاك أدوات تغيير تلك العناصر كلما دعت الضرورة التاريخية إلى ذلك. ولأنه ليست هناك نهضة مجتمعية حقيقية لا يكون المعطى الثقافي النواة الصلبة لمكوناتها، فإن مسؤولية المثقف التاريخية ثابتة هنا، بالمعنى الذي نفهم به التاريخ

بكونه منتجاً بشريا يصنعه الأفراد والجماعات. الملاحظات أعلاه تدفعنا إلى توجيه نداء استغاثة: أينك يا شاعر القبيلة...؟ وبلغة العصر نكرر النداء فنقول: أينك أيها المبدع في هذا الوطن...؟ أينك أيها المثقف...؟ وما موقعك من كل ما يعرفه المجتمع من أحداث وتحولات...؟

إلى اللحظة البديلة الممكنة. إننا لا نريد للمبدع أن يكون مريدا ولا تابعا لأي سلطة، مادية كانت أو رمزية، أو بطلا أسطوريا يحارب بالسيف، ولكننا أيضا، وفي الآن نفسه، لا نريده أن يكون مجرد كيان وهمي يحترف "الكتابة المجانية" بقدر مما نريده مشعلا ينبير دروب التغيير المتداخلة. إنها دعوة إلى نبذ صورة المثقف المعزول

العام الذي لدينا عن الإبداع المغربي، ذلك أنه بالرجوع إلى المنتج الإبداعي المغربي، بتعبيراته الأدبية والفنية المختلفة، في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي نجد أنه يزرع بمواد تفاعلت بقوة مع كثير من الأحداث، فكان المبدع في مقدمة المشاركين بوعي واضح المعالم ويخلفه فكرية وثقافية محددة، إلى حد كنا نجد

لكل حدث اجتماعي وسياسي صدى في الكتابات الروائية والسردية وفي مجموعة من الأعمال الفنية، الغنائية منها أو السينمائية.

ولعل ما أشرنا إليه من محدودية مواكبة الأدب المغربي لمجموعة من التحولات الاجتماعية بالمغرب، يطرح على المختصين بسوسيولوجيا الثقافة والمنشغلين برصد مؤشرات تلك التحولات في علاقتها بالنخب الثقافية، أسئلة عديدة لفهم أسباب انزواء أغلبية المثقفين وعدم انشغالهم، إبداعيا وفنيا، بما يمر به المجتمع المغربي من تيارات وتناقضات في المواقف والقيم.

ونحن إذ نطرح هذه التساؤلات بهذه الصيغة، فليس لأننا نوجه اتهامات جاهزة مسبقا، بل فقط لأننا لا نريد للمبدع أن يستكين لدفع برجه العاجي، وأن يقدم نفسه على أنه منتهى

الصلاحية بمعايير التاريخ وسننه. من المؤكد أن من حق المبدع أن يكون حرا في اختياراته الفنية والإبداعية، غير أن هذه الحرية لا تعني انسحابه المطلق من دائرة الرسالة التي ينبغي أو يفترض أن تكون للمبدع في المجتمع، رسالة المساهمة في إزالة قشور الظلام عن الذهنيات في أفق تطوير الوعي المجتمعي من حالته اللحظية القائمة



عما يجري في مجتمعه والذي يكتفي بموقف المتفرج المحايد. على المثقف في مثل هذه المراحل من تاريخنا أن يتجاوز تمرقاته الذاتية في بعدها المأساوي والوجودي الضيق، والانطلاق لمعانقة مصائر المجتمع المشتركة، وبذلك يمكنه أن يساهم في تحرير الوعي الجماعي للناس من ترسبات العبودية بمختلف تجلياتها. وبهذا

# رواية "قالت أمي للسجان" ليوسف الطاهري أو الكتابة بالدم

## مأساة الذات و الذاكرة

ما الألم؟ أهو تشنج أم وجع؟ أهو أعراض وغسر أم ضغط وعجز؟ أهو وضع غير مريح ومشاكل أم شدّ و تعصب ومقاومة؟... قد يكون الألم كل ذلك، وقد يكون غيره. قد يتشكل كطاقة. نوعيها الإيجابي والسلبي. تحيط بالهدف لتزديه في الأخير صريح التوت، سريع التفاعل. لكن الألم في جميع هذه الحالات عنصر مؤثر على الذات وفيها وعليها. والألم؛ بما هو معاناة، محرك للكتابة والإبداع عموماً. وعبر التاريخ الأدبي، ارتبط الفن بالألم أو الكتابة بالمعاناة، بل ربما تم اعتبار أفضل النصوص (رواية، شعراً، تشكيلاً، رسماً وموسيقى) تلك التي خلّدت للمآسي والفواجع الإنسانية. نذكر في الرواية مثلاً: شرق المتوسط لعبد الرحمان منيف، الحرب والسلام لليون تولستوي، البؤساء لفكتور هوجو... وفي الشعر لنا ما دونه شعراء القضية الفلسطينية كنموذج أو آخرين مثل الملاحم الكبرى أو نصوص كيوم أبولينير وبروست.. وفي الرسم نمثل بلوحة: الصرخة لإيدفار مونك، أو كرنیکا لبابلو بيكاسو.. وفي التأليف الموسيقي هناك سمفونيات موزارت و باخ وغيرهما، هذا يعني، أننا بصد تصدير آلام المبدعين الداخلية نحو الآخرين، ليس لكسب التتويه، كما اعترف بذلك الروائي الروسي دوستويفسكي.



■ جواد الموهني

## عتبات نصية في خدمة الألم

في هذا الصدد، يأتي العمل الروائي، السير- ذاتي "قالت أمي للسجان" ليوسف الطاهري، في طبعته الأولى عن مطبعة نجمة الشرق بركان 2019. هو محكي ذاتي، بكل سهولة نستطيع تصنيفه ضمن أدب السجون، أو أدب الاعتقال السياسي. إذ نجدنا أمام عناصر متعددة داعمة للطرح. بداية بالعنوان، حيث ورود لفظ "السجان" بكل حمولتيه المادية والمعنوية، مروراً بلوحة الغلاف للفنان التشكيلي محمد سعود، والتي بإطلالة عليها، تبسط أمامنا طيف شخصين على الأقل (ذكر و أنثى)، يعولهما ضوء قمري، بين خطوط متعامدة، وقضبان سجنية، مع اعتماد ألوان غامقة، متداخلة في ما بين الساخن (الأحمر والأزرق والأصفر، وهي ألوان النار كما تُنعت ! ) والبارد (حيث الارتباط بعمق مياه البحر وسُدول الليل). فاللوحة إذا، وباعتماد نظرية "إيروين بانوفسكي" في قراءتها تشكيليًا، سنبحث عن إجابات حول: الأشخاص، اللباس، الألوان، الخطوط والأشكال، زوايا الضوء، مساحة الظلال، الجزئيات المغمومة، الأغراض المبتوثة، المعاني الأولى والثانوية والصريحة، وستتبين المقاصد، وتتضح الرؤى، حيث التلاقي المباشر مع مضامين الرواية.

## المضامين و كتابة الفاجعة

بعد العنوان و لوحة الغلاف، يأتي المضمون زاخراً بمعاني الفواجع و الآلام. و نحس منذ البدء شعور الراوي بالحسرة على مغادرة الوطن، ويعني ذلك، فراراً من واقع مريب وهروباً من ذكريات مؤلمة، ومحاولة لتغيير وضع مسيء بأخر مريح، بعد أن تم الاعتراف بالعجز عن تحقيق الجميل والأبهى والأفضل في أرض الوطن !!

نحن إزاء بحث عن هوية مفقودة بفعل فاعل، و استنجايد محطة جديدة لدفن ومواراة جحيم سابق. لكن هذا القفد سيضطرب هو الآخر عندما يصطدم الحلم بجدار واقع عنيد آخر، و سيتضاعف الألم حين محاولة الانتحار، قصد تحقيق "الخلاص" النهائي !! هي مأساة الذات والذاكرة إذا، وهو محو المَحْو في النهاية. يقول "ميلان كونديرا" : "إن كل رواية لا تكشف جزءاً من الوجود لا يزال مجهولاً، هي رواية لا أخلاقية." ماذا يعني ذلك ؟

إن كتابة الغامض والمُبهَم فينا، هي تعبير عن سُمو ورفعة، واستخلاص لميول ولنزعة معينين. ويكاد يُجمع الفلاسفة (أرسطو، كانط وروسو على الأقل) على أن الأخلاق أفعال ناتجة عن العقل من أجل الخير الأسمى، يعني فعلاً واعياً ومميزاً. بالتالي، فحين يعمد الكاتب إلى تَذْوِيَتِ سُروِّده الأليمة، فهو لا يكشف عن ضعف، بقدر ما ينحو باتجاه نور يلهث وراءه، عله يعثر على فضاء أرقى و أسمى، فتغذو هذه الكتابة بالتالي، "تملك روحاً تعكس وجود الإنسان و فلسفته و غايته و مخاوفه.. و لعل ذاك ما أرتضاه يوسف الطاهري لنفسه، إذ الحَيُّ في روايته مقرون بفضح عَوْرَاته دون خجل، و بهذه الممارسة، كما لو أنه يسعى إلى "تطهير" ذاته من شوائب عالقَةٍ



يوسف الطاهري يكتب سيرته الذاتية وراء القضبان.

بها: التيه الداخلي، الاغتراب الذاتي، صرخة الآلام الدفينة (أنظر الصفحتين 35 ؛ 36 و ما بعدهما هودجا)، طرح الأسئلة الوجودية الحارقة (مناذج ص 43؛ 44؛ 45...)، محاورة "الأنا" الفاشلة... وغير ذلك من التقنيات العلاجية إن صح التعبير. والذات هنا، غير ذات يوسف الطاهري، بل هي "مضاعفة"، نقلها بين: أنا، أنت، هو. فنجد السارد تارة يقول: يخط، يغادر، يتكئ، يصل... (بصيغة ضمير الغائب)، وتارة يقول: التقيت، صادفت، استجمعت قواي... (بصيغة المتكلم)، وأخرى يقول: بدأت تُشعرُ أنك تلج، رُحْتُ مقبلاً، تساءلت عن حالك... (بصيغة المخاطب).

إن التناوب في هذا التشكيل السردى للذات، دليل على "لا طمأنينة" وعلى قلق و"لا استقرار" !!

ومن حقنا أن نتساءل استنكارياً: - كيف يحس بالأمان من جَلَدَه و طَئَه ؟ - كيف يشعر بسلام روحي من تَهْدَدَ سَلْمُهُ الداخلي بأَمِّ مكلمة أو فجعية أبٍ مُخْتَنَق، أو حيرة إخوة ؟!

ما مورس من تعذيب نفسي في حق المعتقلين كفيلاً يحو لفظة "السماح" من قاموسهم ككل ! هنا نقول، إن الكاتب استطاع أن يرسم لنا "حدود الوحش والإنسان داخل الجلال" كما عبر عن ذلك الباحث السيميائي الدكتور سعيد بنكراد. أو بتعبير أدق، ما خلّده الشاعر السوري: ممدوح عدوان إذ قال: "إن عالم القمع المنظم منه والعشوائي، لا يصلح للإنسان ولا لنمو إنسانيته، بل هو عالم يعمل على حَيَوَنَةِ الإنسان أو تَحْوِينِ الإنسان".

إن الشعور بافتقار الحرية أمر فظيع للغاية، وما سرده يوسف الطاهري على مدى صفحات روايته، هو تمجيد وترتيل قداسي لذلك الإحساس الذي لا يكاد يُضاهى. وثمة في النص تعبير أخالهُ أبلغ تصوير عن قيمة الحرية. فقد أورد الكاتب على لسان صديقه السجين (نون)، حينما أخبره أنه محكوم بثلاثة أعوام نافذة، قال (نون): "أما



# رواية "قالت أمي للسجان" ليوسف الطاهري أو الكتابة بالدم

## مأساة الذات و الذاكرة

الأسوار السجنية، هو بمثابة الجسر أو المعبر !! لكن هذا العنصر غالبا ما اصطدم بأسوار معنوية أخرى: لحظات الحسم في قرار الفرار أو مواجهة الآلة القمعية بتقديم النفس طواعية للشرطة، و تحمل كامل التبعات، لحظات الاستنطاق البوليسية، لحظات الزيارات العائلية، لحظات الفرحة والشغب بمعية الإخوة بالبيت، اللحظات البطولية للإضراب عن الطعام... وهذا ما جعل الكاتب يرى في الذاكرة مصدرا للعذاب.

- أما عن الثالثة، فإن تحقيق الذات عبر الأحلام، و عبر الهروب من فظاعة اليومي السجني، مسألة تتأتى دون رغبة شخصية. ومن منظورنا، فإن ارتباط "الحلم" بحقوقه المتنوعة في الرواية: الليل، الحكايات، العتمة، النوم... كان مطية فقط لعنصر أهم، هو "الأم". فهذه الشخصية وإن كانت ذاتا للآلام بامتياز، فإنها شكلت بؤرة دامة لتحقيق الحرية، وفعلًا محفزًا على المقاومة.

حضرت الأم في كل مراحل الحكي، بل إن عنوان الرواية ككل مرتبط بها، فهي من سيخاطب السجان ببأس وقوة، وهي من سيصرخ في وجه الجلا، وهي من سيكتوي باعتقال فردين اثنين من أبنائها، وهي من سيفرد لها الكاتب قبل هذه الرواية بسنوات خلت عنوانًا ديوانه الشعري الزجلي الأول: "يا ما غدا العيد". أقصد أن الأم شخصية استطاعت تحقيق حلم الحرية المعتقل، بفعل مجسّد، يضاهي المقاومة في نوعيها الآخرين الواردين سابقا. ثم إن الكاتب يحتفي بقيمة الأم هنا، مثلما احتفى ماكسيم كوري في روايته "الأم"؛ بالشخصية التي ستبني فكر ابنها المعتقل، بل والتي ستحمل راية تصوراته الثورية بعد استشهاد وهو بين ذراعيها.

## على سبيل الختم

عرّف الروائي القاص "مصطفى لغتيري" أدب السجون بأنه "كتابات حاولت ملامسة تجربة الاعتقال السياسي إبداعيا، أي أنها اتخذت من الكتابة وسيلة لتصفية الحساب مع تجربة إنسانية ووجودية ونفسية مريرة". فلا شك إذا أن الكتابة عن الألم أمر غاية في الصعوبة؛ حيث تُرْسَخ هذه اللحظة في وجودية

الكائن/الكاتب/المعتقل وفي ذهنيته هوامش وصوراً وجزئيات يغفلها الآخر/القارئ/المتلقي، أو قد لا يعبرها اهتماما. وخوض فعلتي: الذكر والتدوين، حتما لن يمر سِلْسَا، سيُجدد الأوجاع وسيُحيي الآلام وسيُعيد المعاناة. بالتالي، فأدب التخيل السجني هو كتابة بالدم، ليس إلا !! بل هو "أدب مقاومة وممانعة" حسب تعبير لخضر منير. وقد ذهب إلى اعتباره الباحث محمد رمسيس "رأسملا رمزيا لكل المغاربة، يُمكنهم الاطلاء من شرفته على تقرحات الوطن و أوجاعه".

من حقنا أن نطرح السؤال / الإشكال التالي، بعد كل هذا و ذاك: - كيف لكتابة مُجدد الألم أن تكون مُمتعة؟؟!!... هو سؤال، سيبقى مفتوحا عالقا في جميع الحالات.

أنا فمحكوم بثلاثة أشهر نافذة، قضيت منها شهرا ونصفا، ومع ذلك أشعر أنني لن أتبول يوما فوق الربيع !".

المغزى هنا، أن قيمة الإحساس بتعاقب فصول السنة، و بتفاعل عناصر الطبيعة معها، لا تُضاهي، ف "حرمان السجين من التمتع بالطبيعة، عقاب وتأديب له"، أو كما عبر عنه الكاتب نفسه حين قال في الرواية: "السجن غير قابل للوصف". (أنظر الصفحة رقم 189).

## المحكي السجني وسبل المقاومة



يوسف الطاهري

قالت أمي للسجان...

رواية

أشار الأستاذ محمد رمسيس، أحد المهتمين بما يسميه: "المحكي السجني" أو "التخيل السجني" إلى أن "السجن مكون فاعل في تطور الوقائع والأحداث وكيونة المعتقل، بل ومخيال المتلقي نفسه، إنه فضاء يحيل على جانب كبير من التعقيد الدرامي. وفي موضع آخر: "روائيّة العمل تتأسس على الأحداث والوقائع المركبة التي تنمو وتتكبر وتتعدد".

أوردنا الإحالتين هنا لبيان المؤثرات الخارجية على الفعل السرد في الرواية، ما بين "الموضوعي" و "الحقيقي" و حضور "العين الشاهدة"؛ بتعبير سعيد بنكراد. و يبدو أن الأسلوب السردى - هنا - قد اتخذ "شكل حكيّ عقوي يروي وقائع التجربة"؛ بعيدا عن قوانين "الكون السردى، المشيد عبر : التأجيل، والتعجيل والصمت واللاتحديد والقصدية الضمنية".

و في ذات السياق تبرز العلاقة داخل فضاء المعتقل بالمكان والزمان، وكيف تم تدويرها. وشخصيا أجبذ النظر إلى الأمر من زاوية "المقاومة"؛ أي، كيف تم نسج الرابط مع اللحظة السجنية ؟

ثمة إشارات ثلاث في الرواية، تحدد المسألة: علاقة الكاتب بالأبواب، علاقته بالذاكرة، وأخيرا علاقته بالأحلام.

- ففي الأولى، تبرز قيمة الباب كمنفذ أو كمدخل/مخرج. وقد أورد

يوسف الطاهري ذلك في موضعين: باب الزنزانة كمصدر للنور (ص 149)؛ ثم باب المصحّة كمصدر لتلقي الأخبار وتداولها، ولتبادل الأحوال والمعطيات (المجهولة قبالا = الجهل بها !!) مع أخته المعتقلة أيضا في جناح النساء (ص 171)، وهي بالتالي علاقة انفراج وسبيل إلى المعرفة والاطلاع. بمعنى أوضح، أن الباب عنصر مؤثر إيجابيا، بكونه يمد المعتقل بخيوط ضوء وأمل، غالبا ما تشكل أحد الممنوعات.

- وفي الثانية، فإن استدعاء الذاكرة كان بمثابة الخلاص من عذاب مسترسل وإن بشكل من الأشكال. يقول الكاتب: "الذاكرة مرتع ومصدر العذاب عندما تتواطأ مع الليل أو مع لحظات الاختلاء بالنفس". فبالرغم من أن المعاناة تتفاقم لحظتها، إلا أنها اعتناق و نزوع نحو التحرر والبوح الذاتي، بالنظر إلى قيمة "التفريغ" عن طواعية وبدافعية شخصية. ما يعنيه أن الذاكرة واستدعاء أجزاء من الحياة خارج

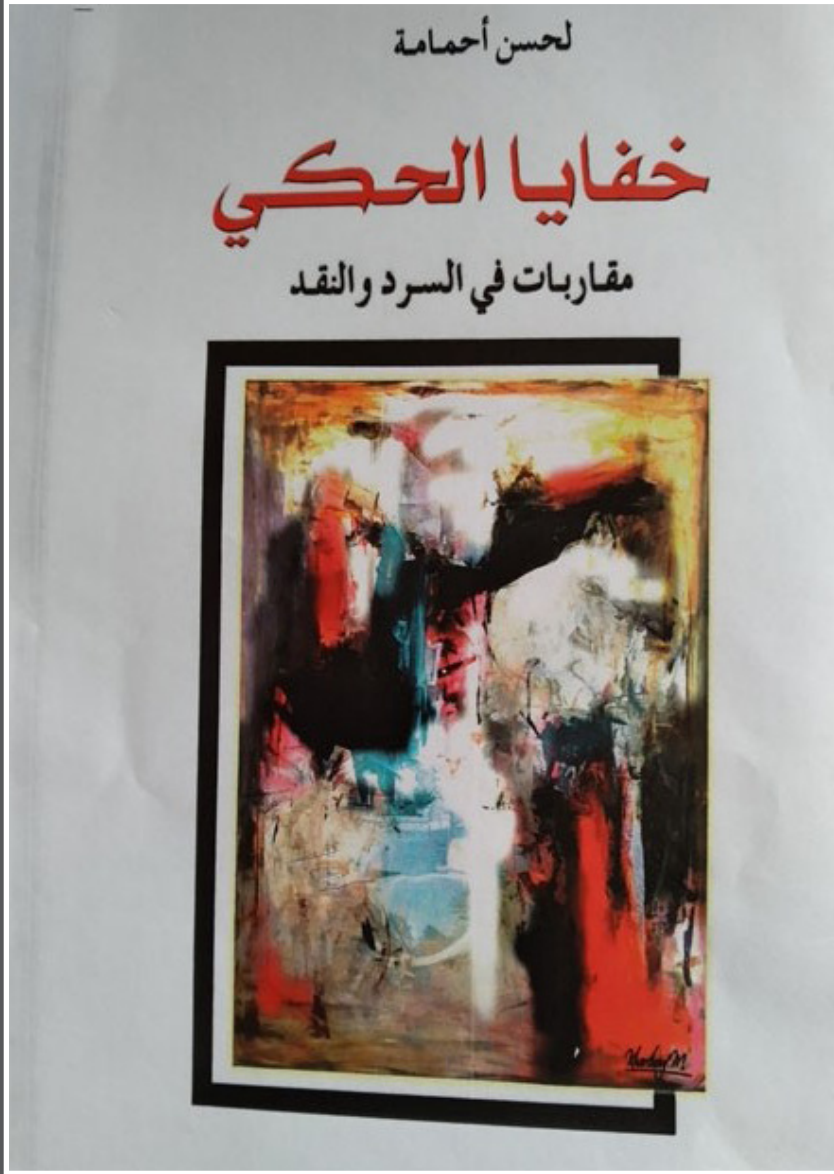
# لحسن أحمامة..

## الكاتب الذي لم يحلم أن يكون كاتباً

■ عبد الحق السلموتي



أصبح يزور الكاتب الكبير، بين الفينة والأخرى ببيته بالمعارييف. مرة وجد عنده الناقد المصري صبري حافظ، ومرة أخرى التقى هناك بالصحفي عبدالقادر شبيب، وغالباً ما كان يجد عنده القاص، محمد بوحمام وغيره من الكتاب والفنانين. مرة طلب منه كاتب "التغلب" الذي يظهر ويختفي" أن يرافقه إلى إحدى الوكالات البنكية لاستخلاص راتبه الشهري، الذي يتقاضاه مقابل ذلك العمود الصحفي. طلب المستخدم من القاص والروائي الشهير بطاقته الوطنية، وسأله إن كان يعرف الكتابة، فأجاب هذا الأخير بالنفي. وبرر موقفه عندما أصبحا في الخارج بقوله "نحن الكتاب لا نعرف إلا بعضنا". لم يدرك أحمامة ذلك إلا بعد مدة طويلة، إذ ظل هذا الحادث عالقا بذهنه، وقرر أن يكتب عنه، ونشر المقال بجريدة الاتحاد الاشتراكي، تحت عنوان: "محمد زفزاف لا يعرف الكتابة". وكان وقتها كاتب "المرأة والوردة" المعني بالمقال، لا يزال على قيد الحياة ويعاني من المرض. لحسن أحمامة لا يعتبر نفسه مترجماً، وإنما ناقدًا أدبياً. لذلك هو لا يترجم إلا الكتب التي يستفيد منها كثيراً في ممارسته النقدية. فلم يثبت قط أن ترجم تحت الطلب. هذا عهد أخذه على نفسه منذ أن ركب غمار هذه التجربة. فكل الكتب التي قام بترجمتها، كانت قد استهوتته، لدرجة أنه أحياناً كان يجد نفسه يقرأ النص الانجليزي، مباشرة باللغة العربية دون وعي منه، ومع ذلك يشعر بأنه لم يقدم كل ما رغب في ترجمته. ويعتبر ترجمة النقد أصعب بكثير من ترجمة السرد. فقد يتصرف مترجم السرد في النص الأصلي، لكن ذلك غير مسموح به في الدراسات النقدية، ولعل هذا ما جعل الكثير من الكتب النقدية مضللة، خصوصاً بعض الترجمات المشرقية. أما في المغرب فالترجمة



وبعد التخرج عمل أستاذاً للغة الإنجليزية. وحتى الآن لا يزال يكتب بعض المقالات الصحفية بين الفينة والأخرى، فمهمة الصحافة تظل لصيقة بصاحبها حتى وإن سعى إلى التخلص منها. ومن الذكريات المرتبطة بهذه المهنة، التي لا يمكن لكاتب: "القارئ و سياقات النص"، أن ينساها أبداً، زيارات العديد من الأدباء والمسرحيين، له بمقر جريدة "السياسة الكويتية"، من بينهم الراحل محمد زفزاف، الذي كان يكتب عموداً أسبوعياً بعنوان "الكلام المباح"، فتوطدت صداقة متينة بينهما، إذ

عمل بقسم الترجمة لفترة قصيرة، ثم تم تحويله إلى القسم الثقافي، مع الشاعر السوداني "محجوب البيلي". بعد ذلك أسندت له الصفحة الثقافية، ثم الملحق الثقافي. كانت بالنسبة له تجربة جد مهمة في حياته، ربط خلالها صداقات مع العديد من الكتاب المغاربة. وبعد توقف الجريدة مع حرب الخليج، عمل مراسلاً ثقافياً، ثم اشتغل في جريدتين وطنيتين أخريتين، غير أنه أدرك أن الصحافة مهنة شاقة، تحد من الطاقة الإبداعية، وهذا ما جعله يلتحق بالمدرسة العليا للأستاذة،

رأى النور في أوائل عام 1959، بزئقة العباسيين (زئقة الحبشة سابقاً)، التي تفصل كاريان و درب كرلوطي بدرب السلطان. يتذكر أنه كان مشاغبا، وبأن مستواه الدراسي كان متوسطاً. وفي ذلك الحي الشهير بالدار البيضاء، عاش طفولته ومراهقته. ومثل جيله كان يعشق الموسيقى، وهي التي قادته إلى الكتابة، علماً بأنه لم يحلم في تلك الفترة، بأنه سيصبح كاتباً في يوم ما. بدأ لحسن أحمامة أولاً، بكتابة قصائد شعرية باللغة الإنجليزية، بحكم التخصص في هذه اللغة، ولم ينشرها لعدم وجود جريدة أو مجلة تصدر في المغرب باللغة الإنجليزية في ذلك الوقت. وهذا ما دفعه للكتابة باللغة العربية، حيث نشر بعض القصائد الشعرية، لكن اهتمامه كان دائماً ينصب على السرد، وهذا ما أفضى به إلى كتابة القصة القصيرة، حيث نشر بعض القصص، مجموعة من المنابر الوطنية. عندما كان يمارس الصحافة بدءاً من سنة 1987، أجرى حواراً مع القاص والروائي محمد صوف. ومن خلال الأسئلة التي طرحها عليه، أجابه بأنه قد يكون ناقدًا جيداً. عندئذ ومثل يقظة الناظم، أدرك أن هذا هو مساره. هكذا تحول إلى الكتابة النقدية، وترجمة بعض الدراسات النقدية كذلك، وكلها نشرت بصحف ومجلات وطنية وعربية.

وارتباطاً بولوج مترجم "التخييل القصصي: الشعرية المعاصرة" لعالم السلطة الرابعة، قصة تستحق أن تروى. ففي بداية النصف الثاني من الثمانينيات، كان قد عاد من فرنسا، حيث كان يتابع دراسته في السلك الثالث في الأدب الإنجليزي. ذهب إلى مقر جريدة السياسة الكويتية "طبعة المغرب"، بالدار البيضاء. وبعد اختبار في الترجمة تم قبوله فوراً. ولم تكن لديه أية فكرة بالكل عن هذا العام.

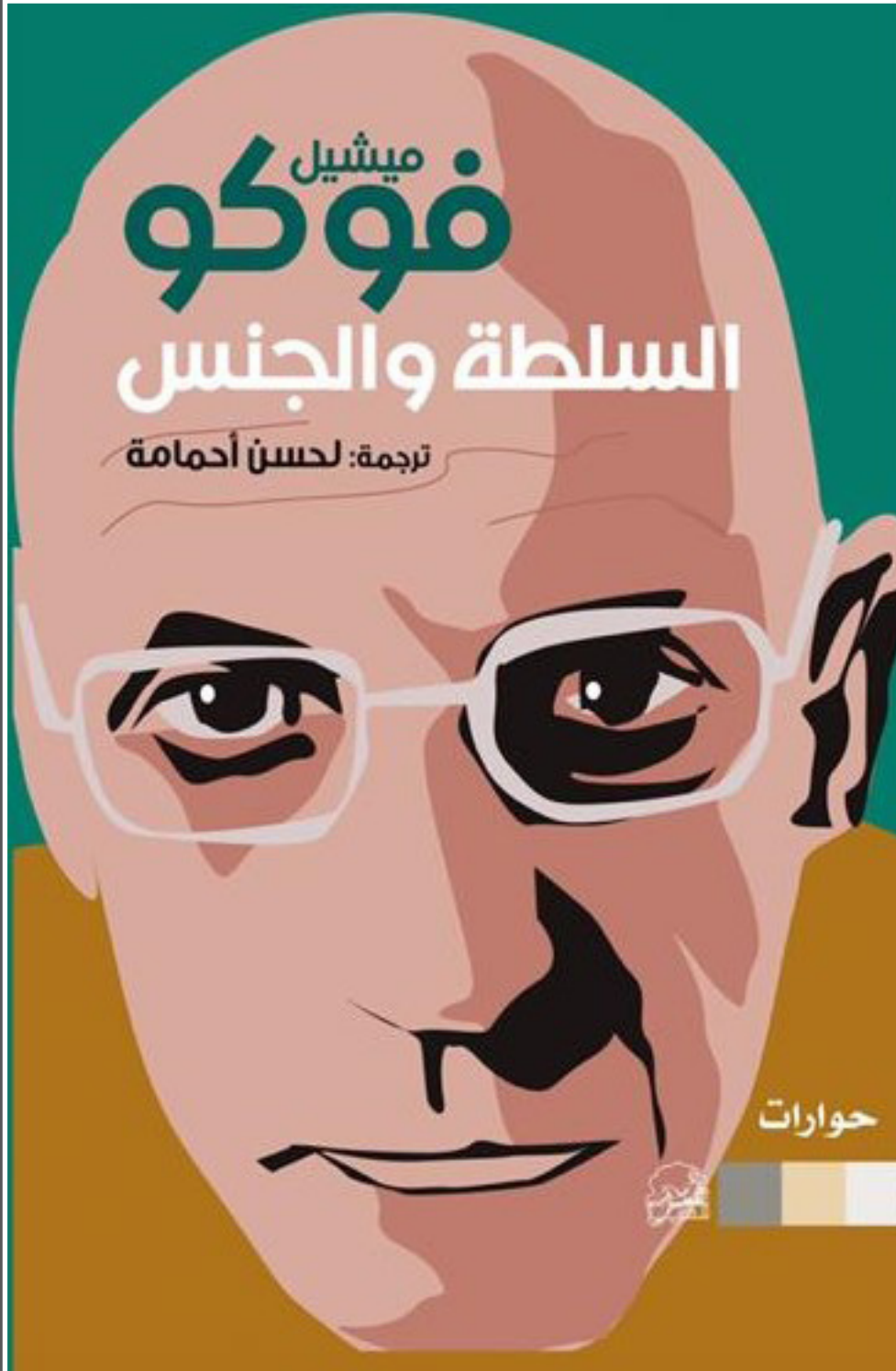


## لحسن أحمامة..

## الكاتب الذي لم يحلم أن يكون كاتباً



■ عبد الحق السلموتي



عموما جيدة، وهذه حقيقة لا يماري فيها أحد. ثم إن الترجمة، وإن كانت ممارسة شاقة، فهي ممتعة أيضا. بل إن الكتابة بشكل عام، هي نشاط ذهني وبحث عن الذات، وليست معاناة كما يدعي البعض.

أما النقد بالنسبة له، فهو إنصات إلى العمل الأدبي، وتحقيق حوار معه، وهو قبل كل شيء حكاية قراءة. هذه الحكاية يرغب دائما في تقاسمها مع القراء. إذ يعتبر أن الإبداع والنقد شغف، وليس مهنة أساسها البحث عن الربح المادي أو الشهرة. فقد دخل هذا المجال عن حب وليس عن شيء آخر. هو من المؤمنين بأن أساس الإبداع هو الجمال، والجمال هو ما يستوقفه ويستثيره للحديث عنه، إذ القراءة تنهض على التذوق قبل كل شيء. فكثيرا ما يتذوق نصا ويجد نفسه عاجزا عن الكتابة عنه، مثلما أن هناك نصوصا يجد نفسه مضطرا فقط لاكتشافها. فالنص النقدي هو إبداع ثان على إبداع أول، ثم إن الكتابة النقدية المبنيّة على المجاملات تسيء إلى المبدع، أكثر مما تسيء إلى الناقد، والنص الإبداعي الجيد يفرض ذاته على الناقد.

راكم لحسن أحمامة طيلة مسيرته الإبداعية، رصيدا هاما من الإصدارات الأدبية. ففي الترجمة له عشر كتب، وفي التأليف له أربعة كتب نقدية، إضافة إلى مساهمته القيمة في ثلاثة مؤلفات جماعية. وله من تأليفه كذلك رواية واحدة هي: "ذاكرة المرأيا"، التي رأت النور في العام 2014، عن منشورات اتحاد كتاب المغرب، والتي استغرقت كتابتها أربع سنوات، ثم ظلت حبيسة الحاسوب سنة أخرى قبل نشرها. وكان الهدف من كتابتها، هو الالتفات إلى ما اعتبرته جل النصوص الإبداعية، شيئا معيبا، أي الكتابة عن الذات وعن الحب، في حقبه طغى عليها الإيديولوجي، يعني بذلك سنوات السبعينيات من القرن الماضي. فكان عليه أن يستحضر تاريخ هذا الجيل الذي ينتمي إليه، بكل آلامه وآماله، ورغباته وأحلامه، ويكتب نيابة عنه. يتذكر أن أحد قراء "ذاكرة المرأيا"، وهو من جيله، قال له في ما يشبه الهمس إنه كتب هذه الرواية عنه. مثلما قال له أحد الصحفيين، أنه رصد تجربته ومعاناته مع الصحافة. لقد كان صعبا الإفلات من الذات لحظة الكتابة، غير أن الجزء الأعظم

ثانية عنوانها "سمفونية فيفالي".

تحكي من متقاعد مولع بقراءة

من الرواية متخيل.

ومن مشاريعه الأدبية القادمة، رواية

# أرواح هُدرت على حين غرة

عن ماذا سنكتب؟ وبماذا سنبدأ؟

عن اغتصاب عدنان؟

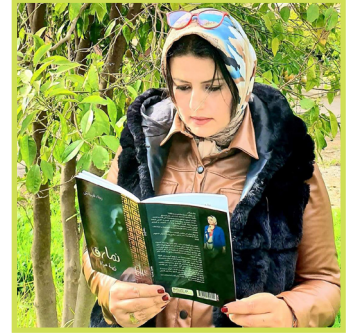
أم عن مذبحة سلا؟

أم عن فاجعة طنجة التي طفت على سطح النقاش العمومي بصخب في الساعات الأخيرة، ونحن على دراية أن "المسكوت عنه" قد يكون أفظع..

صرنا نتداول للأسف، مصفوفة لغوية تعج بمصطلحات العنف والظلم كلغة تدبير للواقع اليومي، تُكرس خطاب الكراهية والعداء والتنافر بين الأفراد، فنحن لسنا أمام عقبة تحديد هوية المجرم وكيفية محاكمته وسبل عقابه فحسب، بل في مآزق الاهتداء إلى سلام داخلي يرمم الشرخ الغائر الذي تكابده هويتنا القيمية والأخلاقية..

يسهل رفع "لافتات إشهارية" تُسوق منتوجا فاسدا ندعي جودته وصلابة مقاومته للتحويلات المجتمعية الجذرية والمتسارعة التي نعيشها، لكن يصعب جدا، الاعتراف بالتناوب بين ما نرومه وما حققناه بالفعل في خضم أحداث تخضع لنواميس "الفضل الأخلاقي" بكل ما تحمله العبارة من "اختناق قيمي"، يتبلور يوما بعد يوم، داخل حقل اجتماعي يعاني من الجفاف الفكري والتربوي..

الحاجة أضحت ملحة، إذن، بعيدا عن أي انتماء "سياسوي"، إلى الإقرار بأهمية "التفاوض الذاتي" ورفع الوعي بالمسؤولية، كميثاق ضمير بين قناعتنا وسلوكاتنا.



■ رجاء قيباش

## لحسن أحمامة.

### الكاتب الذي لم يحلم أن يكون كاتبا

■ عبد الحق السلموتي



يشملها درب السلطان، مثل درب الإسبان (سبليون)، حيث كان يقطن الراحل إبراهيم العلمي وعازف العود الراحل عمر الطنطاوي، والروائي أحمد البكري السباعي، وبدرب بوشنتوف كان يسكن عبد المجيد ظلمي والفنان محمد الحياني، واللائحة أطول مما يتصور المرء.

لحسن أحمامة - الذي يكاد يجزم بأن درب السلطان، لا يضاهيه أي حي آخر بالدار البيضاء، من حيث عدد الأسماء البارزة التي خرجت من رحمه - نشر قبل أكثر من عشر سنوات مقالة بعنوان: "أبكك يا دري الحبيب"، على غرار رواية آلن بيتون: "أبكك يا وطني الحبيب" رصد فيها تحولات هذين الحين، ومن الذين استحسنوا فكرة هذا المقال الروائي: عبد الرحمن مجيد الربيعي، الذي قال في إحدى الجلسات برفقة القاص والمترجم العراقي علي القاسمي، إنه يتعين على الكتاب، أن يعيدوا بناء مثل هذه المعالم كتابية.

وهو ما لم يتحقق للأسف، لعدم الثمام مثقفي درب السلطان للكتابة عنه، قد يكون مرد ذلك إلى هجرة العديد منهم إلى أحياء أو مدن أخرى.

الملابس والأحذية والعمود، وما إلى ذلك، علما أن العديد من الفنانين والرياضيين والمسرحيين، قد أقاموا بهذين الحين. فعلى بعد أمتار من بيت لحسن أحمامة، كانت عيادة طبيب الأسنان اليهودي ماكس بنشترت، أحد مؤسسي الحزب الشيوعي المغربي. وخلفه كانت تقطن الممثلة المغربية نعيمة لمشرقي وأسرته. وفي الجهة المقابلة بدرب كرلوطي كان منزل عازفة القانون عائشة سليمان شوقي، وبالقرب منها الحاجة الحمداوية، وبيت مصطفى شكري (بيتشو)، ومنزل البطل المغربي في سباق الدراجات امحمد بن احمد، وعلى مقربة من ذلك منزل القاصة الزهرة زيراوي والممثلة الشعبية العذراوي، والمفكر سالم يفوت، وعازف الناي إدريس (الناياتي). كما عرف هذان الحيان دور سينما، مثل الشاوية والباهية وشهرزاد، ثم الأطلس والماونية وموريطانيا. منها ما تم هدمه، ومنها ما تبدو الآن خرابا مهجورا.

عاش مترجم "شعرية الفضاء الروائي"، في هذا الجو المليء بالفن والثقافة. لائحة طويلة من الأسماء البارزة التي كانت بهذين الحين: ابنيني وشيشة وعائد موهوب وخديجة جمال، دون الحديث عن الأحياء الأخرى التي

وكتابا في العلوم الإنسانية.. و تبقى الكتابة بالنسبة إليه حال وأحوال - بالمعنى الصوفي - أحيانا يكون بصدد كتابة دراسة نقدية، وعندما تستعصي عليه، يتحول إلى الترجمة أو العكس، وهذا يأخذ منه وقتا لإتمام ما بدأه. من هواياته التي يروح بها عن النفس، بعد ساعات من القراءة والكتابة، عزفه على آلة العود يوميا، لفترة قصيرة، لقطع شرقة ومغربية. وهو يرى أنه لا يشكل استثناء في ذلك، فالزجال إدريس بلعطار يعزف على الهجو، والشاعر والمترجم نورالدين ضرار يعزف كذلك على العود، كما أن الروائي نجيب محفوظ كان عازفا على آلة القانون، وإدوار سعيد كان عازفا على آلة البيانو. إن الموسيقى ضرورة للكاتب، فحين نتحدث عن الشعر، نتحدث عن الإيقاع، كما أن ميخائيل باختين يتحدث عن البوليفونية، التي هي في الأصل اصطلاح موسيقي.

درب السلطان الذي رأى فيه النور، هذا المبدع المتعدد، وإن لم يعد يقطن به الآن، فهو لا يزال يسكنه، رغم التحول المهل الذي شهده، ورغم إقبال العديد من المعالم. فقد تم هدم فندق البشر، وتحول إلى قيسارية، بات حيي كريان كرلوطي ودرب كرلوطي سوقا لبيع

الروايات، ويحاول كتابة رواية. إنها رواية عن الحب والموسيقى والتشكيل. من المتوقع أن تصدر عن دار النشر مقاربات بمدينة فاس، وكتابان مترجمان :

- ما بعد الكولونيالية - دراسة في نقد الاستشراق تأليف الناقدة ليلى غاندي (حفيدة غاندي).

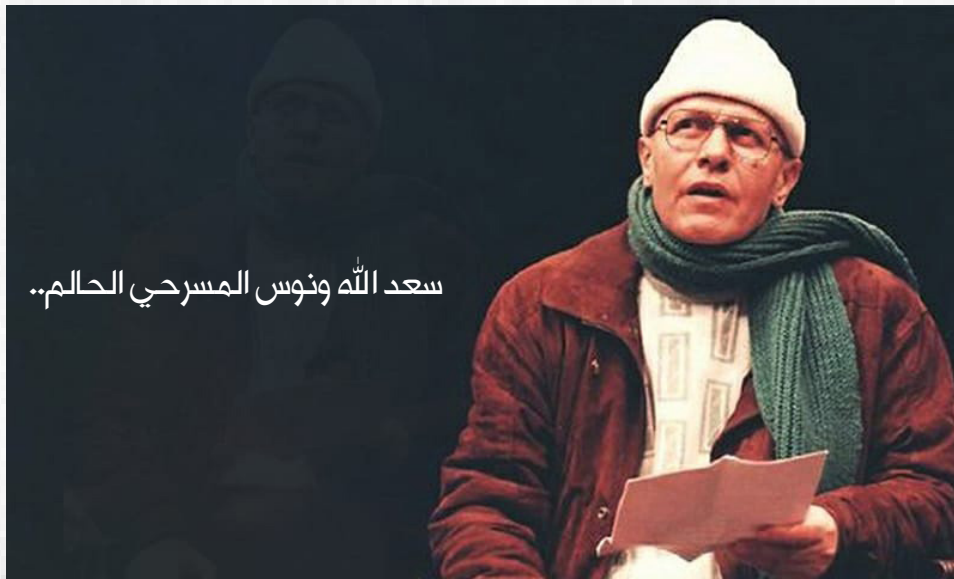
- ميشيل فوكو، السلطة والجنس - حوارات - تأليف ميشيل فوكو.

الأول منهما، لم يحسم بعد مترجم : "التاريخانية الجديدة والأدب"، في الدار التي ستتولى نشره، بينما الثاني صدر منتصف شهر شتنبر 2020، عن دار شهرار للنشر والتوزيع العراقية، لكنه لم يوزع بعد في المغرب، بسبب ظروف جائحة كوفيد 19 .

لا يقيد لحسن أحمامة نفسه بوقت محدد للقراءة. متى وجد الوقت يقرأ، وعادة ما يقرأ في المقهى، وفيها أيضا يكتب يوميا بدون استثناء، بين الساعة والتاسعة والنصف مساء.

ويقرأ بالبيت بين الحادية عشرة ليلًا والواحدة صباحًا، الرواية في الغالب. ومن عادته أنه يقرأ ثلاثة كتب في نفس الوقت بلغات مختلفة، العربية والانجليزية والفرنسية، وفي مجالات مختلفة، مثلاً يقرأ رواية وكتابا نقديا،





سعد الله ونوس المسرحي الحالم..

■ هريم بوسفيان



كيف يمكن

أن يذكرك

التاريخ

يا سيدي؟

سعد الله ونوس

يمتطي بغلة

ابن خلدون

ثم ماذا؟!

"لا شيء آخر أبدا لا الصالة انفجرت في مظاهرة ولا هؤلاء ينوون أن يفعلوا شيئا".

الكل ينسكب في مصب الروتين والرخاوة على أن التاريخ من فوقهم يجري بمحاذاة نهر بردي راسما خطوطا وخططا أخرى سينفذها لا محالة "بمكر"، فيعمل على بلورة وعي "ليس كأياها قارئ" أو "ليس كأياها متفرج" دون أن يتوقع أحدهما ما يمكن أن ينجم عن هذا الوعي من تحول حتمي... على جنبات النهر في ليلة ليلاء سيحتدم هذا الوعي خدمة للعقل الكلي... على ريوه المدينة سيستفيق وعي ما بينما الآخرون نيام ليواصل التاريخ سيرورته نحو الهدف الأسمى الذي تتلاشى فيه الإضاءة وتسدل الستارة.

أعود إلى قلب المنمنمات وأستل من الحوارات المتضاربة السؤال العظيم الذي طرحه المؤلف على لسان التلميذ شرف الدين على أستاذه ابن خلدون: كيف يمكن أن يذكرك التاريخ يا سيدي؟ ابن خلدون العظيم الذي قال عنه الشاعر التونسي محمد الصغير أولاد أحمد كلمات طالتها يد القمع:

يا ابن خلدون المدينة أضيق من خطاك  
ولكم مررت ببرنسك الحديد  
فساءني زمني

فاخرج من الوثن من جديد  
واكتب إلى الوثن المقابل ما يليق بحجته  
....

قل ما تريد

فلنا المدى وله الصديد

من يحق له مساءلة العلامة العبقري؟ حتما ليس التلميذ شرف الدين الذي له شرف الصلبة قبل شرف التلمذة والدين... وماذا لو خرج العلامة "من الوثن من جديد" ومد يده لـ "الوثن المقابل" كما مدها من قبل للطاغية التتري فـ "كلهم تتار" كما تقول "ريحانة".

إنقاذاً للنفس كما يقتضيه مبدأ التقيّة وإنقاذاً للعلم والعلماء كما يفرضه مبدأ الموضوعية. يضع ابن خلدون يده في يد الشيطان الذي أثارته

جميل أن تفتح كتابا لتقرأه كـ "أيها قارئ" وليس كأياها الناس ثم تجد ذات الكتاب يجرك من أم أنفك نحو جُب لا قرار له من الأسئلة، فيصير حبل النجاة للخروج من ورطة القراءة قراءات موازية أخرى، تتخطفك الكتب وتقتطع منك نصيبا فلا تصل إلى السطح إلا وأنت مهشم. هذا ما حدث وأنا أخوض قراءة "منمنمات تاريخية" للكاتب المسرحي سعد الله ونوس، مسرحية أسيل حولها الكثير من الحبر وأثارت جدلا بين أولي الطول والعرض، فما عساك تضيف أيها القارئ التافه إلى ما قيل؟ لا شيء اللهم تفاهة تليق بهامشيتك.

من باب "ذكر"، ولا ضير، لا بأس من تقديم بسيط لا يحتوي النص العظيم قبل الدخول في صلب التفاهة:

منمنمات تاريخية مسرحية من ثلاثة فصول افتتحت بالهزيمة مع رجل الدين الشيخ برهان الدين التاذلي، واسترسلت مع محنة العلم في شخص ابن خلدون لتنتهي بمجزرة مع مقاوم القلعة الأمير أزدار... منمنمات مؤشاة بالنكسة والانتكاس، يتلاشى الضوء فيها مع نهاية كل مشهد لينوس من جديد فاتحا المجال للمشهد الموالي، وبين الإنارة والعتمة يتدخل "المؤرخ القديم" ليسرد الوقائع ويصف الأحداث بكل برود وحياد كمسجل كاسيت، مما يثير حنق المؤلف فيحتج مُبتعدا عنه: ما سيأتي من رعب يستدعي "شيئا من التعاطف وقليلًا من الحس الفاجع"، لكن المؤرخ القديم لا يملك غير إمكانية سرد الفواجع كما تأتي وتتواتر فيواصل غير آبه ويواصل نهر "بردي" في قلب المدينة جريانه خارج إحداثيات الفاجعة والفرجة.

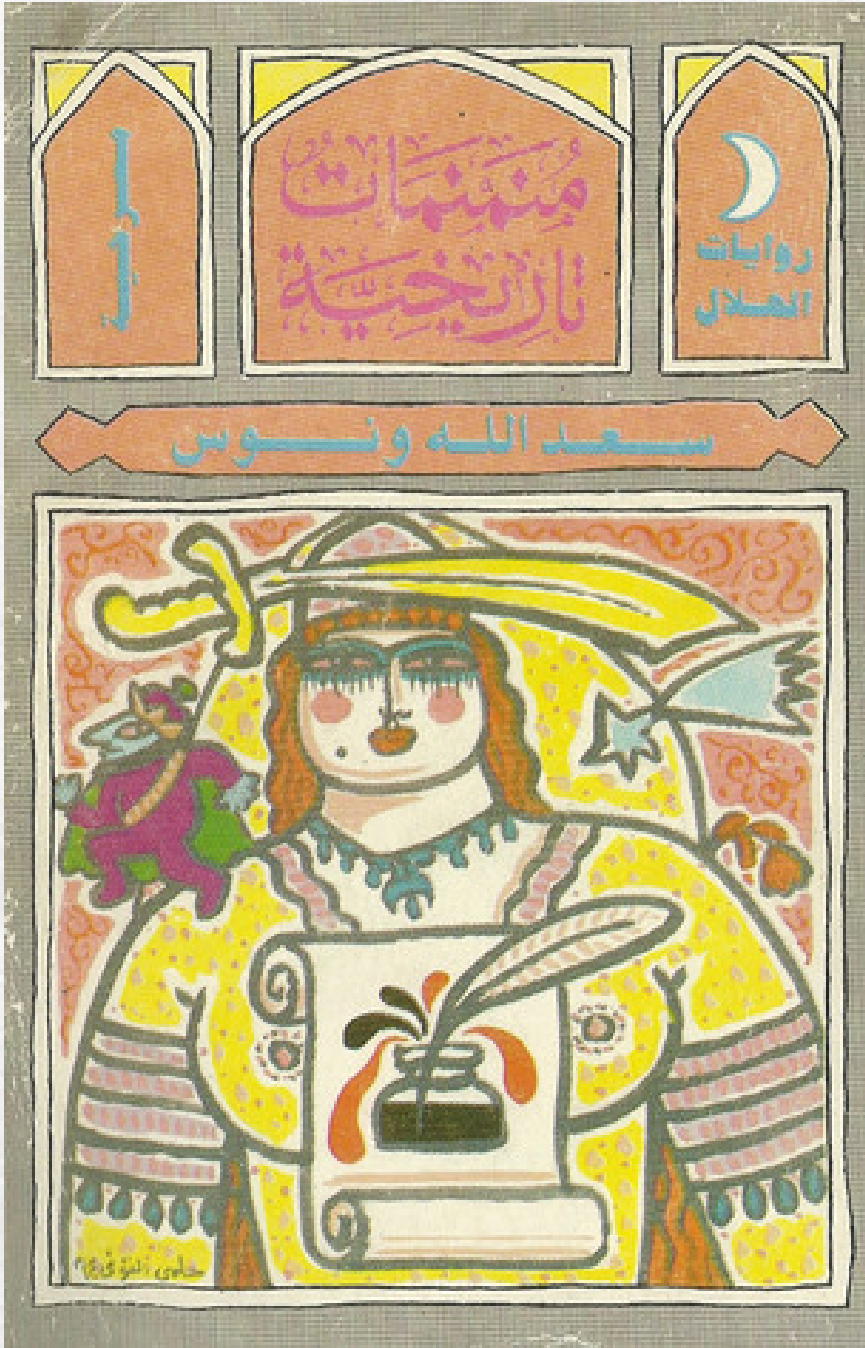
ينتهي العرض وينهال التصفيق ثم يكف ويغادر الممثلون الركح وينضون عنهم ثياب المهمة التاريخية والفنية، ثم يغادر المتفرجون الصالة سالكين الباب الذي دخلوا منه أول مرة وهم يتبادلون التعليقات ويمضغون العلك وما تبقى من الفشار...

ثم ماذا؟ يقول المؤلف..

# كيف يمكن أن يذكر التاريخ يا سيدي؟

سعد الله ونوس يمتطي بغلة ابن خلدون

■ هريم بوسفیان



بغلة العالم وعرض عليه شراءها منه على أنه كان بإمكانه أن يسلبها إياه كما سلب أرواحا ونهب أرزاقا دون أن يرف له جفن، فيجيب العالم بدبلوماسية مشروعة: "مثلي لا يبيع من مثلك إنما أنا أخدمك بها وبأمثالها لو كانت لي... هدية لك أرجو قبولها" بينما يصير الطاغية على شرائها لغرض في نفسه ببغلة العالم لا تغتصب...

لا يحق لأحد مساءلة العبقرى عما اقترفه ميدانيا من سلوك يناقض الفكرة المجردة بما أن التاريخ في صفة "لن يذكر التاريخ إلا العلم الذي أبدعته والكتاب الذي وضعته أما هذه الأحداث والمواقف العابرة فلن يذكرها أو يهتم بها إلا مؤسوس مثلك أو مثل كاتب الرواية". و"أيها قارئ" للرواية سينزوي في هامشيته ويستل السؤال من النص ليطرحه على شخص عارض جُزْبه في معرض الحديث دون الأحداث، شخص عارض لفظ المؤرخ "جثته" وحسب دون أن يتوقف التاريخ عنده "في صفر أوله الثلاثاء وفي ثانيه" عندما "وجد شاب أمرد قد قتل ورمي في التربة التي في الجدرّة فأخذ وغسل وكفن بوزرة ولم يعرف من هو ولا من قتله"... ويسأل المؤرخ القديم الله العفو. أنت أيها الشاب الأمرد وسط شخصيات "كثيفة اللحى" كيف يمكن أن يذكر التاريخ وما أنت إلا عارض من عوارض الطريق في مسيرة التاريخ العتيبة؟ أنت يا من لم تعرف من أنت واكتفى المؤرخ بلزق صفة "أمرد" بك وكأنها كنييتك ونسبك... ماذا لو نسبوك إلى مكان ما على الأقل عوض أن ينسبكوك إلى "نعت" وتعود أيها القارئ ك "أيها القارئ" للحديث العارض وتبحث في الكلمات عما يمكن أن تجعله نسباً لمجهول التاريخ فتجد "التربة التي في الجدرّة" وتسأل الأنسة ويكيبيديا فتجيبك غير جازمة أنه لا يجب الخلط بينها وبين "الندوب الضخامية" وتقول ما هذا المكان إلا ندبة لكن طفيفة جدا على صفحة النص فهل يجوز تعريف ندبة بندبة أخرى؟ ثم تعرج إلى المعجم وتجد معاني شتى تفرعت حسب توزيع الحركات على الحروف وترجّع "اسم مكان" على غيره من الشروح، فالإنسان لا يمكن أن يعرف إلا بانتمائه إلى شخص ما أو مكان ما... "أنا من المغرب" تغني أحيانا عن بقية التفاصيل في بطاقة الهوية... وإلا ما سبب هذا التناحر التاريخي عن المكان.

وتحاول أن تركز إلى هذا التعريف العام الذي يليق بمجهول ثم تتردد فجثة الشاب الأمرد هي التي تنتمي إلى تربة الجدرّة وشتان بين كائن حي وجثة! وبالتمثال يتضح المقال: لنفترض أن جثة شاب مجهول الهوية

أنت إلا "جثة في المكان"؟ ببغلة ابن خلدون عُرِفَتْ به وكان لها شرف المطية ثم زاد شأنها بعدما بيعت للطاغية... انتسب إذن قبل فوات الأوان للمكان حيا أو لمن يمتطيك أو يشترك... اختر ما دمت عرضا من عوارض القراءة.

وجدت بطنجة هل هذا سيجعله طنجا؟ لنأخذ بسطحية المثال فقط دون إخضاعه للتكنولوجيا الحديثة وتقنية ال.أ.د.ن. فالمكان لا يعترف بك أيها المجهول إلا وأنت حي أما وأنت جثة فيمكن أن يوارى جثمانك في أي حفرة من الحضر... كيف يمكن أن يذكر التاريخ يا سيدي وما



# الهدم الموجه لوظيفة التدريس

■ محمد الورداشي



حرية، وما دام الأستاذ مسيراً فيما يقوم به فإن التغيير يغدو ضرباً من التقليد. نحن نريد منه أن يكون مبدعاً، بيد أننا نُحدد له نقطة الاجتهاد ونُسيّجُه داخلها؛ إذ نريده أن يجتهد في ابتكار طرق جديدة لنقل معرفة جامدة إلى المتعلم، بمعنى أن حدود اجتهاده وابتكاره لا ينبغي أن تتجاوز ما سطره القامون على الشأن السياسي والتربوي، وذلك دونما اعتبار لمن سيتلقى هذه المعرفة؟ ووظيفتها؟ ومن

يستفيد منها: المتعلم أم ذوو الأدلوجة السائدة؟ على أن تحرير وظيفة المدرس من التسييس والتأديج، ومن ثم، فتح المجال واسعاً للإبداع والابتكار الشخصيين، وكذا الانفتاح على المجالات المعرفية والثقافية الأخرى، وإعطائه متسعاً من الحرية، وتوفير الأدوات الضرورية له، والاعتراف بمكانته في المجتمع، لهو السبيل إلى الرقي بالمنظومة التربوية في المغرب، بعيداً عن التنظير في الهواء، واستيراد تجارب دول أخرى واعتبارها وصفاً سحرية للقفز

من وضعية إلى أخرى.

ومن جهة ثانية، وتوضيحاً لدور الطرف الثاني في ممارسة فعل الإهانة، فإننا نتساءل عن مكانة المدرس لدى المتعلم؟ فالمكانة المهيبة التي كانت في السنوات الماضية لم تعد موجودة في عهدنا الراهن، وبكل أسف، نرى أنه منذ أن بدأ المتعلم يجرؤ على أن يطلب من المدرس النقط/معدلات دون مجهود، أي يغدو متعلماً وُصُولاً بحيث يسعى إلى تملك النقط بتوسل الإلحاف، والوشاية بين الأساتذة، والتزلف، والتملق، والغش... إلخ، منذ أن أصبح المتعلم على هذه الصورة قوض الجدار المتين الذي كان يفصله عن الأستاذ، ويجعل كلاً منهما في مكانته، بمعنى الاحترام والهيبة، هذان الأخيران

الذان كان يجعلاننا نتأهب الأستاذ، ونتغيّا تقليد شخصيته ومهاريته، ومن ثم، نأتي مُتعطشين لمعرفته من جهة، ولاقتفاء سيرته في الحياة الشخصية والمهنية من جهة أخرى.

أضف إلى ذلك، أن تنازل الأستاذ عن جملة من حقوقه التي ما فتئت الدولة تُجهز عليها بين الفينة والأخرى، وتخليه عن القراءة والبحث والإبداع والابتكار، ومواكبة المعارف المتطورة والمتجددة، وتوقفه داخل المقررات المدرسية يُكرّز ثقافتها ويجترأ عبر السنين، كل هذه النقاط التي أسلفنا ذكرها، جعلت من الأستاذ تلميذاً كبيراً: يشترك هو والتلميذ في تلويك المعلومات نفسها، ويتناقشان في الدائرة الضيقة المسيجة نفسها، ومن ثم، يتساويان في مرتبة واحدة مع اختلاف يمتظهر في كون أحدهما يجلس في مكتب، والثاني في طاولة، وقد يحدث أن يتبادلا المواقع إن لم ينهض المدرس بتحرير نفسه من سيرة الاجترار والتكرار والتقليد، وتلويك معارف لا تتجدد ولا تتغير، ومفارقة للواقع الاجتماعي لكليهما (الأستاذ والتلميذ) متعالية عما يزخر به من موجات وتطورات على أصعدة مختلفة، وفي ميادين مُتعددة.

ونافل القول إن لا سلاح للأستاذ سوى العودة إلى مكانته التي تبددت، والقائمة على القراءة والبحث والإبداع من جهة، وعلى التفكير والتنوير والتحرير من جهة ثانية.

ملحوظة: سيتم نشر هوامش المقالة في النسخة الإلكترونية [www.attari-.net](http://www.attari-.net)

لم يعد أحد من الباحثين والمهتمين ب/في الشأن التربوي يماري في كون صرح الحضارات الإنسانية التي أرادت لنفسها التقدم والرقي، والترفع على عرش قيادة العالم، يُشيّد على التعليم والبحث العلمي. فهذا الأخير يُعدّ اللبنة الأساس والترساة الصلبة اللتين تقوم عليهما المجتمعات المتقدمة، والتي بوساطتها يمتد التقدم ليشمل الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية لتلك المجتمعات. ومن ثم، فلا غرابة في كون الدول المتقدمة، في مختلف الجوانب والمجالات، تتنافس في تخصيص مبالغ مالية مرتفعة للبحث العلمي، وإنشاء المؤسسات ومراكز الأبحاث لخدمة هذا المجال الذي لا مهرب من عبوره بحسابه جسراً للتقدم. وهكذا، نقول إن العهد الراهن ليس عهد الخرافة والتقليد والاجترار والتكرار في المعارف والقيم، وإنما هو عهد العلم والعقلانية والإبداع والاختراع والتجديد في العقلية وأهواط التفكير، والمعارف والقيم. كما أن انكباب وانهماء الدول المتقدمة بالتعليم والبحث العلمي، فضلاً عن الميزات المخصصة إليه، تدفع بالباحث العربي إلى زاوية المقارنة، حتى وإن تأبى ذلك في قرارة نفسه، بين وضع تلكم الدول ووضع التعليم والبحث العلمي في وطنه. ومن هذا السياق، نتساءل: لم تتدهور مكانة التعليم والبحث العلمي في الدول المتخلفة؟ وما نظرة هذه الدول إلى المعلم والأستاذ، والباحث في مجالات المعرفة؟ هل مرّ الأمر إلى غياب الإرادة السياسية التي تتعمد تغييب البحث العلمي، أم أن المعلم والباحث كليهما يُسهمان في هذا الركود والتخلف؟

لا نتغيا، في مقالتنا هذه، تشخيص وضعية التعليم والبحث العلمي في الدول العربية؛

لأن هذا واقع يكشف عن وجهه دونما صعوبة نُذكر، ولكننا نسعى إلى الوقوف عند وضعية الأستاذ في المغرب، الذي يُنتظر منه التغيير والتنوير، وزرع بذرة الإبداع والابتكار في تربة (تلاميذ) معينة. هذه الوضعية التي بات يعرفها القريب والبعيد، والعامي والمثقف والمتخصص، تدفعنا، مجدداً، إلى التساؤل عن كيف تُقرّع الأستاذية من محتواها، وتُعدّم من أدوارها ووظائفها المنوط بها؟ ف"المدرس رقم" مُتوّج له أثر على أجيال متلاحقة من المتعلمين دون أن يكون له شكل أو معنى، ويُعزى ذلك إلى كونه قطب الرحى في العملية التعليمية، وبدونه لا يمكن أن نتحدث عن أي إصلاح جذري حقيقي لمنظومتنا التربوية. وبهذا، نرى

أن المدرس يعاني إهانة مزدوجة بحيث لها طرفان ينفذانها مع اختلاف في الوعي بها؛ فمن جهة، يُهان من قبل الدولة التي يُنتظر منها أن ترفع من مكانته؛ إذ أضحت تختزل "أدواره ووظائفه في سطور مبتورة بين وثائق الإصلاح"، إن لم نقل إنها مُغيبَة بشكل تامّ ومُلفت للنظر، ويجعلنا مشدوهين من هذا التزجيم والتصغير الممنهجين، والذين يحددان تناقض المسؤولين والقائمين على الشأن التربوي؛ لأنهم يُشكلون مفارقة غريبة، وصورة متناقضة للمدرس، ومن ثم، "نصفه بالمرئي وندوس كرامته، وبالقائد ونسلبه سلطته، وبالأب أو الأم ونحرض على عقوقه أو عقوقها، ونصفه بالمصلح ونسخر من كفاءته، وبالحكيم ونشكو خفة عقله"، هكذا وضع الأستاذ الدكتور، أحمد نظيف، أصبعه على مكّن المفارقة، ووصفها وصفاً كافياً شافياً، وكيف لا؟ وهو الذي مارس مهنة التدريس، ولا يزال، واحتك بالميدان من خلال تكوين الأساتذة، لذلك نُحس، في كلامه المُقتبس أعلاه، حُرقة وحسرة شديتين على هذه الوضعية التي لا يُحسد عليها ممارسو التعليم في المغرب. كما أن الأستاذ والدكتور، قدم مجموعة من الأدوار المستقبلية للمدرس التي من خلالها يمكننا أن نتشله من هذا الوضع الجامد إلى وضع حيوي يجعل منه مبدعاً وموجهاً ومرشداً، ومبتكراً ومجدداً في مجال اشتغاله.

ولكننا، ونحن نتحدث عن أدوار مستقبلية، لا بد من الإقرار أن تنزيلها يحتاج إلى



# كيف يفكر الهامش خارج المركز؟

## من أجل حوار ثقافي جماهيري

■ الغزيوي بوعلي



لما كان موضوعنا هو التفكير المنهجي حول معرفة المهتمش من خلال الوصف الإيديولوجي، فإن الأهمية القصوى التي سنسلكها في هذا البحث هي كيفية تفكير المهتمش خارج المركز، لأن المعرفة التي يطرحها المهتمش كموضوع له، تتمحور حول أبحاث الذات وعلاقتها بالرغبة واللذة، لأن الجانب الأكبر لم يعالج من طرف المفكرين كالحياة والموت والأمل والألم والأنيب والشكوى والعرف وغيره. فهذا يشكل مدخلا من أجل رصد الفوارق لما يدعوا إليه الموضوع، وبين تاريخ المركز الذي كان سائدا منذ عهود قديمة بدءا باليونان والرومان والوندال والمجاليك الأمازيغية إلى يومنا، لأنه كان يشكل سلطة معرفة، حيث يجد طابعه في العنصر الثقافي والسلطوي أكثر ما يجدها في الأنظمة السائدة كالقبيلة والعشيرة والأمة والدولة. لذا حاولت أن أعيد ما ذكره بول باسكون، وجاك بيرك ودنيسل ريفي وغيرهم من المفكرين الذين حاولوا البحث في هذا المهتمش، سواء كان فقيها أو عالما أو صوفيا أو طوقيا أو مهدويا. لذا أسمى المنهج المتبع في الدراسات الأركيولوجية هو السبيل الأوحى في إحداث قطائع بين فجوة وفجوة، وعبرهما يأخذ العقل الهامشي بعدا تاريخيا، لأنه يعرفنا بهذا الهامش الذي يسقط من كل تعريف، أو من كل امتياز يذكر وهذا الإقصاء يمكن أن يرى على المستوى المعيشي اليومي والعمراني والاجتماعي، لأن خطابه هو خطاب يرفض كل سلطة خارجة عن هويته، لأنه يحمل وعيا شقيا يجعله ينظر إلى الأشياء دون تأويلها. تبقى العلاقة بين الهامش والمركز هي علاقة لا مطابقة، سواء على المستوى

الفكري أو السياسي أو الاقتصادي، فيبقى المهتمش كمشروع يبني المعارف دون بناء نظرية في المعرفة، بل همه هو إرضاءات الجماعة على حساب جميع المقولات والمفاهيم والمنظومات، وهذا العمل لن يتأق له إلا في مجال التاريخ المنسي، ولكنه سيصطدم بصنم العرف والعادة والطقوس، الشيء الذي سيحوطه إلى أدوات ومفاهيم يمكن أن نعتد عليها كبعد تاريخي كلاسيكي. لذا يبقى الاهتمام بهذا المهتمش هو الانكباب لرصد عواقب الانقطاعات وراء الاتصالات لقطع الطريق أمام التراكم اللامحدود للمعارف التي يستغلها المركز، كي يصبح هو صانع التاريخ.

إن تحول المفاهيم وانتقالها من الهامش إلى المركز هو انتقال قطيبي، لأنه يشكل نفرا وتاريخا يختلف عن تاريخ المركز سواء على المستوى الفكري التكويني أو النظري كما يقول ميشيل فوكو في كتابه (حفرات المعرفة، ص: 86).

إن المهمة الجديدة للخطاب المهتمش هو تعيين مفاهيم تفكر في الانفصال عن المركز، كالتحول مثلا أو القطيعة أو الفصل، فكان من وراء ذلك هو التحول الفكري الذي أحدث تصدعا في بنية السلسلة المفاهيمية التي يرسمها الفكر المهتمش دون تطور ولا تحول. فكان من اللازم أن نعرف أن التحول لا يتم كليا. بل عن طريق

استقراء بعض النماذج العربية التي لازالت تعيش مفهوم القبيلة والعشيرة. ولم تستطع أن تتخلص من هذا الناموس من أجل بناء مفهوم الديمقراطية والإنسانية، ومفاهيم أخرى، باعتبار هذا التحول في جسم الهامش لا يستغل إلا من طرف السياسي أو النقابي أو الحزبي، معتقدا أن الهامش في تربة الكلاسيكي يرفض التفكير في الانفصال، معتقدا أيضا أنه يظهر في أشكال آدمية مبعثرة ومبادرات فردية، ومهما يكن من أمر فلا يتم إقصاء الهامش أو الانفصال عنه كعلامة للتشتت الزمكاني، لأنه أصبح عنصرا مهما في تحليل التاريخ وفي بناء الحقيقة، فهو الذي يكشف عن حدود حركة وتطور المجتمعات، والخروج من التخلف كتفعل منظم وكتعبئة منظمة وليس كلفظة خلل

دائري مغلق، فاللامركزية تعني القدرة على تمثيل الواقع وتصويره في علاقات متنوعة تنوعا عن شروط الواقع المعيشي. فهو عبارة عن تعبير شخصي ونفسي واجتماعي، حيث تستعيد الذاكرة المهتمشة هذا الواقع المتخيل، لأن الأفكار المسبقة عنده دوما لا تنتج المعارف، فيبقى مكبلا بالعرف والطقوس، هذا الترابط لا يؤسس الحكمة الموضوعية كما يقول دوركايم في كتابه قواعد المنهج الاجتماعي ص: 32، بحيث تتحدد المعرفة المركزية بالمجال المبحوث عنه داخل الملكة الموضوعية، فهو مسموح له أن يحلم ويبدع وينتج. أما المهتمش فلا يحلم إلا أحلام المجرمين، وهذه الصفة تجعلنا نستشف أن الفكر لا يكون إلا داخل المركز المرتبط بالمؤسسات، أما الهامش فدوره الانصياع والرضوخ



والاستهلاك والقناعة، فهذه الحقيقة تبقى اعتبارية نظرا لارتباطها بعلامات الهوية المتعمدة، التي يحملها المهتمش نظرا لوضعها المؤسلب. فكل محاولة قرائية لهذا المهتمش هي عبارة عن تفجير لأشياء عبر ابواليات عرقية لا تخرق هذه الذات التي هي معطى تاريخي، فالمركز يأمل دوما أن يوظف الهامش في برامجه مجالات سياسية أو تنموية أو ثقافية، وحسب ما يتلائم مع شروطه الحزبية أو الجموعية أو الأيديولوجية أو الدينية. لذا فهاثمنا بهذا الهامش والمركز هو سؤال مفتوح قابل أن يستوعب جميع الأسئلة المطروحة على الساحة العربية والإفريقية، فرفض المهتمش هو رفض الإنسان الكائن الحي العاقل العارف، المتأمل. فلا ينبغي أن نوظفه كسلعة أو كمنتوج يباع ويشترى حسب

اقتصاد السوق، لأنه إذا سايرنا هذا الطرح المعوم، فإننا سنجد أن هذا الكائن الحي لا يملك إلا جسده، فهو معرض للاستغلال ويتحول إلى شيء مؤسلب وآلة قابلة للعمل والإقصاء. أما إذا سايرنا التحولات التاريخية فإننا نجد أن المهتمش هو صانع التاريخ كما يقول كارل ماركس في كتابه الإيديولوجية الألمانية ولنين أيضا في كتابه خطوتان إلى وراء وخطوة إلى الأمام. وأيضا كتاب ما العمل وكتاب المادية والماركسية وأيضا نجد ذلك في أصول الفكر الماركسي لآينجلز وغيرهم من المفكرين. ونجد ماو تسي تونغ الذي قاد الصين إلى بناء مزدهر رغم تأسيس حزب واحد، ولكن الأولوية الزمنية ليس لها تقييم في بناء الموضوع، وتبعه سنة التغيير، يغدو الإنسان هو مقياس كل شيء وأنه هو الإرادة والغريزة. وهو العقل الكلي، إذن لماذا لا يقرأ ولا يكتب المهتمش؟ هل المشكلة في ذاتيته؟ أم أن المشكل يبقى مشكلا ماديا؟ ولماذا العزوف عن القراءة؟ هل أن التكنولوجيا كبلت الفكر لذا المهتمش؟ لماذا الطبقة البرجوازية هي التي تقرأ؟ إذا كانت السلطة أو المخزن عبارة عن مؤسسات مرتبطة بقوانين، فإن المجتمع المدني قادر على إدراك هذا العزوف رغم وجود محاربة الهدر المدرسي أو التربية غير النظامية،

فإنه لا يكفي لإخراج الإنسان من جهله المقدس وإدخاله في دائرة النور المرتبط بالمعرفة والعلم والثقافة. ينبغي أن نخلق ثورة ثقافية في البوادي والمدادر والأحياء بفتح حوار ومناقشة أخلاقية تنم عن قوة اجتذابية أكثر مما تنم عن قوة مرغباتية نفعية، لذا نطالب أن لا يكون هذا المهتمش عبارة عن عتبة يسطع فوقها السياسي والنقابي والمنقشف السلطوي، نريد إنسانا عضويا لا يبالي بذاتيته ولا بمنفعته الشخصية، يكون همه هو بناء الشخصية المهتمشة لتكون قادرة على مواكبة تطور المجتمع والتحول البنوي الثقافي والإنساني، هكذا يبقى هذا الموضوع كخطاب مفتوح وكأرضية قابلة للنقاش دون تصلب ولا انغلاق بل نطالب بحوار ثقافي جماهيري.





■ حمزة السلاهي

# أضغاث أوهام

تطمح أن تصل إليها، ها أنت الآن وصلت إليها، بعد أن كنت تتابع منشوراتها وتلاحظ شغفها بالقراءة، أما الآن فما قد أصبحت قارئة هادئة في حضنك. أصبحتما تشاركان نفس الحروف، ونفس القهوة، رائحتها ملأت الفضاء حيث تلاشت رائحة القهوة، جميل هو الحب، لكن الأجل أن تجتمعا في كوب قهوة واحد.

إنما الحب وُجدَ ليعاش لا لكي يحكى. إن أجمل ما في القهوة، تعطي لهما غفوة ولمزاجنا صحوة، هكذا دب الحب في قلبك، كنت كلما شعرت بتدفق الحب في قلبك، قبلت بشفتيك عنق الفنجان، والعين تبصر ألطاف هذا النور الذي يجلس بجانبك. سعدت كثيرا حينما أنهت قراءة المقال والتفتت إليك بعينين سوداوتين كبيرتين، كانت أنثى يصعب فهمها من خلال شذرات مقتضبة تنشرها هي على صفحتها، فتاة ذات أنوثة طاغية. نظرتُ إليك وهمستُ في أذنك: صحة وهناء قلبي.. رن جرس المنبه يعلن عن بداية يوم جديد، فاستيقظت من نومك فوجدت الهاتف ملقى على الأرض وقد انفصلت البطارية عن الهاتف.



بينما أنت تقرأ جريدتك الصباحية كالعادة، ناوَلتُك فنجان قهوة، تبسمت في وجهها وكنت حاشرا أنفك في الجريدة، ربما شيء بها قد جذبك.. جلست بجانبك أيضا، وشاركتك قراءة الجريدة، كان عطرها الجميل يحرك شيئا ما بداخلك، مما جعلك تنقطع عن تتبع حروف المقال الذي أمامك، وبدأت تتبع حروفها وهي تقرأ، شعرها الأسود يغطي أذنها ونصف عينها التي من جانبك، وخدودها الممتلئتين تتحرك بتحريك شفثيها، فكلما ململت شفثاها لتقرأ كلمة أو عبارة، كان شعرها يتراقص ويلطم كتفتك، وشفثاها الحمراء تترسم في داخلك حروفا تقرأها هي، وتخدش ما تبقى من مشاعرك المبعثرة، تركتها تقرأ في صمت، بينما أنت تتلذذ بسواد شعرها وتداعب خصلات شعرها بأناملك، تعيد الحركة نفسها، كنت بين الفينة والأخرى تستنشق من عطرها، وفنجانك الذي يفوح عطره يقاسي البرودة، ورائحة القهوة تتلاشى مع انتحار الدقائق، لا شيء يقاوم أمام ما أصبحت تتنعم به، تبسمت وعيونك تتبع حركاتها، همست لنفسيك: كم كنت يا قلب

# تذكرة نحو المجهول

خزان الأمتعة ريثما نتجاوز حاجز الليل هذا، رفعت الحافلة باب الأمتعة، كان مفروشا مجهزا، لقد كانت خطة الاحتواء محكمة وذكية، أغوانا منظر الفراش حد الغواية، فتسللنا إلى الخزان الواحد تلو الآخر كفتران حمقى يلقون أنفسهم في عرين المصيدة، أقفل السائق باب الأمتعة وأطلق عجلات الحافلة للريح. مرت حوالي نصف ساعة في بطن الخزان، اختلطت فيها الأنفاس، الشبهات بالزفرات، وبدأ التنفس يصعب شيئا فشيئا بحثت عن ثقب أستنشق منه بصيصا من الهواء، لا وجود لأثره، باب الأمتعة مقفل تماما، تجاوزنا حاجز الأمن دون توقف، علمت ذلك بعد أن طال أمدنا هناك، ارتفع سعال حاد منبعث من أفواهنا ينذر بوقوع كارثة إنسانية مكتملة الأوصاف، بدأ رفاق الموت يطرقون باب الحافلة بقوة لكن دون جدوى، صوت المحرك يعلو ولا يعلو عليه، أحسنا بتريق الأسي يتسرب إلى أحشائنا، استعرضت شريط حياتي بعينين مغرغتين مستسلمة لواقع الأمر، النواح يتعالى وكمية الأكسجين تقل رويدا رويدا، والموت يقترب، ينشب مغالبه، لم أتوقع أن تكون النهاية هكذا.

لحظة تحدث أحد الرفاق الثمانية مطرقا: لدي رقم هاتف مساعد السائق قديم لكنني لست أدري أهو الحاضر مع السائق الليلة؟ لا أعرفه، فقط حصلت على هاتفه من أحد الأصدقاء لأستفسره عن موعد الحافلة، كان هذا منذ خمسة أشهر خلت.

نقش رقم الهاتف على الشاشة ومرر أصبعه على زر الاتصال، الهاتف يرن خلف عشرات الدعوات أن يكون مساعد السائق ذلك المساء هو صاحب الرقم، أجاب عن المكالمات، لقد كان هو، وقد نسي أمرنا في دهاليز خزان الأمتعة، ضغط السائق على الفرمال لتتوقف الحافلة، أحسنا أنذاك أننا في حضرة درس من دروس الحياة حُطت حدوده بقلم القدر، خرجنا كأسرى حرب

عانقوا الحرية لتوهم، فعلمت حينها أن نجاتي هي ابتسامة الحياة تلك التي لم أحظ بها قط.

أمضيت ليلة ليلاء بعيدة ما بين الطرفين أنخط على السرير، وفي اللحظة التي مدت فيها رجلي أصبت طاولة خشبية مهترئة يستوي عليها كأس من زجاج، تهاوى الكأس من فوق الطاولة وسقط على الأرض، هزني الهلع من السرير، فأشعلت المصباح الدائري لألح الساعة الحائطية تشير إلى الرابعة صباحا، وحقيقتي البنيسة معلقة في مكانها تنظر إلى وتقول في قرارها: لقد استيقظ هذا الوغد، تراه سفر جديد؟ فهمت مغزي ملامحها المشمزة فأجبتها: لا تسألني عن السفر فلاني لم أعد أطبق سماع تلك الكلمة، وإن مرّ على الذكرى ربح من الزمن إلا أنها لازالت تميزق ما بقي من صفحات كتابي غير أبهة بما أكتبه.

بدا من ذلك لأن أمر السفر لا يقبل التأجيل، سلمته المبلغ وأتبعته بتمتعات تحمل دعوات بالخراب لكل من ينهش لحم أولئك البسطاء الذين تعج بهم المحطة، استفسرتني عنها؛ فقلت لا شيء لا شيء فقط هكذا.

أشحت عنه وجهي المحمر الوجنتين الهائج غضبا متوجها إلى كرسي إسمنتي، أسندت رأسي على الجدار لأستمع لسمفونية الزمهير على مهل أنتظر الحافلة، كل شيء متأخر هنا.

وأنا على تلك الحال غرقت في وحل من مشاهد الهامش هزت قلاعي ونسفت حزام الأمل داخلي، شاب في مقتبل العمر يظل يجوب أرجاء المحطة بعلبة سجاجير بحثا عن دربهات بئيسة يحاول أن يقنع بها ذلك البركان المتغلغل بداخله والذي بالكاد ينفجر، وامرأة مملأ عويلها ثنابا المحطة تشكو غلاء التذاكر لكن لمن تستشتكي حبة القمح إذا كان الجلال دجاجة؟ في برهة نشب فيها شجار بين أحدهم وحارس باب المحطة يمنعه من الولوج إلى ساحة الحافلات دون تذكرة، بيد أن ذلك الشخص جاء ليأخذ أمانة أرسلت إليه من قريب له، مزرعة حيوان تلوح في الأفق.

أخيرا ولجت الحافلة، جمعت أغراضي والتحقت بمقعدتي البلاستيكي المجهز سلفا، كانت الوجهة مدينة



تطوان، كنت جمعية سبعة أشخاص أضافهم السائق فوق طاقة استيعاب الحافلة؛ أقفلت الحافلة وماهي إلا بضعة دقائق حتى بدأت تلتهم الطريق التهاما، وبدأ ضباب الأفواه يتصاعد في فضائها، أتأمل المشهد في صمت بين من يتصفح هاتفه ليخفف وطأة السفر الطويلة، وبين من يغط في نوم عميق غير أنه بما يحدث جواره، وبين من يحاول إقناع إحدى الجميلات ليقتلعه رقم هاتفها.

مع الاقتراب من منعرج يتوارى خلفه حاجز أمن، أخذت الفرمال تكبح جماح الحافلة، صعد مساعد السائق يعلن حالة طوارئ، كل جالس على مقعد بلاستيكي فليهم بالنزول، نزلنا نحن الثمانية، لربما سننقل إلى حافلة أخرى فارغة نسبيا، هذا ما خطر ببالي، نزل مساعد السائق وهو يردد : ستختبئون في



■ محمد أزارار

بينما كان المساء يحتسي قهوته على شرفة الغروب وينفث دخان سيجارته في ديق السفوح، وبينما كانت أجنحة الظلام تستعد للحط على الضاحية وترخي سدولها، هممت بجسدي التحيل المنهك لأنفص عنه غبار الزنابة والنكوص، فادنتني قدماي إلى محطة الحافلات، وبخطي متناقلة أجر بها تلايبب الكسل والخمول، مشيت الهويبة إلى هناك وحقيبة بائسة تلازم ظهري ضاقت ذرعا من الترحال والجري وراء السراب، وراء خيط من دخان يداعبه نسيم المساء كما تداعب الرياح شعر الشقراوات الروسيات في موسم الجراد، كنت حينها فارغا من المعنى والكيونة فراغ جوف القصب، فقط هو اللاشيء يستوطن كياني، وبعيني البنيتين الصغيرتين أرمق رؤوسا قد أعيها الانتظار، وأضناها طول السفر، تحمل حقائب تجوب بها أرجاء المحطة بوجوه متجهمة من قلة النوم والأرق، تشبه قطعة من جمر في دهاليز قشة من الخش تنتظر هبة ريح لتندلع.

قصدت حنفية المحطة لأروي عطشي و أرش وجهي بقطرات من ماء تزيل عني خيوط عنكبوت طوقت عيني جراء نوم ثقيل تهت فيه في زوبعة من الكوابيس لا الأحلام، تلك الأحلام التي طالما روادتني عن نفسي غير ما مرة هاجرت كسرب حمام فلم تعد تزور شرفة شبّائي، وما بقي منها كنسسته تحت بساط الوسادة ليموت هناك بسلام بعد أن أصيبت بترقق العظام بغياب كالسيوم الأمل، آملا أن استرجع بعضا من كياني.

قصدت شبك التذاكر لأقتني تأشيرة السفر نحو المجهول، وجدت رجلا في الخمسين من عمره يحتسي علبة سجاجير مستويا على كرسي أسود، سيجارة بعد سيجارة، أخاطبه في نفسي قائلا: أنفث دخانك فلن تسعفنا سوى السيجارة حينما تخوننا العبارة، استل مني ضعف الثمن، سدده دون مفاوضات، لم يكن لي



# فيلم "نظرة الصمت"

## بين الحقوقي والوثائقي

■ حسن وهبي - ناقد سينمائي



تم اختبار هذا الفيلم كتجربة سينمائية لها وقعها في الخطاب السينمائي الوثائقي، والذي يشغل على الزمن والحدث بلغة سينمائية جريئة قادرة على اختراق الحواجز لبناء تواصل حقيقي مع الجمهور العالمي.

وتعتبر هذه القراءة الأولية رسالة إلى مخرجينا الذين اشتغلوا على الفيلم الوثائقي والتي غالبا ما تتميز بالحصول على المنحة من المال العمومي لإنتاج أفلام بعيدة عن الكتابة السينمائية الوثائقية الإبداعية، من حيث الاشتغال والاهتمام بالقضايا الوطنية، كما بتلك النظرة العميقة والرؤية الإخراجية الثاقبة. ولنا موعد لتناول هذه الأفلام الوثائقية والروائية المغربية على حد سواء بروح نقدية.

أما الشعار المطروح فهو من أجل سينما الكم والكيف على الخصوص، بعيدا عن سينما الابتذال التي تستهلك الأموال دون أن تحاور الفكر الإنساني من خلال وصفة سينمائية تتميز بالفرجة والإبداع والخيال.



### الشخصية الرئيسة المحركة للسرد السينمائي الوثائقي وخرق الحقوق

اختار المخرج شخصية رئيسية يتمحور حولها الفيلم باعتبارها باحثة عن الحقيقة، فحمل الكاميرا على كتفه راصدا خطوات أدي الذي قتل أخوه في مجزرة المليون أندونيسي. لكن أوبنهايمر سيعطي لشخصيته الرئيسية صفة طبيب العيون يقوم بكشف النظر عبر آلة القياس ويستغلها فرصة لبناء علاقة حوارية مع الشخصيات كخطوة إبداعية يصل من خلالها أدي كشخصية رئيسية إلى الحقيقة وبالتالي إلى كشف كيف تم هضم حقوق الإنسان. والطريقة التي تم بها ذلك. وبصيغة أخرى كيف تم قتل المليون فلاح واهية ألا وهي الشيوعية؟

بناء على أحد الحقوق الأساسية للإنسان وهو الحق في الحياة أولا والحق في التعبير عن الأفكار والحق في الانتماء لأي هيئة نقابية وحق العمال في الدفاع على مصالحهم وحقوقهم الأساسية. بناء على ذلك اختار المخرج شخصية ادي لإبراز الوضع المأساوي الذي تعيشه الطبقة العاملة في القطاع الفلاحي.

لم يكن الاختيار اعتباطيا من طرف المخرج، بل اختار من هو أكثر معاناة، حيث يحكي عن قتل أخيه بطريقة وحشية. مما حفزه للقيام بمهمة التواصل مع الناس سواء كانوا ضحايا أو جناة مرتكبي جرائم القتل. وقد كان المخرج ذكيا في الانتقال بين المشاهد متابعيا في نفس الوقت تحركات الطبيب وهو يركب لضعاف البصر آلة تدقيق الرؤية وتحديد حاجيات كل مواطن في النظر.

والطبيب نفسه يتألم مع كل رواية تروى أمامه مباشرة أو عن طريق التلفزة. مما جعله ينجح إلى الصمت غالبا ويبدو ذلك جليا في اللقطات الثابتة التي يوقعها المخرج وهو يصور إحساس الطبيب وآلامه، وهو الأمر الذي تكشفه الكاميرا حيث نراه جاحظ العينين يتتلع ريقه إثر ما يسمع من فضائح يمثلها الجناة قاتلو الفلاحين العمال.

لكن الطبيب أدي وهو يعود إلى البيت ترصده الكاميرا يلعب بشكل أو بآخر مع

ليس هناك فيلم خال من إحدى قضايا حقوق الإنسان، مهما كان قصيرا أو طويلا، روائيا أو وثائقيا. فهو إما أن يعرضها بشكل بارز أو بين ثنائيات لقطات ومشاهد الفيلم. وتكون بالتالي محور اشتغال الفيلم في تيمته. ويمكن تأكيد هذا الأمر منذ نشأة السينما سنة 1895 إلى اليوم.

في الفيلم الوثائقي يتأكد موضوع حقوق الإنسان بشكل جلي. لأن الأهم في صناعة هذا الوثائقي هو تحديد المشكلة أو القضية التي يريد معالجتها، بل هناك أسئلة معينة لا يمكن الفرار منها، وهي أسئلة حقوقية غالبا ما ترتبط بشخصيات سيسافر معها المخرج في رحلة موجها طاقمه التقني والفني للغوص في قضية من قضايا حقوق الإنسان.

وإذا كانت السينما تعتمد الصورة كأساس للتواصل مع الإنسان، فإنها بالتأكيد ستشتغل على واحدة من قضايا هذا الإنسان الذي سيتابع أحداث الفيلم. وهي الأحداث التي تكون فيها عقدة الفيلم أساس الحكي البصري، أي واحدة من حقوق الإنسان المهضومة ستتابعها الكاميرا إلى أن تنجلي الحقوق كاملة، وقد تخللها خروقات وهضم لحقوق أخرى. من هنا يمكن التأكيد على أن الفيلم الوثائقي مرتبط بشكل كبير بقضايا حقوق الإنسان. وفي هذا الصدد سنعرض تجربة لمخرج أمريكي وهو يشتغل على واحدة من أصعب قضايا حقوق الإنسان: الحق في الحياة، وأصعب طرح وتصوير سينمائي وثائقي. إنها مذبحة مليون فلاح في إندونيسيا سنة 1965. والصعوبة تبرز من خلال الجمع بين الضحية والجناة، بل بالقدرة على دفع الجناة إلى المشاركة في الفيلم إلى جانب الضحية، والكاميرا نفسها ترتعد خوفا أثناء التصوير من هذا الجاني وهو يلعب الدور أمامها.

إنه فيلم "نظرة الصمت" للمخرج جوشوا أوبنهايمر Joshua Oppenheimer، بين النظرة والصمت تبدأ رحلة البحث والاكتشاف، اكتشاف ما وقع للفلاحين وهم يعانون من موت معلن، موت بطيء في حالة الصمت، أو موت بأشع صوره في حالة الكلام والمطالبة بواحدة من الحقوق.



# فيلم "نظرة الصمت"

## بين الحقوقي والوثائقي

■ حسن وهبي - ناقد سينمائي

فصول الجرائم التاريخية والتي تمس أهم حق من حقوق الإنسان ألا وهو الحق في الحياة. استطاع الفيلم حفظ ذاكرة معينة وتاريخ كتب بالدم وأجساد البشر حتى لا ينسى محاصرا بذلك كل من الزمن والمكان والسفر فيه من خلال كاميرا محمولة على الكتف متابعة عدد من الشخصيات تصويرا للمعاناة والفقدان والضيق كما فعل إرنستين في فيلم المدرعة يوثق حينما نقل الأحداث الدامية بعد مدة من وقوعها. هكذا تتحول السينما إلى بحث عن الذات وفي الذات مهما كان العالم وظروفه.

### تيمة الصمت في الفيلم خارج الكادر السينمائي

رغم تركيز فيلم "نظرة الصمت" على الصوت والصورة، فإن فكرته الأساسية هي الاشتغال على تيمة الصمت، وقد نجح أوبنهايمر في تصوير الصمت. وقد هذه التيمة للتعبير عن معاناة الإنسان الذي وصف بالشيوعية لتبرير التعذيب والقتل. وتجل الصمت كاختيار من طرف المخرج بتلك النظرة الهادئة والمركزة في اتجاه المجرم الذي يحكي عن جرائمه بكل جرأة ووقاحة أحيانا بل وبكل تهديد عندما تتعمق أسئلة الطبيب. والصمت يجعل كذلك من خلال عدم الدفع بالقضية/المجزرة إلى الهيئات الحقوقية العالمية والمنتظم الدولي.

والسبب بسيط كون الجناة يهددون أي شخص يريد تعيق البحث ولو عن طريق الأسئلة. ولعل أم الطبيب بدورها تحاول مع ابنها ألا يبحث عن الحقيقة، وهنا يتحول الكلام إلى صمت أو من أجل الصمت على الجرائم. ما ساعد على تعايش المجرم والضحايا وأهلهم. ولا يمكن لهذا التعايش إلا أن يكون مبنيا على الصمت. إلى درجة أن أم الضحية البالغة من العمر مائة سنة تقول لا حاجة إلى الحديث عن الموضوع.

وهو تعبير آخر عن الصمت. بينما أب الطبيب فقد عانق الصمت بفقدان الذاكرة بعد معاناة شديدة منذ وفاة ابنه الأكبر على يد المجرمين. يبرز الصمت عندما يختار المخرج تلك اللقطات الليلية التي تمر فيها الشاحنات محملة بالمعتقلين أو الأموات قادمة في اتجاه الكاميرا ورغم مراح بعض المعتقلين بصوت مرتفع قائلا: "إنهم يريدون قتلنا" فليس هناك من يسمع الصرخات لبلأ وفي الخلاء قرب النهر الذي استقبل عددا كبيرا من الضحايا. ولعل قمة الصمت أن الضحايا ولخوفهم قالوا إن ملفات المجزرة قد تم إغلاقها نهائيا فلا داعي لفتحها مجددا خوفا من مصير جديد قد يتكرر حسب قولهم. هكذا تحول الصمت إلى هدوء مقابر الضحايا كقبر أخ الطبيب.

كل هذا قد وقع وسط مناظر طبيعية خلابة ونهر يجري باستمرار، فمادام لو حكى النهر لنا عن قصص القمع والقتل التي كشف عنها المخرج وهو يبحث في عمق الجريمة. فاختار الكاميرا الثابتة لمتابعة مشاهد الفيلم المتتالية بشكل سلس يربط بين الأسر ضحايا المجزرة والجناة وبينهم لقطات بالمنزل أو تصوير شاحنات الجرائم في ظلمة الليل، ليل الجريمة وشرب دم الضحايا.

ابنته الطفلة التي لم تستوعب ما وقع لعمها من ضغط إلى حد القتل المبرح. كما يواكب الطبيب ابنه مصحبا في نفس الوقت وفي فضاء خارجي لما تنشره المدرسة من معلومات خاطئة عن تاريخ اندونيسيا وجريمة قتل المليون شخص. وفي نفس السياق يواكب الحياة اليومية لوالديه مستمعا إلى حكايات أمه ونصائحها. حكاية قتل أخيه وبالتالي محاولة تهدئة الأم لابنها حتى لا يتعرض للضغط الذي قد يصل إلى القتل كما وقع لأخيه. ودخل الفضاء المغلق/البيت ترصد الكاميرا الطبيب وهو يسأل أباه عن تاريخ الأسرة وما حصل من اعتداء على حقوق الإنسان بالبيت. إلا أن الأب قد دمر النسيان رصيده التاريخي. كونه أصبح كجثة هامة طواها المرض والنسيان بفعل تلك الجريمة التي كانت سببا في كل ذلك من فقدان البصر والبصيرة إلى فقدان الذاكرة.

### بين الفيلم الوثائقي وحقوق الإنسان

كما ورد في تقارير الأمم المتحدة فحقوق الإنسان هي حقوق متأصلة في البشر مهما كانت جنسيتهم أو مكان إقامتهم أو نوع جنسهم أو أصلهم الوطني أو العرقي أو اللون والدين أو اللغة أو أي وضع آخر. وتضيف القوانين أن لنا جميعا الحق في الحصول على حقوقنا الإنسانية على قدم المساواة وبدون تمييز. وأن جميع هذه الحقوق مترابطة ومتآزرة وغير قابلة للتجزئة. وهي قوانين على الدول الالتزام بها.

وفي السياق نفسه جاء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة 1948 تلاه العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسنة 1976 إلى جانب اتفاقية منع ومعاينة جريمة الإبادة الجماعية الصادرة سنة 1948 وحقوق العمال المحددة والمحمية من قبل منظمة العمل الدولية.

كل هذه الحقوق وغيرها تمت مصادرتها حسب ما جاء به الفيلم الوثائقي. بدءا من عمليات الحرمان من

التعبير والحماية القانونية من المرض كعمال والتعرض للتعذيب الشنيع وهو ما تم تصويره من طرف الجناة أمام كاميرا المخرج. يا لها من جرأة اختلف حولها النقاد، هل افخار بالدور الذي قامت العناصر الموجودة في السلطة أم هو اعتراف بالجريمة التي ارتكبوها أم هو تربة الذمة لما قاموا به.

يبقى الأساسي في الفيلم أنه عرض رسالة للعالم بعد أن قدمها للبلاد التي شهدت الجريمة. مما دفع بالدولة مؤخرا بإندونيسيا إلى الاعتراف بكونها جرائم. والفضل في ذلك إلى الحقوقيين في البلاد والعالم وإلى هذا الفيلم "نظرة الصمت" وهو الجزء الثاني لفيلم وثائقي سابق لنفس المخرج تحت عنوان "قوس الموت" في سنة 2012. بذلك تكون القوة في رصد الواقع عبر الفيلم الوثائقي، والواقع جريمة والفن رصد للحدث وكتابته بلغة سينمائية جميلة تنبثق من الطبيعة ومعاناة الإنسان.

إنها المقاربة الحقوقية التي اختارها جوشا في فيلمه هذا، ويتأكد بذلك أن الوثائقي عشق بصور الواقع بإبداع ليحقق حلم هذا النوع من الأفلام حلم الكتابة التاريخية حيث يحضر الصوت إلى جانب الصورة بل يلعب دورا كبيرا في كشف العديد من الحقائق. هكذا سيحقق الفيلم تقاسما كبيرا مع العالم كفصل من





## فقط، كدمات زرقاء [ في يوم الحب ]

كم قلنا:  
سيأتي يوم ما وننسى كورونا..  
ثم أتى ذلك اليوم.  
ولكن،  
كم أقحوانة تلقينا وأهدينا،  
دون أن ننسى..  
كم مقبرة جائعة..  
كم فم جف..  
وكم قبلة،  
من فرط يتمها،  
بكى عليها باعة المتلاشيات،  
والمتسولون،  
والمارة،  
والمطلات من السطوح و النوافذ،  
والمنتشرون في المقاهي،  
والمنتشون في الحانات..  
ومصلحو البارابولات،  
والهواتف النقالة..  
أي يوم هذا ؟

لا قبلة،  
لا خواتم مزخرفة،  
لا خلخال،  
لا رسالة صوتية،  
ولا وجها لوجه،  
- ولو في لحظة عابرة -  
على واتساب..

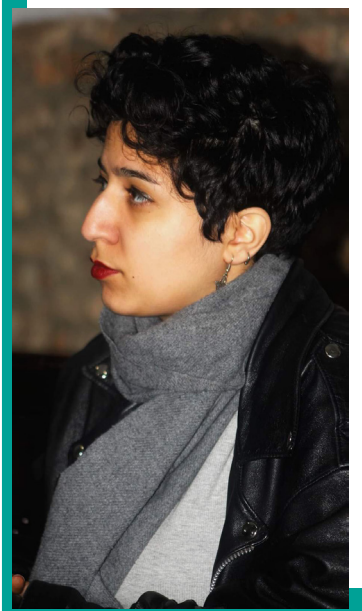
القبلة يتيمة..  
والعاشق تائه،  
ويحلم وهو يقظان..  
تارة بقبلة في زقاق ضيق،  
أو في حانة،  
أو في مطعم،  
وتارة بنصفها فقط،  
ولو في رواية من طراز: مدام بوفاري..  
أو حتى في لقطة من فيلم: الوسادة  
الخالية..  
الحب أو الموت.



■ محمد بنطلحة

## سائحة

أنا لا أمانع  
أن أكون..  
من المغضوب عليهن  
في اللأحة  
أن أتصدّر اللأحة  
أن أكون..  
متمردة، جانية  
لا أمانع  
أن تحاول خلقي  
كلما شمت عطر  
تستفرك الرأحة  
لا أمانع صدك  
والكلمات الجارحة  
لا أتضيق  
حين تقول بأنني..  
لست كافية  
وأني في القلب  
مجرد سائحة  
سأرحل عنك  
كئ تترأخ مني  
وتعطر غرفتك  
وتزيئها  
فتأتي الحبيبة  
كئ تجد الورد  
يغطي السرير  
ولا تجد أثرا..  
لأحمر شفاهي  
ولا الرأحة  
وحين أغادرك دون رجعة  
وتبقى وجيدا  
مع ألف أخرى!  
ستعرف أنك أذمتني  
وأنت ضعت..  
وضيعتني  
ستعرف أنني  
حملت معي الورقة الرابحة  
ومن تأتي بغدي  
لن تكون بسوى..  
سائحة



■ ندى الحجاري

## مغامرة شعرية مع المتنبي

■ محمد الأزهاري



الشعر الخمس شكل من الأشكال المتأخرة للشعر العمودي ظهر مع المولدين (المحدثين)، يتكون فيه البيت من خمسة أشطر لا شطرين، للأشطر الأربعة الأولى قافية واحدة تتغير في كل بيت وقافية الشطر الخامس هي قافية القصيدة فلا تتغير وقد يخمس شاعر لاحق قصيدة لشاعر سابق تحية له وتقديراً بأن يضيف لكل بيت من أبياتها المكونة من شطرين اثنين ثلاثة أشطر أخرى قافية كل منها تتفق مع نهاية الشطر الأول من البيت الأصلي، فتتولد من ذلك قصيدة جديدة لكل بيت منها خمسة أشطر الثلاثة الأولى للشاعر اللاحق والشطران الأخيران للشاعر السابق، وبهذا تكون القصيدة القديمة مقتبسة بكاملها ومضمنة بنصها في القصيدة الجديدة وكأنه تركيب قصيدة على قصيدة، أما إذا أضاف الشاعر اللاحق أربعة أشطر مع مراعاة ما ذكرناه سابقاً فهذا تسديس أما إذا أضاف خمسة أشطر فهذا تسبيع أو الشعر المسبع، وإذا زاد ستة أبيات صار تثمانين وهكذا... لكن حالتني النفسية ودققني الشعورية لم يكفها لا هذا ولا ذاك، بل امتد انفعالي ليصل إلى ثمانية أشطر بالإضافة إلى البيت الأصلي بصدده وعجزه فالمجموع إذا عشرة أبيات وهذا ما يسمى بالشعر المعشر. وهذا تعشيري لأشهر بيتين من قصيدة أبو الطيب المتنبي:

(أين أزمعت أيهذا الهمام\*\*\* نحن نبت الربى وأنت الغمام)  
وكان المتنبي قد أنشد القصيدة الأصلية يمدح فيها سيف الدولة الحمداني علي بن عبد الله أمير حلب الذي اشتهر بمدحه له، وأخيراً أود القول سامحني يا أبا الطيب فأنت حبيب القلب وهذه أول تجربة شعرية لي ناجحة من حيث الوزن ولحسن الحظ ولسوته أنها معك..

وَإِذَا بِي نَضَجَتْ عَنْكَ خِيَاراً  
فَشَغُوفٌ أَنَا أُخَوِّضُ قَرَاراً  
وَجِسُورٌ أَنَا أَزِيلُ سِتَاراً  
فَبِنَاتِ الْعُقُولِ تَشْعَلُ نَاراً  
وَكَذَا عِزَّةٌ لَنَا وَوَقَاراً  
شَغْفِي نَضُمُ أَشْطُرَ وَسْفَاراً  
شَغْفِي زَادَنِي أَرْقُ وَدَمَاراً  
كَبِيرُ الشَّوْقِ لَا أَنَامُ مَرَاراً  
(وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَاراً\*\*\* تَعَبَتْ فِي مَرَادِهَا الْأَجْسَامُ)

عَاشِي مَا قَالَهُ الْأَدِيبُ الْمَجِيدُ  
لَا تَقُلْ مَا تَ هَلْ يَمُوتُ الْمُفِيدُ ؟  
لَمْ يَمُتْ مِنْ لَهُ كِتَابٌ وَلَيْدُ  
عَبْقَرِي أَنَا غَوَاصٌ أَمِيدُ  
تَانَهُ بَيْنَ أَصْدِقَائِي شَرِيدُ  
لَنْ تَرَى شَاعِراً شَغُوفاً سَعِيدُ  
سَاهِدٌ مِنْ لَهُ طَمُوحٌ فَرِيدُ  
حَاضِرٌ غَائِبٌ قَرِيبٌ بَعِيدُ  
(كُلُّ يَوْمٍ لَكَ أَحْتِمَالٌ جَدِيدُ\*\*\* وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ)

## أسفار من غبار

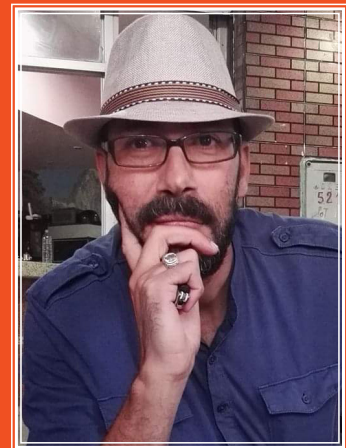
إلى العراق، عراق السياب، عبد الوهاب البياتي، نازك الملائكة، سركون بولص، حسب الشيخ جعفر إلى أرض الشعر والشرائع.. أهدي هذا النص.

كلام يروي صهد المفايزات  
الأنهار تجري فينا  
تتشكل عبر دمنا الصلد  
لا شئ أهون على مدينة صارت جدارا  
لعمود باليات  
لغة لكتابة مسمارية

لا شئ أروع من هذه الحروف الزائغات  
باء  
غين  
دال  
ألف  
دال  
حين نشرب من مائها بضع مسافات  
شيئا من المقدس  
ومنازل فنزوي إليها في زخم الطيف..

بغداد فتنة الأسماء  
نقبل بين يديك رؤوس الشعراء  
نحفظ في صدورنا كل الوصايا  
وكل ما أوحى به الرافدين لنا  
في الليل  
في الخيل  
وفي الببداء

بغداد ذاكرة بابلية  
تلهم بأسفار من غبار  
تاريخا للأسفلت  
كأسا من القوافي الشامخات  
حلما لرعب أندلسي  
أو أضغاث حلم  
ترتجف لها عين الحالم  
تسعف النخل حكايا ليلية



■ سعيد العساسبي



# الشعراء أحلام النوارس



■ برحمة نورالدين

رياح لا تهب حين اشتهي  
ولا تشتهي  
غير العيب بأوهامي  
رغبة هي والقلب فراغ

يا قطط الحي الجميلة  
هذا المواء منك يتعبنى

ذكرى على حائط انهيار  
ألم الجروح  
وأكتب بعد الحرف  
البياض وذلك السطر  
الممتد من عمق الصفحة  
إلى هوامش الهامش

أعود من منفاي  
إلى منفاي  
والقصيدة  
دالية من عنب

متى تبتسم  
الزيتونة للشجرة التين  
متى تبتسم  
الشمس الغروب

كل حروف العالم  
سقطت حين سقط  
الطفل  
بين كل هذا الدمار

شاشة على الحائط  
تلخص الأرض في لوحة  
من دماء

من دموع  
من لعللة الرصاص  
من قصف إلى قصف  
والزمان أشلاء  
والقصيدة غبار

بين تلايبب معطفي  
ذلك الذي باع العمر  
بسيجارة  
بقطعة خبز مالحة  
يمشي قلبه  
مساحة حزن  
فكيف ترمم القصيد العطب...؟

الشعراء أحلام النوارس  
وموج البحر  
صفعة القارب

يسقط الكتاب من يدي  
وأهمس للأرض  
أنت سيدة الوجود  
لكن القصيدة  
لن ترمم الجروح  
فقط تعري  
الأحلام الكسيحة  
وترمي  
بنا إلى قعر الجحيم

هي ملح  
على جرح

نازف  
نازف

أموت كي أرى زهرة  
تفسق على الرصيف

أعطابنا  
أحلامنا  
النائمة بين دفات الرفوف  
اليد إلى العنق مغولة  
والكلمات منا هواء  
فهل يصلح الشاعر  
ما أفسده الخواء

بين عروة الأوس  
وشاعر المناير  
كمن بين الموقف  
واللاموقف  
فكيف تصلح القصيد  
ما أفسده الحلم الكسيح

أموت وأرى عروة بين شوارعي  
يطعم طفلي الهارب  
من لسعة الحر والقر...  
عندها تسقط كلماتي  
وأقول القصيدة  
تصلح إعطاب الذات  
عندها  
فقط سأغني  
أنا الآن لا أغني  
فقط أشكل من الرياح ما يعصف  
بأحلامي الكسيحة..  
لأكون كالحقيقة..  
التي غيبها جرحي النازف  
.....

## رسالة اعتذار إلى غزة

■ عبد الناصر لقاح



فمي ومماتي.. ليضرب بي رجل قابع في الرزاة حد  
الجنون الذي لا يليق بسحنه العربية  
هل أنتحر  
.. أنتظر

ليس لي بابة للشهادة أو للقتال النبيل  
لي جميع الجوازات إلا جواز الخليل  
وجنين، يافا وعكا وغزة في يتمها والجيل  
ليس لي بابة للرحيل  
إن أنا جاع قلبي لجرعة حب على رابيات فلسطين في  
كبرها الباذخ المستحيل  
ليس لي خوفه  
ليس لي ضعفه

ليس لي مجده المستحيل  
ليس لي -ضمن أعداء أرضي- عدو أصحاب  
ليس لي كذبة سألفقها كي أسألم  
ليس لي كذبة سألفقها كي أسألم

سيدي  
أيها الوطن المشتبه في الدمار  
أيها الألق المختفي في الحصار  
إنني لم أعد أفهم اليوم ما كنت أفهمه  
من صباحاتك الواضحة  
من شعاراتك الصادحة

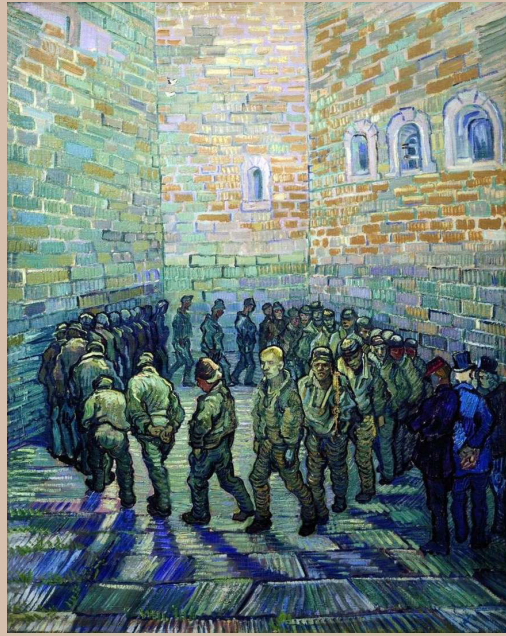
سيدي  
الدم اليوم لم يختلف عن دم البارحة  
غير أن الخيانة جارحة جارحة  
هل أسمي خداعك في زهوه وردة أو حمامة؟  
وماذا أسمي سكوني البليد  
هوى حكمة؟؟  
وجنوحا لسلم أنا مرغم فيه وفق قواعدنا في السلامه  
وماذا أسمي الكنيسة في مهدها  
هل أعمدها بالقيامه ؟  
وهل إن أنا رغبت شهوتي في الدماء على نزع أستشير



تحف فنية....

## ممشى السجناء

فان غوغ - 1890



لوحة فناء السجن أو  
ممشى السجناء، رسمها  
فان غوغ سنة 1890، تتواجد  
اللوحة الزيتية الأصلية  
حاليا بمتحف بوشكين  
بروسيا، وهي بمقاس  
64سم×80سم. وتجسد  
لحظة انفلات لتلقي جرة  
هواء في فسحة السجناء،  
والتي تسيجها الأسوار  
والجدران العالية للسجن.. إن  
الحرية في مكان آخر.

20 و 22  
فبراير

## عبيطة

## منعم وحتي



والشباب في صفوفها الأممية، والأكد أنه واهم من  
يظن أن الحراكين انتهيا، لأن قوة تأثيرهما ليست كمية،  
بل في القدرة على الامتداد الزمني وفي التأثير النوعي،  
وأخذ أشكال متعددة مجالية وقطاعية ووطنية، فرغم  
مظاهر ضحالة المشهد السياسي المتحكم، إلا أن الرهان  
على وحدة الحراكين ونضالهما المشترك، يمكن أن يكون  
مدخلا لفك كل الإشكالات الموروثة عن الخريطة  
الكولونيالية، لا أدل على ذلك من رفع نشطاء حراك 22  
فبراير بالجزائر لشعارات واضحة ورافضة للأطروحات  
الانفصالية، حيث كانت التظاهرات ضد استنزاف  
عسكر الجزائر المتحكم في السلطة للعائدات البترولية  
الجزائرية في تمويل مخططات تفتيت وحدة المغرب.

على نشطاء حركتي 20 فبراير و 22 فبراير الفعليين، أن  
يرفعوا هاماتهم عاليا، فقد أنجزوا المهم بوضع قطار  
مجتمع جديد على السكة، وعلى من تأخر عن الركب،  
أفرادا وجماعات ومنظمات، أن يرمج مهامه المجتمعية  
المستقبلية للتغيير الديمقراطي والتنمية التقدمية في  
البلدين على هذا الأساس، فروح 20 و 22 فبراير عصية  
على الهضم، و تتجاوز الأشخاص هنا وهناك.. هذه  
الروح النضالية هي ملاذنا للإقلاق الحضاري وإرساء  
الحقوق والحريات.

حراك الجزائر على إسقاط طغمة العسكر المتحكمة في  
دواليب الدولة (من ضمنها إسقاط العهدة 5)، وإرساء  
حكم مدني على قاعدة دستور جديد ديمقراطي يمكن  
الشعب الجزائري من التوزيع العادل للثروة النفطية  
بدل تمركزها في أيدي الجزائرات، مع إطلاق الحقوق  
والحريات والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ومحاسبة  
من تورط في الفساد والسلطوية... إنها ليس نسخة  
من بعضها، لكنهما منفتحان على التكامل والبناء  
المشترك وصنع مستقبل التنمية والازدهار والديمقراطية  
لبلدين.

إن الوحدة المغاربية لا يمكن أن يصنعها إلا جيل جديد  
بتصور تشاركي وذكاء جماعي، يكون قادرا على توأمة  
نضال الشعوب، ويكون أكثر جرأة في تسطير مخططات  
عملية للنهوض الاقتصادي التكاملي وإقرار الديمقراطية  
الحقة، ابتداء بفتح الحدود بين المغرب والجزائر وبدعم  
الحراكين لبعضها، حتى الحسم مع الفساد والسلطوية  
في البلدين.

فحركة 20 فبراير بالمغرب كما حركة 22 فبراير بالجزائر،  
هما ملك لوجدان الشعبين المغربي والجزائري، حيث  
دخلت الحركتان إلى قلب البيوت وأفئدة كل الشرائح  
العمرية المهمشة والطامحة للحرية، حيث كانت النساء

كما عالج علم الأجنة ظاهرة التوائم، وطريقة تشكيلها في  
نسيج الأم، فقد انتقل هذا الاصطلاح أيضا إلى جغرافية  
المدن وتقارب تدبيرها بين من يسيرها، حيث لجأت  
المدن إلى إبرام اتفاقيات توأمة بينها لتبادل الخبرات  
والعمل التشاركي والتكامل في سبيل تطورها الحضاري،  
فما المانع إذن أن تتم توأمة حركات وانتفاضات  
الشعوب المتقاربة، والطامحة للحرية والحاملة  
بالديمقراطية والكرامة الإنسانية..؟ في هذا السياق تظهر  
ملحاحية توأمة حراكي المغرب والجزائر، خصوصا وأن  
صدف التاريخ جعلت انطلاقه في نفس الشهر وعلى  
مسافة يومين من بعضهما، فأى إمكانية لبعث الروح  
في توأمة حراكي 20 فبراير بالمغرب و 22 فبراير بالجزائر؟

في مقارنة مطالب الحراكين فلكل منهما سياقه  
وتكتيكاته ومنسوب آماله وجمعهما، فإذا كان نشطاء  
20 فبراير بالمغرب، حملوا عنوانا رئيسيا لنزولهم إلى  
الشارع يتمحور حول التغيير من أجل دستور ديمقراطي  
وتحويل شكل الدولة إلى ملكية برلمانية تسود فيها  
الحقوق والحريات والحسم مع الفساد والاستبداد،  
والنهوض بالقطاعات الحيوية والاجتماعية بشكل  
يضمن التوزيع العادل للثروة... فإن مطالب نشطاء  
22 فبراير بالجزائر، كانت بصياغة أخرى، حيث ركز





عدد  
مزدوج

الطبعة الأولى

منشورات جريدة الطريق

 @attarik\_journal

 fb.com/Attarik.Journal

 /attarik.journal

الطريق

#صوت\_من\_لا\_صوت\_له



عدد  
مزدوج

الطبعة الأولى

منشورات جريدة الطريق



صدر عن جريدة

الطريق



الثلث: 20 درهم

